

فى حقائق علم الشريعة
ودقائق علم الطبيعة

للإمام العلامة

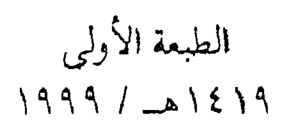
جمال الدين محمد بن تومرت الأندلسى

المتوفى سنة ٥٢٤ هـ

تقديم وتحقيق

أيمن عبد الجابر البحيرى




الطبعة الأولى
١٤١٩هـ / ١٩٩٩



القاهرة ـ ٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران
مدينة نصر ـ ت : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع	٩٨/١٦١٩٧
I. S. B. N الترقيم الدولى	977-5727-30-5

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي محمد سيد المرسلين وإمام المتقين ، وعلي آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلي يوم الدين .

أما بعد ، فإن الحضارة الإسلامية ، حضارة عالمية . عالميتها أوضحها القرآن الكريم ، قال تعالي مخاطباً رسوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء :١٠٧] . وقال تعالي ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَاس﴾ [سبأ:٢٨] . فكان النبي ﷺ خاتم الرسل . وبه صلي الله عليه وسلم ﴿وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وهذه الخاصية الشديدة الأهمية . أخرجت حملة الرسالة ، صُحبة النبي ﷺ ليحققوا قوله تعالي ﴿كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران :١١٠]. وانطلقت الحضارة من ثوابت أرستها العقيدة الربانية الموحاة من الله تعالي ، ذات الأركان الثابتة والمقومات والخصائص الفاعلة ، فكان الكتاب الحكيم ، والسنة الصحيحة ، وهما الوحي المعصوم ، مصدرا هده العقيدة الربانية التي جاءت لتحل وتفك الإشكالات التي آثارها الفلاسفة الأقدمون عن الحقيقة الإلهية ، والحقائق الكونية ، أو طبيعة الإنسان وحقيقته ، وعلاقة هذه الحقائق بعضها ببعض ، وكانت هذه الإشكالات مصدرها الفكر البشري المحض ، وشطحاته العقلية ، وتصوراته الفلسفية بإيعاز من عدوه الأزلي ﴿يُوحِي بَعْضُهُم إِلَي بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورا﴾ [الأنعام : ١١٢] .

فهذه العقيدة المنبثقة عن الوحي - المعصوم المستندة عليه - الذي ميز هذه العقيدة السلمية عن المعتقدات الوثنية التي تنشئها المشاعر والأخيلة والأوهام والتصورات البشرية المختلفة ، ومنحها خصائص لم تتوافر في عقيدةٍ غيرها ، (ففيها الإحاطة والشمول ، والتوازن ، والقدرة علي الإجابة علي الأسئلة الكلية ، وتقديم التفسيرات وتحديد العلاقة بين الله تعالي والكون والإنسان)[(١)] .

---

(١) انظر:خصائص التصور الإسلامي ، لسيد قطب .

وبعد أن رسخت العقيدة في قلوب الرعيل الأول ، صُحبة رسول الله ﷺ ـ ولا عجب أن يمكث رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة قرابة الثلاثة عشرة عاماً، مُشَمِّراً عن ساعدي الجد ، يرسخ التوحيد ، الذي هو حجر الأساس في العقيدة، يرسخه في قلوب أصحابه حتي بات كالجبال الراسيات ـ فبعدها أصبح الناس في حاجة ضرورية إلي شريعة فوق حاجتهم إلي أى شيء آخر ؛ شريعة مبناها علي تعريف مواقع رِضَي الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية ، فمبناها علي الوحي المحض ؛ منطلقة من اعتقاد سليم ، يشعر المرء بالرضي﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة :١١٩] . فمنَّ الله عليهم بشرعة امتازت بتحقيق مصالح الخلق ودرء المفاسد عنهم ، وبيان العلل والأسباب والحِكَم والغايات الكامنة ، تمكن بها المسلم من العيش باستمرار تحت مظلتها ، وتنظيم شؤون حياته وفقاً لتوجيهات الشارع الحكيم﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة :٣] . فكانت إشارة البدء إلي نسج الحضارة الإسلامية وبناء العمران البشري – بمعناه المادي والمعنوي – علي مِنْوال الحياة فكان ؛ مؤداها : إخراج الناس من عبادة العباد إلي عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلي سعة الدنيا والآخرة .

فكان أتباع النبي ﷺ هم أهل البصيرة الذين أمسكوا بطرف الخيط لنسج الحضارة الإسلامية ، فقد بلَّغهم الرسول ﷺ البلاغ المبين ، وأوضح الحجة للمستبصرين ، وهم علي أثره مهتدون . وخرجوا بكتابهم إلي حوض الحضارات القديمة ، وهناك كان المحك ، (ولم يكن خروجهم ذاتياً من عند أنفسهم ، وما كان الخروج من طبيعتهم ؟ لكن الله تعالي أخرجهم في إطار دفع إلهي – لا في إطار استعلاء قومي ذاتي، وكانت علاقتهم بالقرآن والرسالة التي اشتمل عليها ، علاقة تكليف وتبين وإيمان لا علاقة إنشاء وتوليد من ذواتهم)(١) وبخروجهم ذابت كل الحضارات أمام الأنساق المعرفية للحضارة الجديدة، ولم يمض وقت طويل علي بدء الدعوة وتبليغ الرسالة حتي غمر الإسلام بنوره النصف الجنوبي من العالم – المعروف آنذاك – أي من جنوب الصين شرقاً إلي جنوب أوروبا غرباً ، وقد استوعب الشعوب بمنظومته المعرفية وهيمنة خصائص وثقافة الحضارة الإسلامية .

---

(١) انظر : أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة ، للدكتور طه جابر العلوانى .

وانهار الكيان الرومي في الشام ومصر ، وتحللت القومية الفارسية، ليصبح قلب العالم المعمور كله مركزاً للحضارة الإسلامية ، ومحط إشعاع يخرج منه ليضيء جنبات العالم . والإشعاعُ عرضٌ ، فكان لابد له من ذاتٍ؛ يخرج منه شعاع العلم والفكر ؛ فكان علماء المسلمين ومفكريهم ذواتاً لإشعاع الحضارة الإسلامية .

فصاحب هذا الكتاب (**كنز العلوم والدر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة**) هو : الإمام العلامة ، مؤسس دولة الموحدين ، تلميذ حجة الإسلام أبو حامد الغزالى ؛ جمال الدين محمد بن على بن تومرت الأندلسي أحد هذه الذوات التي تولدت في بوتقة الحضارة الإسلامية ، وكتابه (كنز العلوم) رؤية معرفية ، ونموذج تراثى يثير الفكر ، ففيه يطبق الرؤية المعرفية والمنهج الذي رشفه مس الحضارة الإسلامية وفكرها . فمنهجه تجسيد للربط بين القراءتين . قراءة الوحي المسطور ، وقراءة الكون المنطور (فالقراءتان في الوحي والكون فريضتان؛ لأنهما أمران إلهيان والجمع بينهما ضروري ، إذ بدونه يقع الخلل . وإذا حدث فصام بين القراءتين ، فإن المناهج المعرفية البشرية تقود إلي نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون فقط بالجانب الغيبي في القراءة ، أي بقراءة الوحي في معزل عن فهم الواقع ، فإنهم يسقطون الجانب الموضوعي وعناصره من حسابهم ، فيتحولون بالدين إلي لاهوت وكهنوت يستلب الإنسان والكون ، وينفي الأسباب ، وقوانين الحركة وصيرورتها ، وكافة السنن الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية ؛ التي يتفاعل معها الإنسان . وبذلك ينتهي أصحاب هذه القراءة إلي : فكر سكوني جامد ، قد يُحسَب خطأ علي الدين حين لا يلتفت إلي محدوديته وقصوره . والذين يتعلقون بقراءة الكون وحده ، ويركزون علي الجانب الموضوعي في إطار القراءة الثانية ، أي القراءة المادية للكون ؛ فإنهم ينفون البعد الغيبي الفاعلي في الوجود وحركته وينتهون تدريجياً إلي الفكر الوضعي في المعرفة الذي يؤثر علي النسق الحضاري)[1]

ولم يكن صاحبنا الشيخ محمد بن تومرت أول من بحث وكتب في هذا

---

(١) انظر: الجمع بين القراءتين ، للدكتور طه جابر العلوانى .

الموضوع فقد سبقه الحارث المحاسبى فى كتابه (العقل وفهم القرآن) وكان على أثره فخر الدين الرازى فى تفسيره (مفاتيح الغيب) .

والآن فى عصرنا هذا ، نسمع صوتاً من بعيد يدعونا إلى إعادة هذا النسق وهذه الرؤية المعرفية وطرحها كبديل للمناهج التى سقطت ، وهو صوت عالٍ له صداه ، صوت شيخ المفكرين ، الأستاذ الدكتور : طه جابر العلوانى ، عسى الله أن ينفع به الأمة ، ويكون به النقلة الفكرية المنتظرة ، التى تحل الأزمة التى طالت وعزب عن كثير حلها ، والله الموفق.

تحقيق المخطوط :

عندما عزمت القصد على تحقيق كتاب (**كنز العلوم والدر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة**) للإمام العلامة : جمال الدين محمد بن على بن تومرت الأندلسى -رحمه الله- شرعت فى البحث عن مخطوط لهذا الكتاب ، وكان مقصدى دار الكتب المصرية ، وهناك عثرت على ثمانى مخطوطات لهذا الكتاب ، كُتبت فى عصور مختلفة، ثم تصفحت هذه المخطوطات ، فكان منها الناقص وفى البعض الآخر بياض، وآثار تآكل بفعل الزمن . وانتقيت منها أفضل المخطوطات فكانت أربعة . وبالفعل قمت بتصوير هذه المخطوطات ، ثم عكفت أنظر وأقلب الصفحات ، واخترت إحداهم لنسخها ، والثلاثة الباقين أرجع إليهم فى حالة تعثرى فى قراءة لفظة ، أو إشكال فى فهم عبارة ، وقمت بالفعل بنسخ المخطوط ، وساعدنى فى نسخه ومقابلة النسخ بعضها ببعض ، فريق عمل ؛ كم عان معى مهمة إخراج هذا الكتاب بصورة نحسبها -إن شاء الله- طيبة مرضية ؛ بذلنا فيها جهداً كبيراً ولم نبخل بالوقت أو الجهد، حتى كانت الصورة الماثلة أمامكم ، والله الموفق .

وصف المخطوطات :

- **المخطوط الأول** ، والذى تم منه النسخ ؛ ورمزنا له (أ) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [حكمة وفلسفة . رقم (٤٤٣)، ميكروفيلم (٤٥٦٨٣)] . عدد الأوراق : (٧٤) ورقة . من القطع الكبير ، عدد

الأسطر : (٢٩) سطراً ، نوع الخط : نسخ عادى ، بخط الناسخ : حسن الحلو الشافعى الشاذلى ، وكان الفراغ من نسخه (١٢٥٧) هـ .

- **المخطوط الثانى** ؛ ورمزنا له (ع) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [حكمة وفلسفة . رقم (٤١١)، ميكرو فيلم (٤٤٢٧٣)] .عدد الأوراق : (١٢٤) ورقة . من القطع المتوسط ، عدد الأسطر (١٦) سطراً ، نوع الخط : خط يمنى جميل ، بخط الناسخ : إصحاح بن على العبدى ، ولم يذكر وقت الفراغ من نسخه .

- **المخطوط الثالث** ؛ ورمزنا له (ك) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [طبيعة وكيمياء . رقم (١٢٤) ، ميكروفيلم (٣١٦٦٤)] . عدد الأوراق : (١٦٣) لوحة . من القطع الكبير ، عدد الأسطر (٢١) سطراً ، نوع الخط : نسخ ، بخط الناسخ : مصطفى بن محمد الفقى المعتمداوى الصاوى المالكى ، وكان الفراغ من نسخه سنة (١٢٩٥) هـ .

- **المخطوط الرابع** ؛ ورمزنا له (م) :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [معارف طلعت . رقم (١٨٨) ، ميكروفيلم (٢٥٧٥٨)] . عدد الأوراق : (٦٥) ورقة ، وهو ناقص بعض الورقات من منتصفه . وهو من القطع المتوسط ، عدد الأسطر (١٧) سطراً ، نوع الخط : رقعة ، بخط الناسخ : عبده محمد سليمان الحنفى الشاذلى ، وكان الفراغ من نسخه سنة (١٣١٧) هـ .

عملنا فى هذا الكتاب :

١- ضبط النص وتقويم العبارة ، وتصحيح التحريف والتصحيف ، وملاحظة السقط من الكلمات .
٢- عزو الآيات والأشعار . وتراجم الأعلام .
٣- تخريج الأحاديث والحكم عليها، استناداً لآراء العلماء أصحاب هذا الفن .
٤- الفهارس اللازمة للكتاب المعينة على البحث فيه .

٤- الفهارس اللازمة للكتاب المعينة على البحث فيه .

وختاماً ، نسأل الله أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل ؛ ولا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساعدنا بالوقت والجهد على إتمامه وإخراجه بهذا الثوب القشيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

القاهرة

مساء يوم السبت

غرة ذى القعدة ، لسنة (١٤١٨) هـ

الموافق آخر فبراير لسنة (١٩٩٨) م

أيمن البحيرى

ترجمة المؤلف

اسمه : محمد بن عبدالله بن تومرت ، المصمودى ، البربرى ، أبو عبد الله، المتلقب بالمهدى ، ويقال له : مهدى الموحدين .

مولده : ولد سنة (٤٨٥ هـ = ١٠٩٢م) بقبيلة (هَرْغة) إحدى قبائل (المصامدة) من جبل (السوس) بالمغرب الأقصى .

نسبه : وفى نسبه مقال ، قال ابن قاضى شهبة ، صاحب كتاب (الإعلام) : كان يدعى – أى ابن تومرت – أنه حسنى علوى . وفى كتاب (الأنيس المطرب) وصل نسبه إلى على بن أبى طالب ، ثم قال ؛ قيل : هو دعى فى ذلك النسب الشريف ، وقال ابن مطروح القيسى فى تاريخه : هو رجل من هرغة ، من قبائل المصامدة ، يعرف بمحمد بن تومرت الهرغى . ولم يذكر له نسباً شريفاً . وكتاب (أخبار المهدى) ذكر نسبه إلى على بن أبى طالب . ثم قال : فإن قراتبه ، وأهل العناية بهذا الشأن لا يعرفون . وقال ابن العماد الحنبلى : فى (شذرات الذهب) : هو مدعى أنه : علوى حسنى وأنه المهدى .

نشأته ، ورحلته فى طلب العلم : نشأ فى قبيلته (هرغة) ورحل إلى المشرق، طالباً للعلم ، ولقى حجة الإسلام أبا حامد الغزالى ، وطائفة من أهل العلم، وحَصَّل فنوناً من العلم ، والأصول ، والكلام . وحَجَّ وأقام بمكة زمناً ؛ اشتهر فيها بالورع ، والشدة فى النهى عما يخالف الشرع . وكان رجلاً ناسكاً فى الجملة ، زاهداً ، متقشفاً ، شجاعاً جلداً ، عاقلاً ، عميق الفكر ، بعيد الغور ، فصيحاً ، مهيباً، لَذَتَهُ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد . وكانت مكة مُسْتَقره ، حتى تعصب عليه جماعة بها ، فآذوه ، فقدم مصر ، وكان كما حدث فى بلد الله الحرام ؛ فطردوه . فأقام بالثغر مدة ، فنفوه ؛ وركب البحر فشرع ينكر على أهل المركب ، ويأمر وينهى ، ويلزمهم بالصلاة ، وكان مهيباً ، وقوراً . ثم نزل بالمهدية، فكسر ما

رآه فيها من آلات اللهو وأوانى الخمر ، ولا يرى منكراً إلا غيره بيده ولسانه ، فاشتهر وصار له زبون وشباب يقرءون عليه فى الأصول ، فطلبه أمير البلد ؛ يحيى بن باديس وجلس له ، فلما رأى حسن سمته ، وسمع كلامه ؛ احترمه وسأله الدعاء ، فتحول إلى (بجاية) وأنكر بها ، فأخرجوه ، فذهب إلى إحدى قراها ، واسمها (ملالة) .

لقاؤه بعبد المؤمن الكومى : وفى (ملالة) إلتقى بعبد المؤمن بن على القيسى الكومى ، وكان شاباً نبيلاً مختطاً مليحاً ، فطناً ، فربطه عليه وأفضى إليه بسره ، وأفاده جملة من العالم ، فاتفق معه على الدعوة إليه ، وصار معه نحو خمس أنفس ، فدخل مراكش وأنكر كعادته البدع والمنكرات ، وحضر مجلس على بن يوسف بن تاشفين (وكان ملكاً حليماً) بمسجد (دائر) بظاهر مراكش ، فواجهه ابن تومرت بالحق المحض ، ولم يحابه ووبخه ببيع الخمر جهاراً وبمشى الخنازير التى للفرنج بين أظهر المسلمين ، وبنحو ذلك من الذنوب ، وخطبه بكيفية ، ووعظ ، فذرفت عينا الملك وأطرق ، فاشتهر اسم ابن تومرت وتطلعت النفوس إليه وسار إلى (أغمات) وانقطع بجبل (تينملّل) وتسارع إليه أهل الجبل يتبركون به ، فأخذ يستميل الشباب الأغتام ، والجهلة الشجعان ، ويلقى إليهم ما فى نفسه فحرَّضهم على عصيان (ابن تاشفين) فقتلوا جنوداً له وتحصنوا وقوى بهم أمره ، وتلقب بالمهدى القائم بأمر الله

يقول ابن العماد الحنبلى : (ولما كثر أصحابه أخذ يذكر المهدى ، ويشوق إليه ويروى الأحاديث التى وردت فيه ، فتلهفوا على لقائه ، ثم روى ظمأهم ، وقال: أنا هو وساق لهم نسبا ادعاه ، وصرح بالعصمة ، وكان على طريقة مثلى لا تنكر معها العصمة فبادروا إلى متابعته وصنف لهم مصنفات مختصرات وقوى أمره فى سنة خمس عشرة وخمسمائة . فلما كان فى سبع عشرة جهز عسكراً من المصامدة أكثرهم من أهل تينملل والسوس ، وقال : اقصدوا هؤلاء المارقين المرابطين

فادعوهم إلى إزالة البدع والإقرار بالإمام المعصوم ، فإن أجابوكم وإلا فقاتلوهم ، وقدم عليهم عبد المؤمن ، فالتقاهم الزبير ؛ ولد أمير المسلمين ؛ فانهزمت المصامدة، ونجا عبد المؤمن ، ثم التقوهم مرة أخرى ، فنصرت المصامدة واستفحل أمرهم . وأخذوا فى شن الغارات على بلاد (ابن تاشفين) وكثر الداخلون فى دعوتهم وانضم إليهم كل مفسد ومريب ، واتسعت عليهم الدنيا وابن تومرت فى ذلك كله لون واحد، من الزهد ، والتقلل والعبادة ، وإقامة السنن والشعائر ، لولا ما أفسد القضية بالقول بنفى الصفات كالمعتزلة ، وبأنه المهدى ، وبسرعه فى الدماء).

وفاته : عاجلته الوفاة فى جبل (تينملل) قبل أن يفتح مراكش . ولكنه قرر القواعد ومهدها ، فكانت الفتوحات بعد ذلك على يد صاحبه (عبد المؤمن) . وكانت وفاته سنة (٥٢٤ هـ = ١١٣٠م)

مصنفاته : ومنها كتاب (كنز العلوم) وهو كتابنا هذا ، وأيضاً كتاب (أعز ما يطلب) .

مراجع الترجمة : الأعلام للزركلى (٨٨/٦) . شذرات الذهب لابن العماد (٧٠/٦) . وفيات الأعيان (٣٧/٢) . الأعلام لابن قاضى شهبة ص ٢٥٢ . الأنيس المطرب (١١٩/١) تاريخ ابن خلدون (٢٢٥/٦) . الكامل لابن الأثير (٢٠١/١٠) معجم البلدان لياقوت (٤٤٥/٢). أخبار المهدى .



كتاب كنز العلوم

والدر المنظوم في علم الشريعة وحقائق

علم الطبيعة تصنيف الشيخ الإمام الأجل

العالم العلامة جمال الدين محمد بن علي بن يوسف

صفحة غلاف المخطوط (أ)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول بلا بداية في أزليته، الآخر بلا نهاية في أبديته

الظاهر في كل شيء ببديع صنعته، الباطن في كل

شيء بجلال ربوبيته، الذي نور قلوب العارفين بمصابيح معرفته

واحتجب عنهم لعزته، وأجلسهم في حضيض جلال محبته، وألبسهم خلع

رضاه، وسقاهم بكأس محبته [illegible] حكمته

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزه

لله عما سواه في ذاته وصفاته وعظمته، ومحقق لوحدانيته وربوبيته

ومفتقر إلى كرمه ورحمته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل ملته ما تحرك متحرك

أو سكن ساكن [illegible] أما بعد فإن كل

عالم [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوط (أ)



الصفحة الأخيرة من المخطوط (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول بلا بداية في أزليته، الآخر بلا نهاية في أبديته
الظاهر فوق كل شيء ببديع صنعته، الباطن في كل شيء بجليه وقدرته
الذي نور قلوب العارفين بمصابيح معرفته، واختصهم لقربه وأجلسهم
في حضرة جماله بهيبته، وألبسهم خلع رضاه وسقاهم كأس محبته، وأفاض
عليهم أنوار علمه وحكمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة منزه لله عما سواه في ذاته وصفاته وعظمته، محقق لوحدانيته
وربوبيته، مفتقر إلى نيل كرمه ورحمته، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
أول نبي نبأه الله وآخر رسول أرسله برسالته، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه وأهل ملته، ما تحرك متحرك وما سكن ساكن بحول الله وقوته
أما بعد فإن لكل عالم منهاج يترقى فيه من العلوم إلى الأهم فالأهم
ومعراج يعرج به فيها إلى سماء معالي الهمم، وسراج وهاج يتنور به ما احلولك
من دياجي الظلم، فمن أشرق نبراس الحق في دقائق مسالك الهداية بالحجج
القاطعات والبراهين الساطعات، فقد برح من الضلالة برهان سلطان [illegible]
بروق لامعات، وقال صلى الله عليه وسلم: لولا العلماء من يهدي لرجع الناس
إلى الجاهلية الجهلاء، فإذا كانت المواهب من الله اختصاصية والعطايا منه
امتنانية، وكان الله قابل الأمر فغير بعيد أن يودع من المتأخرين ما لم يودع
أكثر المتقدمين، كما أودع أسرار العلوم الحسية فأطلعها على آخر النبيين
وآخر المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أعرب وأعرب عن تحقيق
بتوفيق التوفيق وهدى، فاهتدى إلى سواء الطريق، فأقول محليا بلسان
حق الحق أن أفضل العلوم المعرفة بالله عز وجل، وهي مقصود كل علم وثمرته ولب
لبابه، وجميع العلوم النافعة مندرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة، أما علم
الشريعة فهو علم الدين القويم الشافي من داء معصية الملك العلام، وهو مندوب
إليه شرعا، قال تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، ومقصود
الحكمة حقائق علم الشريعة، ودقائق علم الطبيعة، وفائدة ذلك تمييز الخالق
من الخلائق وتنزيه الله سبحانه وتعالى عما سواه، فذلك هو حقيقة العلم ومقصد المراد
منه، والله أعلم. وأما علم الطبيعة فهو علم الحكمة التي كتبه الله بيد قدرته وأبدع
فيه مخترعات صنعته، ليدل بذلك على حقيقة معرفته، ثم نبه عليه بقوله

تعالى

الصفحة الأولى من المخطوط (ع)

احسن وانظر ذلك العقد وان كان لكوكب سعيد فان الحاجة مقضية والعزم عليها صالح وان كان [illegible]
فبالعكس وكذلك ما اضمر [illegible] في احد الامرين المشكلين فان اتفقت [illegible]
اذ انه كان الامر برهانا واعظم [illegible] او يحي لقضا الحاجة والعزم او الترك واذا كان اثنان
كان اثنين من الواحد ما خير بينهما فيما يترجح فيه فقيه سر بديع ومعنى رفيع [illegible]
صحيح واما النفس الى شي الاعمال والافعال فانظر الى ذلك الفعل فان كان خيرا او طاعة
فالسعد محمود وان كان شرا او معصية فهو مذموم واما الاقوال فسماع داع يا سعد او
يا مسعود او يا صالح او يا عبد الله او يا محمد او نحو ذلك او يكلم بكلام حسن مما لا يكره لفظه فهو
محمود خصوصا ان وافق المعنى المراد وان كان بالعكس فهو زاجر مذموم واما الاحوال فحالة
الفرحان والمسرور ونحو ذلك محمودة وحالة الغضبان والمحزون والمكروب ونحو [illegible] ونحو
ذلك مكروهة وكذلك من اقبل اليك نظرت في افعاله فان كان بخير فهو محمود وان كان بالعكس
فهو مذموم واما المدبر عنك فانه مذموم الا ان يكون الناظر محزونا او مهموما فان
ذلك دليل على تفريج الهم وبالعكس في افعاله واقواله وجميع احواله وما ادركه السمع والبصر
وتعلق به الفال وادركه العقل فاحكم بما اودع الله سبحانه وتعالى فيه من داع الى ما في الضمير
او زجر عنه فهو علم غامض طبيعي وروح الهامي فاعمل به فهو صحيح مجرب والله اعلم بالصواب
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم وكان الفراغ
من كتابته يوم الثلاثا عاشر شهر محرم الحرام
سنة سبعة وخمسين ومايتين [illegible]

قال خالد بن يزيد الاموي [illegible]
قال خالد بن يزيد الاموي رضي الله عنه ونفعنا به [illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوط (ع)



في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة

للإمام العلامة

جمال الدين محمد بن تومرت الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢٤ هـ

تقديم وتحقيق

أيمن عبد الجابر البحيري

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

المقدمة

الحمد لله الأول بلا بداية فى أزليته ، الآخر بلا[(١)] نهاية فى أبديته ، الظاهر فوق كل شىء ببديع صنعته ، الباطن فى كل شىء بعلمه وقدرته ، الذى نوّر قلوب العارفين بمصابيح معرفته ، واختصهم بقربه وأجلسهم فى حضرة جمال بهجته ، وألبسهم خِلَع رضاه وسقاهم كأس[(٢)] محبته ، وأفاض عليهم أنوار علمه وحكمته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّه لله عما سواه فى ذاته وصفاته وعظمته ، ومحقق لوحدانيته وربوبيته ، ومفتقر إلى نيل كرمه ورحمته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله [أول نبى نبأه الله وآخر رسول أرسله برسالته][(٣)] ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل ملته ما تحرك متحرك وما سكن ساكن بحول الله وقوته .

أما بعد : فإن لكل عالم منهاج ينهج فيه من العلوم إلى الأهم فالأهم ، ومعراج يعرج به فيها إلى سماء معالى الهمم ، وسراج وهّاج ينوِّر به ما احلولك من دياجى الظلم ، فمن أسرج نبراس الحق ودقائق مسالك الهداية بالحجج القاطعات، والبراهين الساطعات ، فقد برح[(٤)] من الضلالة [برعَّاتِ الشياطين ؛ من البروق اللامعات][(٥)]، قال ﷺ : ((لولا العلماء من بعدى ،

---

(١) فى النسخة (أ) لا .

(٢) فى النسخة (أ ، ك) : بكأس .

(٣) ما بين المعكوفتين ، فى النسخة (ع) فقط .

(٤) فى النسخة (ك) : نزح .

(٥) فى النسخة (ك) : برعات شياطين بروق خلت مشكلاتها اللامعات . ورعَّات الشياطين ، أى سكونها .

لرجع النـــاس إلـــى الجاهليـــة الجهـــلاء)) [٦] . إذا كـانت المواهـب مـن اللـه اختصاصية والعطـايا منه ابتداعية ، وكان الله قائمـاً بـالأمر ؛ فغير بعيد أن يودع من المتأخرين رواة عـن أكثر المتقدمين ، كما أودع أسـراره العظيمـة الجسيمة ، فأظهرها فى آخر النبيين وآخـر المرسلين محمد صلى الله عليـه وعلى آله وسلم ، وقد أغرب وأعرب من وفِّق بتوفيق التحقيق وَهُدِى فـاهتدى إلى سواء الطريـق ، فـأقول معلنـا بلسـان حـق : الحـــق إن أفضـــل العلـــوم المعرفة بالله عز وجل ؛ هى مقصود كل علم وثمرته ولب لبابه .

وجميع العلوم النافعة مندرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة .

أما علم الشريعة [٧] : فهو علم الدين القيم الشافى من داء معصية الملك العلام، وهو مندوب إليه شرعا . قال تعالى ﴿**شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَاَ وَصَّيْنَاَ بِهِ إِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّين وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيه**﴾ [الشورى :١٣] .

---

(٦) لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مصادر مطبوعة . وجاء فى فضل العلم والعلماء آثار كثيرة وصحيحة ، ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عمـرو قـال : سـمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعـه مـن العبـاد ، ولكـن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علـم فضلوا وأضلوا)) .البخارى : كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (١٠٠) .

(٧) الشريعة فى اللغة : الطريق الظاهر الذى يوصل منه إلى الماء ، يقال : شرعت الإبـل شرعاً وشروعاً : إذا وردت الماء . وقد تطلق الشريعة على الدين كما قال المصنف . فالشريعة ما جاءت به الرسل من عند اللـه تعـالى بقصـد هدايـة البشـر إلـى الحـق فـى الاعتقاد وإلى الخير فى السلوك ، والمعاملة ، وهى بهذا المعنـى تشـكل كلمـة شـريعة على الجانب الاعتقـادى والجـانب العملـى ، وكلاهمـا يطـابق المفهـوم الكـامل للديـن . [روح المعانى للألوسى : فى تفسير قوله تعالى ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجـاً**﴾ [المـائدة ٤٨] . فـى التعريفـات للجرجـانى ص١٦٧ ، المقـاصد العامـة للشـريعة الإسلامية. د/ يوسف العالم ص٢٠] .

ومقصود الحكمة[8] : حقائق علم الشريعة ، ودقائق علم الطبيعة .

وفائدة ذلك : تمييز الخالق من الخلائق ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى عما سواه ؛ فذلك هو حقيقة العلم وقصد المراد منه ، والله أعلم .

وأما علم الطبيعة[9] : فهو علم الحكمة التى كتبه الله بيد قدرته ، وأبدع فيه مخترعات صنعته ؛ ليدل بذلك على حقيقة معرفته ، ثم نبَّه عليه بقوله تعالى ﴿**يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِى خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

ومقصود الحكمة[10] : معرفة ما أودع الله فى علم الطبيعة من

---

(٨) الحكمة : وضع الشيء فى موضعه . ومقصدها علم يُبْحث فيه عن حقائق الأشياء على ماهى عليه فى الوجود بقدر الطاقة البشرية ومنها : الحكمة الإلهية ، والحكمة المسكوت عنها ، الحكمة المنطوق بها . [التعريفات للجرجانى ص١٢٣ ، حدود الألفاظ المتداولة لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى ص١٣] .

(٩) علم الطبيعة هو : قراءة الكون أو كتاب الله المنظور ، فهى قراءة كونية شاملة لآثار القدرة الإلهية ، وصفاتها وخلق الإنسان ، وسائر الظواهر الكونية ، وملاحظة ربوبية البارى جَلّ شأنه وكرمه البالغ فى خلق الإنسان واستخلافه ، وائتمانه على الكون ، وندبه لإعماره وتسخيره .

(١٠) والحاصل من كلام المصنف رحمه الله فكرة الجمع بين القراءتين : قراءة الوحى ، وهو ما سماه: حقائق علم الشريعة ، وقراءة الكون ، وهو ما سماه : دقائق علم الطبيعة. يقول الدكتور طه جابر العلوانى : والإصطلاح على فكرة الجمع بين القراءتين ، وردت عند الحارث المحاسبى بشكل مجمل فى كتاب (العقل وفهم القرآن) حيث أشار رحمه الله تعالى إلى أنّ فهم القرآن يحتاج إلى فهم الكون كما أن الفخر الرازى قد بنى تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) انطلاقا من هذه الفكرة . ويقول الشيخ – أدام الله فى عمره ونفعنا بعلمه– إن الجمع بين القراءتين كان هو المنهجية البارزة للصدر الأول ، وكان مصدر قوتهم المتمثل فى الربط بين النص والواقع بطريقة جعلتهم يفهمون النص فهماً سليماً مكنهم من بناء تلك الحضارة الشامخة التى حققوا

المصنوعات الجاريات بالانفعالات الطبيعيات الروحانيات والجسمانيات العلويات والسفليات المقهورة بقدرة رب البريات ، المسخرات منه بحكم الإرادات والمسببات ، وما دبر فى ذلك من استخراج الأمور الغامضات الخفيات والجليات ، وسائر العلوم الحقيقيات ، وقدَّر فى ذلك من المنافع والمضَّرات والسعادات والشقاوات والحيات والممات والأسقام والصحَّات ومعالجة الأبدان المريضات بالمعالجات الطبيّات ، وقلب الجواهر الخسيسات إلى الجواهر النفيسات ، ولما جرت بذلك العادات وظهر منه عظيم البركات ، استخرت الله تعالى فى جميع ما استطعت من ذلك تأليفه فى هذا الكتاب المبارك ؛ فهذبت كليته وأبعاضه وبيَّنت ذاته وأعراضه بحسب ما ألهمنى الله من التحقيق وهدانى به إلى أوضح الطريق وجعلته مختصرا للأهم مما هو أهم من ذلك ، وصقلت مرآته بالإيجاز للمهتدين ؛ ليسهل درْسه على المنتهين وحفظه على المبتدين ، وسميته : **كتاب كنز العلوم والدر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة** . وقصدت تبييتى فى ذلك وجه الله الكريم ونيل ثوابه العظيم ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ....))[(١١)] . راجيا بذلك أن ينيلنى الله تعالى وإخوانى عظيم فضله وعميم رحمته ، وأن ينفعنى وإياهم بما وضعت من دقائق علمه وحكمته ، وأن يحققنى وإياهم بحقائق معرفته ، إنه مجيب الدعاء فعال لما يشاء وهو على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

=بها شهودهم الحضارى فى العالم قبل أن تظهر تلك العلوم الوسيطة التى تحولت إلى حائل بين العقل المسلم والنص الموحى ، فكان الجمع بين القراءتين للسلف الصالح منهجيته ، التفاعل السليم بين العقل المهتدى والنص المعصوم والواقع المتغير تفاعلاً جعل من فقه التنزيل وفهمه وآليات ربطه بالواقع وترشيد سبل الحياة بقيمة الأساس السليم للحضارة . [الجمع بين القراءتين قراءة الوحى وقراءة الكون] .

(١١) هو جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى : كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ (١) .

واختصرت الكتاب فى خمسة أبواب والله الموفق للصواب .

الباب الأول : فى علم الشريعة والحقيقة .

الباب الثانى : فى أصل علم الطبائع والمخلوقات من البداية إلى النهاية.

الباب الثالث : فى معرفة العقل والروح والنفس .

الباب الرابع : فى فضائل الآدمى ومعرفة الخالق والمخلوق من صورته .

الباب الخامس : فى استخراج العلوم الغامضة بسر الطبيعة .

الباب الأول

فى

علم الشريعة والحقيقة

اعلم هداك الله تعالى أنى وضعت فى هذا الباب من أصول الدين ما يترقى به السائل إلى مالا نهاية له من حقائق علم الشريعة .

والأصل فى ذلك : أن أصل العلم ومقصوده والمراد منه ؛ هو علم التوحيد الخاص(١٢) ؛ وهو معرفة الله عز وجل وتمييز الخالق من المخلوق ، وتنزيه الله عما سواه ، فذاك هو الدين القيم والصراط المستقيم ، قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنْس إلاَّ لِيَعْبُدون﴾ [الذاريات : ٥٦] . قال بعض المفسرين(١٣) : أى ليعرفونى فيوحدونى . ولذلك بداية ونهاية .

أما البداية : فهى العلم المشروع بالظاهر ، وهو علم الشريعة .

وأما النهاية : فهو العلم المشروع بالباطن ، وهو علم الحقيقة(١٤)

---

(١٢) سُئل الجنيد –رحمه الله تعالى– عن توحيد الخاص ؛ فقال : إن يكون العبد شبحاً بين يدى الله سبحانه ، تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته ، فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده، ووحدانيته فى حقيقة قربه ، بذهاب حسه وحركته لقيام الحق سبحانه فيما أراد منه وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون . [الرسالة القشيرية ص٣٠٠] والمراد : أن يكون العبد راضيا بما يجريه الله تعالى عليه ، مما يرضاه له فرح النفس ، حسن الظن بربه ، أى أن يكون بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدى الله تعالى تجرى عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته .

(١٣) انظر : تفسير الفخر الرازى [٢٣٤/٢٨] . قال الطبرى فى تفسيره : وأولى الأقوال فى ذلك على ما ذكر ابن عباس ؛ وهو : ما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتنا والتذلل لأمرنا . [١٢/٢٧] .

(١٤) علم الحقيقة : مشاهدة الربوبية ، أى رؤيتهما بالقلب وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فأمرها غير مقبول ، وكل حقيقة غير مؤيدة بالشريعة ، فأمرها غير محصول . والشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضا شريعة من حيث إن المعارف به سبحانه أيضاً وجبت بأمره .[الرسالة القشيرية ص٣٨، كشاف إصطلاحات الفنون ٨٦/٢] .

وهما. متلازمان متفقان على الشريعة ظاهراً وباطناً ؛ لأنه لابدَّ لكل بداية من نهاية ولكل ظاهر من باطن ، كما لابد لكل حق من حقيقة ، ولهما ماهية وكيفية وكمية .

أما الماهية(١٥) : فاعلم أن العلم يترقى فى ثلاث درجات(١٦) ، ماهيات للعلم ، وهى : العلم ثم المعرفة ثم المشاهدة .

أما العلم(١٧) : فهو علم الشريعة .

---

(١٥) ماهية الشىء : مابه الشىء هو هو ، وهى من حيث هى هى لا موجودة ولا معدومة ، ولا كلى ، ولا جزئى ، ولا خاص ، ولا عام ، والماهية تطلق غالباً على الأمر المتعقَّل مثل المتعقّل من الإنسان ، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجى .[التعريفات للجرجانى ص٢٥١] .

(١٦) يشير الأستاذ الدكتور : على جمعة فى كتابه (علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية ص٢٥) إلى الفرق بين الواقع ، ونفس الأمر -الذى أشار إليه المصنف ؛ صاحب الكنز، بعلم الشريعة أو الدرجة الأولى من الماهية ، وهى العلم- أمّا نفس الأمر المتعلق بحقائق الأشياء -وهى الدرجة الثانية والثالثة من الماهية أى ؛ بالمعرفة، والمشاهدة ، كما أشار ابن تومرت -فيقول الدكتور على جمعة : يختلف إدراك الإنسان له عبر الزمان وحسب كمِّ المعلومات التى لديه وطريقة وصول المعلومات ، فعليه يختلف إدراك الناس وتتفاوت بحسب مكان كل منهم ، وهو يظهر جليا فى الفرق بين إدراك أبو بكر الصديق وبين إدراك أحد من عامة المسلمين . وذلك ما رسمه المصنف بالحقيقة والمشاهدة . ويقول الشيخ على جمعة فى كتابه السابق الذكر: فإن النصوص الشرعية ينبغى أن تتعلق فى خطابها العام للكافة بالواقع بصورة أصلية، ولا تتعلق بنفس الأمر إلا بصورة ثانوية وأظن أن هذا الفهم يحل مشكلة العلم والدين التى نشأت من صدام النصوص المحرفة للوحى فى الغرب مع الحقائق المتتالية المدركة بالتجربة والحس أى مشكلة العلم والدّين .

(١٧) العلم : هو إدراك الشىء على ما هو عليه . والمراد : الدرجة الأولى من مقصود الحكمة ، وهى إدراك الشريعة الظاهرة التى جاء بها النبى ﷺ ، والتى نجد المؤلف يعادل هذه الدرجة من الماهية بظاهر الإسلام . [التعريفات للجرجانى ص١٩٩] .

وأما المعرفة[١٨] : فهى علم الحقيقة .

وأما المشاهدة[١٩] : فهى حقيقة الحقيقة وطريق العبد السالك أن يطابق العلم بالعمل عقيدة بالجَنَان وعملاً بالأركان[٢٠] فى ثلاث درجات أيضا وهى : الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان .

أما الإسلام : فهو ما اعتقده الظاهر بعلم اليقين من علم الشريعة عند بداية العلم .

وأما الإيمان : فهو ما اعتقده الباطن بعلم اليقين من علم الحقيقة عند المعرفة.

وأما الإحسان : فهو مطابقة العلم بالعمل من حقيقة الحقيقة عند المشاهدة. وذلك هو حق اليقين[٢١] والدين القيم الخالص والاستقامة مع الله عز وجل .

---

(١٨) المعرفة : هى إدراك الشىء على ماهو عليه ، فهى ترادف العلم ، وإن تعدت إلى مفعول واحد والعلم إلى اثنين . وقيل هى مسبوقة بجهل ، بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى : بالعالم دون العارف وهى الدرجة الثانية من الماهية من مقصود الحكمة كما أشار المؤلف . [التعريفات للجرجانى ص٢٨٣] .

(١٩) المشاهدة : تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزائه على رؤية الحق فى الأشياء وذلك هو الوجه الذى له تعالى بحسب ظاهريته فى كل شىء . [التعريفات للجرجانى ص٢٧٤] .

(٢٠) وفى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ((الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان)) . أخرجه ابن ماجة ، المقدمة ، باب فى الإيمان(٦٥) .

(٢١) اليقين : هو العلم الّذى لا يداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ، ولا يُطلق فى وصف الحق سبحانه لعدم التوفيق : وعلم اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان ، والثلاث أوصاف جاءت فى القرآن الكريم قال تعالى ﴿**لو تعلمون علم اليقين**﴾ [التكاثر:٥] . وقال تعالى ﴿**لترونها عين اليقين**﴾ [الواقعة :٩٥] . [الرسالة القسيرية ص٨٥] .

وقد ندب الله عز وجل إلى جميع ذلك ونبه عليه بمحكم كتابه العزيز .

فقال الله تعالى فى الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾[آل عمران:١٩].
وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران :٨٥] .

وقال تعالى فى الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِه وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء :١٣٦].

وقال تعالى فى الإحسان[٢٢] ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١] . وقال تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود :١١٢] . قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأحقاف :١٣] وقال تعالى﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاة وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البينة :٥] . أى طريق المستقيمة .

فهذه ثلاث درجات ، كما ذكرنا على منهج الكتاب العزيز وتؤيده السنة بقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم حين أتاه جبريل عليه السلام فى صورة أعرابى يسأله عن الدين ، فقال : يا محمد ، أخبرنى عن الإسلام ، فقال: ((نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت الحرام)) . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرنى عن الإيمان ، قال : ((تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر خيره وشره)) . قال : صدقت يا محمد ، فأخبرنى عن الإحسان ، قال : ((تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) . قال : صدقت يا محمد، فأخبرنى عن الساعة ، قال:

---

(٢٢) راجع تفسير الطبرى [٢٦٩/٧] ، تفسير الفخر الرازى [٨٣/٧] .

((ليس المسئول عنها بأعلم من السائل)) . قال: صدقت يا محمد ثم خرج . فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ((أتدرون من السائل؟)) قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : ((هو أخوكم جبريل أتاكم ، ليعلمكم دينكم))(٢٣) .

فحقيقة الإسلام(٢٤) : قيام البدن بوظائف الأحكام الدينية .

وحقيقة الإيمان(٢٥) : قيام القلب بوظائف الاستسلام .

وحقيقة الإحسان(٢٦) : قيام الروح بمشاهدة الملك العلام .

---

(٢٣) أخرجه البخارى ، كتاب الإيمان ، باب سؤال حبريل النبى ﷺ [٥٠] وفى كتاب التفسير ، باب إن الله عنده علم الساعة (٤٧٧٧) عن أبى هريرة رضي الله عنه وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان [١/٨] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢٤) الإسلام : الخضوع والانقياد ، والاستسلام لله عز وجل باتباع ما جاء به الرسول ﷺ؛ من الشهادة باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح . [الموسوعة الفقهية ٤/٢٥٩] .

(٢٥) الإيمان : هو تصديق القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، والإقرار باللسان والعمل به. والإيمان درجات بحسب قوة التصديق لوضوح الأدلة وجودة الفهم ، ويزيد الإيمان بالطاعات وينقص بالمعاصي ويتفاضل الناس فيه . قال تعالى ﴿**فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا**﴾ . وإذا اقترن الإيمان بالإسلام ، فإن معناها يقتصر على تصديق القلب ، كما فى حديث جبريل لسؤال النبى ﷺ . وإذا انفرد الإيمان يكون حينئذ بمعنى الاعتقاد بالقلب ، والتصديق بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره مع الانقياد .[الموسوعة الفقهية ٤/٣١٥ ، فتح البارى ١/٤٦/٤٧ جامع العلوم والحكم ص٢٢] .

(٢٦) الإحسان : الإحسان أخص من الإيمان فكل محسن مؤمن وكل مؤمن مسلم ولا عكس . والإحسان هو التحقيق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة، أى يراه يقيناً ولا يراه حقيقة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ((تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) . [فتح البارى ١/٤٨ ، التعريفات ص٢٧] .

وهذا كله لا يصح إلا بالعلم ومعرفة المعلوم ؛ لأن من جهل شيئاً أنكره، فلا تصح العبادة إلا بمعرفة المعبود . فإذاً لابد من العلم ؛ حينئذ ضرورة ، وهو ما قدمنا أصله فى الماهية وننبه عليه فيما بعد .

وأما الكيفية(٢٧) : فاعلم أن العلم فى نفسه ؛ هو مسموع ومنظور ومعقول.

فأما العلم المسموع : فهو ما سمع من الكتب وجاءت به الرسل ؛ من جمال أسماء الله وكمال صفاته ، وجلال عظمة ذاته ، وأمره ونهيه ، ونحو ذلك كقوله تعالى ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ معناه : استفتح الله العظيم الأعظم باسمه الذى إذا دُعى به أجاب وإذا سُئل به أعطى ، رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، لا رحمن فيهما ولا رحيم إلا هو(٢٨) .

وقوله تعالى ﴿الم اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الحَىُّ القَيُّومُ﴾[آل عمران:١] . فمعنى ﴿**الم**﴾ أنا الله أعلم . ومعنى ﴿**الله**﴾ إله الآلهة ، فهو إله كل شىء وخالقه ، ورب كل شىء ومالكه . ومعنى ﴿**لا إله إلا هو**﴾ أى : إله واحد لا شريك له فى إلهيته وتدبير ملكه ، فهو منفرد بالوحدانية فى ذاته وصفاته وأفعاله . ومعنى ﴿**الحى**﴾ المنزه بدوام الحياة عن الفناء ومعنى ﴿**القيوم**﴾ أى القائم بتدبير خلقه الموجود أبداً المتفرد فى ملكه وعظمته وقدرته بدوام البقاء(٢٩) .

---

(٢٧) الكيفية ؛ من الكيف وهى : هيئة قارة فى الشىء لا يقتضى قسمة ولا نسبة لذلك فقوله هيئة : أى تشتمل الأغراض كلها ، وهى أربعة أنواع : كيفية محسوسة ؛ كحلاوة العسل وملوحة ماء البحر ، ويسمى انفعاليات راسخة وأمَّا الإنفعالات الغير راسخة كحمرة الخجل لكونها أسباباً لانفعالات النفسّ . الثانية : الكيفيات النفسانية كصناعة الكتابة للمتدرب فيها وتسمى ملكات راسخة ، والغير راسخة تسمى حالات كالكتابة لغير المتدرب – الثالثة: الكيفيات المختصة بالكميات – الرابعة : الكيفيات الاستعدادية .[التعريفات للجرجانى ص٢٤٢] .

(٢٨) راجع تفسير البيضاوى ، روح المعانى للألوسى [٤٣/١] .

(٢٩) قال الطبرى فى تفسيره : فإنه خبر من الله عز وجل أخبر عباده أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد . تفسير الطبرى [١٦١/٣ ، روح المعانى للألوسى ٧٥/٣] .

ومثل قوله تعالى ﴿لَّاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] . فمعنى ﴿لا تدركه الأبصار﴾ : التنزيه لذاته عن الإدراك، فهو المنفرد بعلم ذاته عن المخلوقات ، ومعنى ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ ؛ أى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . ومعنى ﴿اللطيف﴾ الملاطف بالرحمة كرماً منه وتفضلاً على كافة خلقه ومعنى ﴿الخبير﴾ هو الخبير بكل شىء فيما يصنع ، فلا شريك له فى ملكه[٣٠] .

ومثل قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. فمعنى ﴿ليس كمثله شىء﴾ التنزيه ؛ أى لا يشبهه شىء فى ذاته ، ولا فى صفاته، ولا فى أفعاله ؛ فهو منزه بالكلية عن جميع خلقه فى ذلك . ومعنى ﴿وهو السميع البصير﴾ أى : لا يفوته شىء ولا يخفى عليه شىء ولا يعزب عنه شىء ولا يشغله شىء عن شىء .

ومثل قوله تعالى ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالأَخِرُ وَالظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد :٣] .[أى] هو ﴿الأول﴾ بلا بداية ﴿والآخر﴾ بلا نهاية ، ومعنى ﴿الظاهر﴾ أى: الموجود فى كل شىء بإيجاده إياه ؛ لأنه صانعه والصنعة[٣١] دليل على الصانع . ومعنى ﴿الباطن﴾ : المستولى بالعلم والقدرة والحول والقوة . ومعنى ﴿وهو بكل شىء عليم﴾ أى : أحاط بكل شىء علماً، وأحصى كل شىء عدداً .

---

(٣٠) انظر : تفسير الطبرى [٢٩٩/٧] .

(٣١) أى خلقه وهيئه على مثال مستقيم . ذهب الموحدون إلى أن الصانع خلق الأجسام والأعراض ابتداءاً من لا شىء وقالوا : لم تكن الحوادث قبل حدوثها أشياء ولا أعيان ولا جواهر ولا عوارض ، وبعد أن أحدثها صانعها - يصح منه نقلها من صورة إلى صورة ، وإخراج جنس مخصوص من بين جنسين مختلفين فى الصورة كإخراج البغل من الفرس والحمار . [أصول الدين لابن طاهر ص٧٠] .

ومثل قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك :١] . أى : تبارك وتنزه وتملك كل شىء بقدرته ، ولا يخرج شىء عن قبضته ، ولا حول عن معصيته ، ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته . ﴿وهو على كل شىء قدير﴾ .

ومثل قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] . فمعنى ﴿الأحد﴾ أى : هو واحد من جهة العدد لا ينقسم إلى أشياء كثيرة ، وبسيط فى أوليته لا يتركب ، ولا يختلط بالمركبات ، ولا يتنوع ، ولا يختلط بالأنواع ، ولا يتغير ، ولا تدركه التغيرات كالأشياء المحدثات ؛ بل هو قديم منفرد بالوحدانية ، فهو واحد فى ذاته وصفاته وافعاله . ومعنى ﴿الصمد﴾ أى : ليس بطاعم ولا شارب ، ولا تلحقه الزيادة والنقصان كغيره أيضاً . ومعنى ﴿لم يلد﴾ أى ليس بوالد كما زعم أهل الشرك الملحدون به ﴿ولم يولد﴾ أى : ليس بمولود كما زعموا أيضاً . ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ أى: لا يضاده ، ولا يماثله ، ولا يقوم مقامه شىء البتة . فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وكفى به ربًا ووليا ، وهو العلى العظيم(٣٢) .

ومثل قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١] . أمرهم بعبادته وحده لا شريك له ، ثم نزه نفسه عن الشرك .

ومثل قوله تعالى ﴿واعْبُدُوا اللهَ ولاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء : ٣٦]. أمر بطاعته ولزوم عبادته ، ونهى عن معصيته وعن الإشراك به ، ونحو ذلك من صفات الله تعالى ، وما أحكمه فى كتابه من الدلالة على وحدانيته

---

(٣٢) راجع تفسير الطبرى فى الكبير والفخر الرازى والقاسمى . تفسير سورة الإخلاص.

وعظمته وقدرته ونهيه وتنزيهه عما سواه ، ونحو ذلك مما أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، فهذا كاف فى كيفية المسموع شرعا .

وأما العلم المنظور : فهو ما كتبته يد القدرة الإلهية بغير آلات وسطرته إرادة الله عز وجل من جميع مخلوقاته ليقرءه أولوا البصائر والألباب من جميع الموجودات المخلوقات الكائنات فى جميع الوجود ، مما شاهدته العيون وخفى عنها من الانفعالات الطبيعيات الجاريات بالانتقالات والتغيرات فى العوالم العلويات والسفليات فى جميع أماكنها وأزمنتها ،وما أودع الله فيها من خير أو شر أو نفع أو ضر أو سعد أو نحس أو حياة أو موت أو صحة أو سقم ، وأجراها فى ذلك على مشيئته وإرادته وقوته فدلَّ بها على معرفته وحكمته ونبَّه عليها بقوله تعالى ﴿**أولَم يَنْظُرُوا فى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ والأَرضِ وَمَا خَلَقَ الله مِنْ شَىءٍ**﴾ [الأعراف :١٨٥] .

وقوله تعالى ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنْفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ**﴾ [الروم :٨].

وقوله تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ أَيَاتِنَا فِى الآَفَاقِ وفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقّ**﴾ [فصلت : ٥٣] .

ومثل قوله تعالى ﴿**وَفِى الأَرْضِ أَيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات : ٢٠-٢١] ونحو ذلك من الآيات الدالة على بديع صنعته وتدبير ملكه وحكمته فهذان العلمان -أعنى : المسموع ، والمنظور - هما علم الشريعة الظاهرة بعلم اليقين ، كما قدمناه والله سبحانه عز وجل أعلم.

وأما العلم المعقول : فهو شريعة باطنة مؤيدة للشريعة الظاهرة حتى يفضى إلى حق اليقين ، وذلك ما حكم به العقل النورانى فى القلب الإنسانى

الذى جعله مرآة للعارف يميز به الحق من الباطل بالنظر الحقيقى ؛ لأن الله تعالى لما أرسل رسلا ظاهرة بما تجهله النفس الأمارة بالسوء من العلم الظاهر ، وقاسته بقياسها الفاسد على طبعها الكثيف الذى أودعه الله تعالى فيها لما شاء من علمه لم يكن ذلك كافياً فى حق الجاهل الكثيف الطبع ؛ لأن من جهل شيئا أنكره . ولذلك كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: ((اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون))(٣٣) . أى ألهمهم الصواب بنظر العقل الحقيقى ؛ لأن العقل : نور إلهامى عاقل لجميع الأشياء أى جامع لها – كما سنذكر إن شاء الله تعالى – فالعقل حينئذ جعله الله تعالى رسولا باطنا مؤيِّدا بالنظر الحقيقى لما جاء به النبى صلى عليه وآله وسلم مبلغاً عن الله تعالى بغير واسطة نبيٍ مرسلٍ ولا ملكٍ مقربٍ إلا روح الله الذى يلهم العقل –كما سنذكر إن شاء الله تعالى فى موضعه– قال الله تعالى ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء :١٦٥] . أى: الظاهرة والباطنة كجبريل عليه السلام والأنبياء المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، والعقل الراجح بالنظر الحقيقى ؛ لأن العقل قد صار أيضاً من جملة الرُسل ؛ لتمييزه الحق من الباطل ، وتأييده للنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

والعاقل : هو الذى إذا سمع شيئاً ، أو رآه ، أو دعى إليه ، أو أمر به ، أو نهى عنه ، وكان ذلك الشىء مخالفا لطبع نفسه ، أو موافقاً لها ولم يدر أن الصواب المجىء إليه أو النفور عنه دَبَّرَهُ أولاً بنظر العقل الذى أودعه الله تعالى فيه لذلك ، وتفكر فى عاقبته وحقيقة معرفته ، وما يؤول إليه من الصواب والخطأ ، والضلال والهدى . فيميزه بعقله العاقل لجميع الأشياء ،

---

(٣٣) ذكره الزبيدى : [إتحاف السادة المتقين ٣٥٨/٨] ، وأورده السيوطى ، وهو جزء من حديث طويل فى الدر المنثور [٢٩٨/٢] وعزاه لابن مردويه والضياء فى المختار عن ابن عباس .

ففاز حينئذ بمعرفة ذلك الشيء وعلم حقيقته وظفر بسلامة عاقبته ، فما حكم به العقل النورانى فى القلب الإنسانى ، فهو علم الحقيقة الباطن شرعاً ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وطريق السالك فى ذلك : أنه إذا دعاه الله تعالى إلى طاعته بالعِلْمَيْن المتقدِّمَيْن اللذين هما : المسموع والمنظور ، ثم أحتجبت النفس عن ذلك وأنكرته؛ لعظمها وكثافة طبعها المجبول على الجهل والهوى ، فهى على الحقيقة : النفس الأمارة بالسوء – كما ذكر الله تعالى – والقدوّة الشديدة العداوة كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((أعدى أعدائك نفسك التى بين جنبيك))[٣٤] . فتستحق المجاهدة حينئذ ؛ لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ﴾ [التوبة :١٢٣] . وهى أقرب مَنْ يلى الإنسان من الأعداء على الحقيقة ؛ لأنها داخلة فى باطنه تدعوه إلى الكفر والضلالة والمعصية ؛ لتورده إلى المهالك فهى أعدى الأعداء . وأقربهم منه ؛ لكونها باطنة فى داخله والعدو الباطن أضر من العدو الظاهر ؛ ولهذا هى أضر من الشيطان الذى هو أعدى الأعداء الظاهرين ، لأنه أيضاً أقربهم ؛ لكونه جاثما على القلب من خارج يوسوس للنفس بالسوء وفعل المعاصى ، وقد حرَّض الله تعالى على عداوته ونص عليها فى محكم كتابه بقوله تعالى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر :٦] .

---

(٣٤) انظر : إتحاف السادة المتقين للزبيدى [٣٣/٩ ، ٧ / ٢٠٦] ، المغنى عن حمل السفار للعراقى [٤/٣] ، قال : فى كشف الخفا : رواه البيهقى فى الزهد بإسناد ضعيف . وما أحسن ما قيل :

إِنِّى بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِطوا   إلاّ لأجْلِ شَقَاوتِى وَعَنَائى
إبْليسُ والدنيا وَنَفْسِى والهوى   كَيْفَ الخَلاَصُ وكُلهمُ أَعْدَائى

والأصل فى ذلك : أن العقل والإيمان فى داخل القلب . والنفس : ساكنة فى الدماغ محتوية على جميع الحس والحركة فى البدن ، وطرفها اللطيف من حيز العقل متصل بالروح والإيمان اللذين فى القلب ، وطرفها الكثيف من حيز الجسد مما يلى الشيطان فهى تارة تنجذب إلى العقل والإيمان وتارة تنجذب إلى المعاصى وفعل الشيطان .

ومثل الجميع : كقوم أعداء فى قصر ؛ وهو القلب ، والقصر فى مدينة؛ وهى الجسد ، فإن غلب العقل والإيمان على النفس حتى استأسراها وجذباها[٣٥] إلى طبعهما الصالح هرب الشيطان وصلح ذلك الجسد ، وإن مالت النفس الشهوانية الآمرة بالسوء إلى المعصية وفعل الشيطان ضعف العقل والإيمان .وفسد ذلك الجسد وكانت سبباً لهلاكه .

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :((إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب))[٣٦] . وإن وقعت الموازنة والمغالبة فالمحاربة باقية ، وإلى ذلك أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله حين رجع من غزاة الكفار :((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر))[٣٧] . يعنى : جهاد النفس ، فحينئذ ينبغى أن ينزل إليها ضرغام العقل على جواد قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت : ٦٩] . فيضربها بسيف الحقيقة القاطع لدروع الجهل ، فيقول لها : لِمَ لا تطيعى من خلقك وخلق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، وهو الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له . فإن قالت : ما الدليل على ذلك ؟ .

---

(٣٥) فى النسخة (ع) : وجدا .

(٣٦) أخرجه البخارى ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه [٥٢] .

(٣٧) ذكره العراقى فى المغنى عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٧/٣] ، والزبيدى فى الإتحاف [٣٧٩/٦] ،وكشف الخفا [٥١١/١] ، وقال نقلاً عن ابن حجر: هو مشهور على الألسنة ، وهو كلام إبراهيم بن علية ،ورواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر.

قيل لها : إنه لابد لكل مخلوق من خالق خلقه ، ومصوِّر صوَّره ؛ لأنه لا يخلق شيءٌ نَفْسَه البتة . فإن سلمت هذا وأقرت به . قيل لها : أفأنت خالقه أم مخلوقه ؟ فإن قالت : خالقه عرضت عليها ذرة من خلق الله عز وجل ، وقيل لها : اخلقي مثل هذه الذرة ؛ فضلا عن أن تخلقين فيلا أو تخلقين جملا، أو جبلا ، أو السماوات أو الأرض وما بينهن وما فوقهن وما تحتهن من المخلوقات معاً ، فإن عجزت عن خلق ذرة ثبت أنها مخلوقة ضعيفة عاجزة ، مثل تلك الذرة فى الضعف والعجز ، وقامت الحجة عليها وعلى جميع المخلوقات لضعفهم وعجزهم ، وثبت وصح أن الله تعالى هو خالقهم ومصورهم ومالكهم ومدبرهم وهو على كل شيء قدير .

وتميز[٣٨] هو عنها وعن جميع المخلوقات بالإلهية والوحدانية والعلم والقدرة والقهر ، وتنزه عنهم بالكلية فى ذاته وصفاته وأفعاله . فإن قالت بجهلها : هل هو واحد أو اثنان أو أكثر ؟ قيل لها : هو واحد لا شريك له فى ملكه ، فإن قالت : ما الدليل على ذلك ؟ .

قيل لها : لو كان اثنين ؛ لكان أحدهما مفتقراً إلى الآخر للمشاركة فى تدبيره الملك ، فهو أيضا ضعيف عاجز ، والضعيف العاجز المفتقر إلى غيره ليس بإله البتة ، وكذلك لو كان ثلاثة أو أكثر لكانوا أضعف كلما كثروا فقد صحت الوحدانية لله عز وجل ، وثبت أنه إله واحد لا شريك له فى ملكه ولا يخرج شيء عن قبضته ، ولا يتحرك متحرك بخير أو شر ، ولا يسكن ساكن إلا بحوله وقوته وقدرته ، فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فى وحدانيته ﴿مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللـهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون :٩١-٩٢].

---

(٣٨) فى النسخة (غ) : يميز .

فإن قالت أيضاً بجهلها : هل له بداية أو نهاية ؟ وهل هو شيء كالأشياء ؟ وهل له مكان يحده ؟ وهل يُدْرك بحسٍّ أو يقاس بقياس حسى ؟

قيل لها : إن الخالق منزه عن المخلوق البتة فى ذاته وصفاته وأفعاله لا يشبهه شيء البتة ، فهو أول بلا بداية وآخر بلا نهاية ، وهو شيء معلوم الوجود بالذات من حيث هو ، وبالصفات والأفعال من حيث المخلوقين ، ولكن ليس كالأشياء المحسوسات بجوهر ظاهر أو باطن ، ولا يقاس بشيء من ذلك العلم ؛ بل هو موجود بالعلم والقدرة فى جميع الأشياء ؛ لأنه صانعها والمصنوع دليل على الصانع، وخالقها على الحقيقة ؛ إذ لابد لكل مخلوق من خالق ، والخالق ليس كالمخلوق البتة . فهو متنزه بذاته عن الحس وبصفاته عن الجنس ، وبأفعاله على العكس قريب من الأشياء لا يدرك فى قربه بقرب المسافة ، ولا فى إيصاله بالحلول واللمس وبعيد من الأشياء ولكن ليس كبعد المسافة فلا يدرك فى بعده بالانفصال والانتقال والعدم ، وكما تنزه عن كل شيء بكمال صفاته ، كذلك تفرد عن كل شيء يعلم ذاته ، فلا يُعلم أين هو ، ولا ماهو ، ولا كيف هو إلا هو .

فإنه لم يبق له حجة إلا مسألة الشيطان الكفرية ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((لا يزال الشيطان بأحدكم يقول : من خلق كذا من خلق كذا، وهو يقول : ربك ربك حتى يقول : من خلق ربك ، فإذا قال ذلك فإنما هو الشيطان . فليقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له))[٣٩] .

وذلك أن الله عز وجل قد ثبت بالحجة الواضحة : أنه إله كل شيء

---

(٣٩) أخرجه أحمد فى مسنده [٢/٣٧٩] من حديث أبى هريرة ، وأخرج البخارى فى صحيحه [٧٢٩٦] حديثاً بمعناه ، قال أنس : قال رسول ﷺ ((لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء . فمن خلق الله)) .

البتة ، ومنزه عن كل شيء البتة، فليس بمخلوق البتة ؛ لأن كل مخلوق يعتريه ويلحقه النقصان والزيادة والبداية والنهاية بحدوثه من خالقه ، فلا يشاكله شيء البتة .

والله تعالى هو خالق المخلوقات المحدثات ، وخالق النقصان والزيادات، وخالق البدايات والنهايات . فهو متنزه عن جميع ذلك بالكلية فلا بداية ولا نهاية فله القدم الكلي ودوام الوجود الكلي ولابد من هذا ضرورة ؛ لأنه لو كان مخلوقا لدخل فى حكم المخلوقات من جميع الجهات ، واحتمل البدايات والنهايات ، وانعدمت عنه صفات الخالق البتة وإذا انعدمت صفات الخالق لم يكن فى الوجود خالقا البتة ، وإذا لم يكن فى الوجود خالقا لم يكن مخلوقا البتة ، ووقع العدم الكلى وهذا باطل بوجود الله الكلى .

قد ثبت وصح بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة أن الله عز وجل ليس بمخلوق البتة ، بل هو خالق كل شيء البتة ومُوجِد كل موجود البتة ، فهو علة العلل البتة .

تنزه عن إدراك ذاته : فقال تعالى ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام :١٠٣] . وتنزه عن إدراك صفاته : فقال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] .

وتنزه عن إدراك فعله : فقال تعالى ﴿لا يُسْئَلُ عَمَا يَفْعَل وَهُمْ يُسْأَلُون﴾ [الأنبياء :٢٣] .

وتنزه عن المشاركة والعجز : فقال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] .

فإذا استقر هذا العلم عرف العارف به : أن الله تعالى أقام إرادته مقام ذاته فتجلى بماحسن صفاته فى جميع موجوداته ، فهو معلوم الوجود ، خفى الذات ظاهر الفعل ، كامل الصفات ، لا تدركه الحواس ، ولا يشتمل عليه القياس ، أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عددا ، وهو على كل شيء قدير .

فهذه حقيقة الشريعة وأصول علوم الدين البديعة ونهاية العلم المعقول الذى قَرَنَ العلم والمعرفة بإشارة الكيفية العقلية .

وأما الكمية(٤٠) : فقد ثبت أن درجات العلم ثلاث :

علم الشريعة : الذى هو بداية العلم .

وعلم الحقيقة : الذى هو المعرفة والنهاية .

وعلم المشاهدة : الذى هو حقيقة الحقيقة ونهاية النهاية .

والأصل فيه : أن العبد السالك لما لم تصح عبادته إلا بمعرفة المعبود وترقْى من العلم إلى المعرفة بطريق التمييز بين الخالق والمخلوق ، عرف نفسه بالعبودية والعجز والفناء ، وعرف ربه بالربوبية والقدرة والبقاء ، فصار هو العارف حقا ، كما قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))(٤١) .

وفى حديث آخر : ((أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه))(٤٢) .

---

(٤٠) من الكم : وهو العرض الذى يقتضى الإنقسام لذاته ، وهو إمّا متصل أو منفصل لأن أجزاءه إمّا أن تشترك فى حدود ؛ يكون كل منها نهاية جزء ، وبداية آخر ، وهو المتصل، أولا ، وهو المنفصل ، كما أن الكمية : ما به ، يجاب عن السؤال بكم. [التعريفات للجرجانى ص٢٣٩] .

(٤١) ذكره صاحب كشف الخفا [٢٦٢/٢] وقال : قال النووى : ليس بثابت ، قال ابن تيمية موضوع . وقال أبو المظفر بن السمعانى فى القواطع إنه لا يعرف مرفوعاً . وإنما يحكى عن يحى بن معاذ الرازى . وللحافظ السيوطى فيه تأليف لطيف سماه القول الأشبه فى حديث (من عرف نفسه فقد عرف ربه) وهو ضمن كتاب الحاوى فى الفتاوى .

(٤٢) ذكره العجلونى فى كشف الخفا [٢٦٢/٢] فى باب أدب الدُّنيا والدِّين من رواية عائشة.

فلما عرف ذلك أقام نفسه مقام ذل العبودية بحق عظمةِ الربوبيةِ فقط. مفتقرا إلى الله تعالى بالكلية ، واقفا بين يدى رحمته وخوف هيبته منزها لله عما سواه ، لا يَفْقِدُهُ حيث أمره ولا يجده حيث نهاه ؛ فانيا عن دعوى نفسه بحقيقة معرفته بربه فى فج التنزيه بعد التمييز ؛ لعجزه وافتقاره وذل عبوديته، فلا سبيل له إلى إدراك حقيقته بعد هذا ؛ لأنه كلما حقق عجز نفسه كان أعجز؛ وكلما قدر لكمال صفات الله تعالى حقيقة ؛ كان الله تعالى أعظم وأقدر وأجلّ وأكبر مما قدر.

وكذلك أيضاً كلما قدر لذات الله تعالى صورة فى نفسه ؛ رجعت تلك النسبة -المصورة- إلى نسبة المخلوقين وصفاتهم ، فهى مخلوقة على الحقيقة، وعابدها عابد صنم ؛ لأن الله تعالى بخلاف ذلك ؛ إذ لا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام والأفكار (٤٣) .

وكما ليس كمثله شيء ، ولا يشبهه شيء فكذلك لا يسعه شيء ولا يحيط به شيء ؛ لأنه بخلاف كل شيء ، واسع لكل شيء ، ومحيط بكل شيء، وهو على كل شيء قدير .

فالنفس هاهنا فانية عن الإدراك لا حركة لها إلى دعوى فى معرفة

---

(٤٣) والدليل على أن الله واحد فى ذاته ليس بذى أجزاء ولا أبعاض أنه قد صح أنه حى قادر عالم مريد ، فلو كان ذا أجزاء وأبعاض لم يخلو من أن يكون فى كل جزء منه حياة ، وقدرة ، وعلم ، وإرادة ، أو تكون هذه الصفات فى بعض أجزاءه ، فإن كان فى كل جزء منه بعض هذه الصفات كان كل جزء منه حياً قادراً عالماً مريداً بإنفراده؛ ولو كان كذلك لصح وقوع الخلاف بين أعضائه حتى يريد بعضه شيئاً ، وبعضه يريد ضد ذلك المراد وخلافه ، فتتمانع أعضائه . وإن كان تلك الصفات لبعض أعضائه وجب قيام أضداد تلك الصفات بالباقية من أعضائه ، فكان يكون بعضه حياً عالما مريداً وبعضه ميتاً وعاجزاً وجاهلاً ساهياً ؛ وهذا محال . [أصول الدّين لابن طاهر ص٥٧] .

حقيقته البتة ، فهى محجوبة بحجاب العظمة مقهورة بيد القدرة راجعة إلى القهقرى بالعجز عن الإدراك ، فمن جاوز ذلك حُرِق . ومن غاص فى بحره غرق . فما يُدْرَكُ علم ذاته ولاكُنْهَ صفاته ، ولا الثناء عليه إلا هو .

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))[(٤٤)] .

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : العجز عن إدراك الإدراك إدراك .

فالواصلون قاصرون عن إدراك حقيقته ، تائهون فى بحار معرفته ، مزمومون بزمام توفيقه وإرادته ، مقهورون بحجاب عظمته وقدرته ، ألهمهم السلوك إلى تحقيق معرفته فسلكوا .

فلما حققوا فناء أنفسهم فى بقاء وجوده هلكوا .

فحين تحيروا وانقصروا[(٤٥)] خروا له سجدا فى المعرفة بعد أن تطهروا من دنس الشك ، وألزموا أنفسهم عبادته الخالصة ، فصلوا إلى قبلة وجهه ، وصاموا عما سواه ؛ فهم الأحرار الأبرار الذين صحت عبادتهم بعد معرفة المعبود ، فنالوا كل المنى والمقصود .

ومنهم أولياء الله المقربون المجذبون بعنان التوفيق ؛ فهم أهل المشاهدة والتوفيق والتحقيق . لما وصلوا إلى درجة المعرفة بالله عز وجل قالوا ﴿رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] . وتحيروا فهاموا فأدار عليهم كؤوس فضله[(٤٦)] ، وأفناهم عنهم به ، واختصهم لقربه وجعلهم من حزبه ، فأقعدهم على بساط أنسه، وأشهدهم حضرة قدسه فصحت مشاهدتهم بعد فناء أنفسهم .

---

(٤٤) جزء من حديث أخرجه مسلم (٢٢٢) وأبو داود فى الصلاة (١٤٨) ، والترمذى الدعوات (٣٤٩٣) عن عائشة رضى الله عنها .

(٤٥) انقصروا عن الشىء : أى تركوه وهم لا يقدرون عليه .

(٤٦) فى النسخة (ك) : حبه .

فلسان ترجمان صفة الرحمن ، يثنى على نفسه بلسان أحدهم حين استيلائه عليه وإفنائه إياه يقول : أنا الله سبحانى ما أعظم شأنى . وذلك بعد ترقى أحدهم فى درجات العبادة الخالصة بنوافل فناء النفس التى هى أفضل القربة إلى الله عز وجل .

فلما فنيت فى وجوده اتصف هو بها ، فقال تعالى : ((**لا يزال العبد يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، ويصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به**))(٤٧) . فحينئذٍ صحت مشاهدته التى هى حقيقة الحقيقة والله أعلم شعر :

يا من تعرَّف لى به فَعَرفْتُهُ	وبه المحبةُ حين أنْ أحببتُه
أنت الذى فى كلّ كلّى حاضرُه	أشهدتنى وجْدِى فمنك شهدتُه
فالوجْدُ منّى والوجودُ جميعُهُ	أفنيته فعلى الحقيقة أنتَ هو

فهذه طريقة العبد السالك ووظائفه فى درجات العلم الثلاث -كما وصفنا- وهذا هو الكبريت الأحمر(٤٨) ، والترياق(٤٩) الأكبر المركب من معجون؛ العلم والمعرفة والمشاهدة(٥٠) النافع لأدواء(٥١) القلوب من معصية علام الغيوب فى علم الشريعة والحقيقة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(٤٧) جزء من حديث قدسى أخرجه البخارى بنحوه كتاب الرقاق ، باب التواضع (٦٥٠٢) عن أبى هريرة رضي الله عنه ، وأحمد فى المسند (٦/٢٥٦) .

(٤٨) وردت عبارة (الكبريت الأحمر) فى حديث عن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ قال : ((ما خلق الله فى الأرض شيئاً أقل من العقل، وإن العقل فى الأرض أقلّ من الكبريت الأحمر)) .ذكره صاحب كنز العمال (٧٠٣٩) وعزاه للرويانى وابن عساكر، وهو ضعيف حيث إنه لا يصح حديث فى العقل كما سيأتى .

(٤٩) أى الدواء الأعظم لدرن الشرك ، وما خفى منه .

(٥٠) انظر الهامش رقم ١٩ من هذا الكتاب .

(٥١) إدواء : مفردها داء : مرض .

الباب الثانى

فى

أصل علم الطبائع والمخلوقات

من البداية إلى النهاية

اعلم هداك الله تعالى أن هذا الباب باب جليل القدر فى أصل علم الصنعة(٥٢) ، وكما جعلت الباب الأول أصلا وقاعدة لعلم الشريعة الذى هو أفضل العلوم ، فكذلك أيضا جعلت هذا الباب أصلا وقاعدة لعلم الصنعة ، فهو أيضا من أجَلّ العلوم وأشرفها وغرضى بهذا الباب أيضا فائدتين :

إحداهما : التنبيه على قدرة الله تعالى وعظمته وبديع صنعته ورفيع حكمته الدالة على حقيقة معرفته .

الثانية : أذكر فيها أصولا شتى بنيت عليها باقى أبواب الكتاب ؛ لأنى جعلت باقيه كله فى علم الطبيعة وأودعت فيه علوما جليلة ، فاحرص على ذلك؛ لتفوز بالمطلب الأثنى(٥٣) وتطّلع على المقصد ، والغرض مما أردنا ، فأقول والله الموفق للصواب إن شاء الله تعالى .

إن الله تبارك وتعالى لما كان قبل الأكوان والأزمان قديما فى أزليته ليس معه فى الوجود إلا هو ؛ أوجبت حكمته من غير وجوب عليه أن يخلق المخلوقات ؛ ليدلهم على معرفته بإظهار بديع صنعته ؛ لقوله تعالى ﴿**وما خَلَقتُ الجِنَّ والإنس إلاَّ لِيَعبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦] . أى : ليعرفونى فيوحدونى ، وقال تعالى : ((**كنت كنزا لم أعرف ، فخلقت خلقا وتعرَّفت لهم فبى عرفونى**))(٥٤) .

---

(٥٢) فى النسخة (ك) : الطبيعة .

(٥٣) الثناء للشىء : فعل ما يُشعر بعظمته .

(٥٤) قال ابن تيمية : ليس من كلام النبى ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف . وتبعه الزركشى ، والحافظ ابن حجر ، والسيوطى ، وغيرهم . وقال على القارى : لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ أى ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضى الله عنهما . وهو واقع كثيراً فى كلام الصوفية واعتمدوه وبنوا عليه أصولا لهم [مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧٠/١ ، كشف الخفا ١٣٢/٢] .

فأول ما خلق الله ؛ نوراً من نور وجهه الكريم معتدلاً لا يوصف بحركة ولا سكون ولا حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ، ولا ذكرٍ ولا أنثى ؛ بل جعله أصلا وسببا لجميع المخلوقات وهيولا(٥٥) جامعة لجميع الموجودات ، أودعها فيه جميعا بقوله تعالى ﴿كُنْ﴾ فكان ذلك النور موجوداً بعد العدم ، ثم كانت جميع الأشياء مُوْدَعة فيه بالعلم ، فهي موجودة فيه بالقوة مستعدة بالخروج إلى الفعل بتدبيره الكوني .

وهذا هو نور العقل الكامل الذى هو نور النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى نشأت منه الأنوار وجميع العقول المتفاضلات وجميع المخلوقات للحديث الصحيح الذى رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عن أول شيء خلقه الله تعالى ؟ فقال: ((هو نور نبيك يا جابر))(٥٦) .

---

(٥٥) الهيولى : لفظ يونانى بمعنى : الأصل ، والمادة ، وفى الاصطلاح : هى جوهر فى الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الإتصال والإنفصال محلّ للصورتين : الجسمية ، والنوعية ، أو الأصل الذى يخرج منه جميع الأشياء . [التعريفات للجرجانى ص٩٧] .

(٥٦) الحديث : رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله ، بلفظ قال : قلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال : ((يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن ذلك الوقت ؛ لوح ، ولا قلم ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا ملك ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا شمس ، ولا قمر ، ولا جنى ، ولا إنسى . فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ؛ فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثانى اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ؛ فخلق... إلى آخر الحديث)) . والحديث قال فيه الشيخ الألبانى : من الأحاديث المشهورة على ألسنة الناس وهو حديث باطل فإنه ، صح عن النبى ﷺ قال : ((خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من نار السموم ، وخلق آدم عليه السلام=

وحين خلقه الله خلق معه كل خير ، وأودع فيه كل شيء وهو حديث طويل ساق فيه جميع المخلوقات إلى مولده صلى الله عليه وآله وسلم ، وعليه بنيت كلامى هذا فى جميع هذا الباب ولخصت فيه أشياء كثيرة وأودعت فيه أسراراً غامضة اندرجت تحته ، قد تناولتها من العلوم الطبيعية التى وضعها علماء هذا الفنّ ، وذلك بعد النظر فى مِرْآة عين الحقيقة الجامعة لصور الحقائق .

وقد أجمع العلماء على أن أول شيء خلقه الله تعالى : نور العقل(٥٧) ، فقال له: (أقبل) فأقبل ثم قال له : (أدبر) فأدبر فقال : **((وعزتى وجلالى لا ركبتك إلا فى أحب خلقى إلىَّ))**(٥٨) . فكان ذلك عقل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فبإقباله استمداده العلم من الله تعالى ، وبإدباره إمداده الخلق بالعلم

=مما قد وصف لكم)) . فهذا الحديث دليل واضح على أن الملائكة فقط هم الذين خلقوا من نور ، دون آدم وبنيه ، فتنبه ولا تكن من الغافلين . [سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى (٤٥٨) ، كشف الخفا (١/٣١٠)] .

(٥٧) سيأتى فى هامش (٥٩) .

(٥٨) حديث : ((لما خلق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل ، قال له أدبر فأدبر ...)) . ذكره صاحب كنز العمال (٧٠٥٨) وعزاه للطبرانى عن أبى أمامة . وقال الزركشى : كذب موضوع ، وتابعه فى ذلك ابن تيمية .قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على هذا الحديث وغيره من أحاديث مدح العقل : وكل ما روى فى العقل من الأحاديث فلا تصح منها شيء ، بل أطلق ابن تيمية قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على هذا الحديث وغيره من أحاديث مدح العقل : وكل ما روى فى العقل من الأحاديث فلا تصح منها شيء ، بل أطلق ابن تيمية عليها كلها بالوضع . قال ابن الجوزى : المنقول عن رسول الله ﷺ كثير ، إلا أنه بعيد الثبوت . وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ : لست أحفظ عن النبى ﷺ خبراً صحيحاً فى العقل .[كشف الخفا ١٤٨/٢، ذم الهوى ص١٥ ، المشكاة (٥٠٦٦)] .

والمعرفة وهو أكمل الناس عقلا وأعظمهم فضلا وأرجحهم حلما وأغزرهم حكمة وعلما.

وهذا النور هو الذى تسمع به يقال فيه : ((كان الله عز وجل قبل العرش على جوهرة أو درة))[(٥٩)] . ونحو ذلك . فإنما يعنون هذا النور .

وحين خلقه الله تعالى خلق معه روح الأمر الذى هو أصل لجميع الأرواح ومنه مصدرها وإليه يؤول أمرها وأمره إلى الله تعالى ؛ إذ هو لوح أمره وإرادته بقلم علمه وقدرته يضع فيها ما شاء من بديع حكمته واختراع مشيئته ؛ ليظهر علم غيبه إلى عالم شهادته بواسطة روح الأمر ، ومن هاهنا مصدره .

ولما خلق الله تبارك وتعالى ذلك النور أقامه فى مقام القرب ، فمكث يعبد الله اثنى عشر ألف سنة فى مكان الاعتدال .

---

(٥٩) الحديث بهذا اللفظ ؛ لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مصادر ، وهذا الحديث وإن صح يتعارض مع ما جاء فى أول الخلق . قال أبو جعفر الطبرى : وأولى الأقوال أن الله تعالى خلق الماء قبل العرش ، لصحة الخبر الذى جاء عن رسول الله أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : ((كان فى عماد ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء)) . فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ويقول الحافظ ابن كثير: والذى عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء الهمدانى وغيره أن العرش مخلوق قبل ذلك؛ أى قبل القلم؛ لما صح من حديث مسلم فى صحيحه عن ابن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وقال وعرشه على الماء)) . وقال الإمام ابن أبى العز : واختلف العلماء : هل القلم أو المخلوقات ، أو العرش ؟ على قولين أصحهما أن العرش قبل القلم قلت فيتضح مما سقناه أن أول ما خلقه الله العرش ولم يكن شىء من خلق الله قبله ، والله أعلم . [شرح الطحاوية ٣٤٥/٢ ، تاريخ الطبرى ٥٩/١ ، البداية والنهاية ٨/١ ، مختصر العلوم ص١٠٣] .

فلما أراد الله تعالى ظهور النتيجة منه وخروج أول المخلوقات قال له : ﴿كن﴾ فانفلق نصفين : أعلى وأسفل ، فصار إلى طرفين ووسط .

فأما الوسط : فصارا نورا معتدلا ؛ إذ أصله من الاعتدال الكونى ، الذى هو قدرة الله تعالى وعلة العلل المعتدلات فى جميع المخلوقات ، فتولد منه طبيعة الوسط ؛ فخلق الله منها نور العقل الإلهامِّيات ؛ الذى هو أصل العقول الإلهيات المتفاضلات فى المخلوقيات ، وحين خلقه خلق معه الروح الأمين ، ومن هاهنا مهبطه . ثم خلق معه روح الحياة الذى هو أصلٌ لجميع الأرواح المحركات للأشباح .

وأما الطرف الأعلى : فصار نوراً شعشعانياً كله حارًا كله حركة كله ؛ لأن أصله من الحركة الكونية التى هى قدرة الله تعالى وعلة العلل المتحركات فى جميع المخلوقات ، فتولدت منه طبيعة الحرارة المذكرة الفاعلة التى أصل الطباع الفاعلات . ثم خلق الله منه روح القدس ومن هاهنا مهبطه ثم خلق معه الروح النفسانى الذى هو أصل لجميع الأنفس الحساسة الشهوانية المتحركة بالأفعال والإرادات الإلهامية الصادرة عن الإرادة الربانية . ثم خلق من هذا النور العلوى العرش وحملته والنار وقلم النور .

وأما الطرف الأسفل : فصار ظلمة كله باردا كله ساكنا كله ؛ لأن أصله من السكون الكوتى الذى هو قدرة الله وعلة العلل الساكنات ، فتولدت منه طبيعة البرودة المؤنثة المنفعلة ، فكانت أصلا لجميع الأجسام المنفعلات . ثم خلق الله تعالى من ذلك الكرسى ، وخزنته والجنة واللوح المحفوظ .

فإذا سمعت بذكر ضدين يقال فيهما : أول ما خلق الله تعالى : الجنة والنار، أو البارد والحار ، أو الحركة والسكون ، أو القلم واللوح ، فإنما يعنون هذين الطرفين أعنى : الأعلى والأسفل المنفلقين من الوسط ، كما ذكرنا .

ثم مكثت هذه الأنوار تعبد الله تعالى فى مقام الخوف اثنى عشر ألف سنة ، فلما أراد الله تعالى ظهور النتيجة منها أدار الطرف الأعلى على

الأسفل بسرٍّ ما أودع فيه من الحرارة المتحركة الفاعلة ، فامتزجا بالمزاوجة فى مكان الاعتدال وانطبع العلوى بالسفلى ، فكتب القلم فى اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن فى علم الله إلى يوم القيامة ، وذلك بقوله تعالى ﴿كن﴾ .

فلما وقع المزاج بين طبيعة الحرارة وطبيعة البرودة ، تولدت طبيعة اليبوسة فى الحرارة وطبيعة البرودة من الرطوبة ؛ فكانت أربع طبائع مختلفات ممتزجات فى جسم واحد ، وهو أول المزاجات الطبيعيات وهو أصل لجميع المخلوقات العلويات والسفليات ، فخلق الله منه الحدود والجهات والعقول الإلهاميات والأرواح الحيوانيات والأنفس الشهوانيات لاجتماع الطبائع الروحانيات المنفردات فيه . ومن ها هنا يعرف قولهم : خلق الله الأرواح الحيوانيات قبل الأجسام بكذا وكذا عام . وهذا أول المزاج ؛ هو الذى قال الله تعالى فيه ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : الرتق هو السد . فمكث يعبد الله تعالى فى مقام الرجاء اثنى عشر ألف سنة .

فلما أراد الله تعالى ظهور النتيجة منه قال له ﴿**كن**﴾ فانفلق أيضا إلى أعلى وأسفل ووسط .

فأما الوسط : فتولدت منه طبيعة الاعتدال الوسطى فبقيت فيه العقول الإلهاميات .

وأما الأعلى : فصعدت فيه الحرارة والرطوبة بالأرواح والأنفس ، فتولدت من ذلك طبيعة الحياة الفاعلة بما أودع الله تعالى فيها من السر المحى لكل شىء . فخلق الله من ذلك الفلك الأعلى الذى هو السماوات السبع ، فكانت أصلا للعوالم العلويات من الملائكة والكواكب المضيئات .

وأما الأسفل : فهبط فيه البرد واليبس ، فتولدت من ذلك طبيعة الموت

المفعولية ، فخلق الله منها الفلك الأسفل وهو الأرضين السبع فكانت أصلا للعوالم السفليات من المعادن والنباتات والحيوانات ، ثم خلق الله من الأرضين طينة آدم أبو البشر صلى الله عليه وآله وسلم من جميع جواهر الأرض : أحمرها وأصفرها وأبيضها وأسودها وصلبها ورخوها بقبضة قبضها بيد قدرته من جميعها ؛ ليكون ذلك سببا لبقاء أنواع نسله(٦٠) .

وهذا الاقتران بين الأعلى والأسفل جعله الله سببا لحياة الأجسام السفليات الموات بها ينزل عليها من أرواحها العلويات التي صعدت عنها إلى الفلك الأعلى وهو معنى قوله تعالى ﴿**ففتقناهما**﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : ففتقنا السماء بالمطر ، والأرض بالنبات .

ولما كان الفلك جامداً لا حركة له إلا بدوران الكواكب والعناصر معه وصارت الطبائع مفترقة قد جمعت الأرواح والأنفس وطبيعة الحياة فى الأعلى ، وبقيت الأجسام الموات ، وطبيعة البرد واليبس فى الأسفل ،

---

(٦٠) قال الآلوسى فى تفسيره : إنه لم يجيء فى ترتيب الأجرام العلوية ، والسفلية ، وشرح أحوالها كما فعل الفلاسفة عن الشارع شيء ، لما أن ذلك ليس من المسائل المهمة فى نظره – عليه الصلاة والسلام– وليس المهم إلا التفكر ، والإستدلال بها على وحدة الصانع ، وكما له –جل شأنه– وهو حاصل بما يُحَسُّ منها ، فسبحان من رفع السماء بغير عمد ، ومد الأرض ، وجعل فيها رواسى . ويقول الدكتور أبو شهبة: ما كان رسول الله ﷺ يتعرض للكونيات بهذا التفصيل ، ولما سئل عن الهلال لم يبدو صغيراً ثم يكبر ، حتى يصير بدراً ، ثم يصغر ؟ وأجاب بالفائدة ، فقال ﴿**هى مواقيت للناس والحج**﴾ . والقرآن والسنة النبوية حينما يعرضان للحديث عن الكونيات يكون غرضها انتزاع العبرة ، والاستدلال بما أودع الله فيهما على وجود الله –جل وعلا– ووحدانيته ، وقدرته ، علمه ، وسائر صفاته ؛ ولذلك : لا نقف فيما صح وثبت من الأحاديث على مثل هذه التفصيلات التى نجدها فى الآثار الضعيفة ، والإسرائليات الباطلة [تفسير الألوسى ١٣/٩٩ ، الإسرائليات والموضوعات فى كتب التفسير ص٢٩١] .

وصـــارت الأجسام مفترقة مفتقرة إلى أرواحـــها التـى صعدت عنهـا ؛ دَبَّـرَ الله تعالى حياتها لظهور النتيجة منها ، فأدار الفلك الأعلى على الأسفل دوره ثانيـة بقـول ﴿كـن﴾ فـازدوجت الطبـائع وامـتزجت مزاجـاً ثانيـا فــى موضــع الاعتدال ، فتولدت منها العناصر المركبات ؛ فحصل من مـزاج الحـرارة مـع اليبوسة عنصر النار ، فخلـق اللـه منـه الشمس والجـن والشـياطين والحـرارة الغريزية التى تتحرك بهـا الأرواح فـى بواطـن الأجسام ، فركـب اللـه تعـالى الشمس فى السماء الرابعة فى وسـط الفلـك ؛ ليكـون بهـا حيـاة العـالم العلـوى والسفلى ، وضياء العالم أجمع . ثم أسكن الله تعالى الجن والإنس والشـياطين فى أطراف الأرض ، وأسكن الحرارة الغريزيـة فـى قلـب آدم عليـه السـلام . وذلك أن الله عز وجل أول ما كوَّن منه القلب ، والقلب بارد يابس ساكن ميت فأدْرَج[٦١] فيه روح الحياة المحركة للجسم ، فحركت منـه السـاكن ولـم يُسـيِّر بحرارة تفعل فى البارد ، فخلق الله الحرارة الغريزية لذلك وأدرجها فى باطن الروح فَسَرَت بها فى جميع البدن فجىء مـن موتـه بـالروح الحيوانيـة وسـخن برده بالحرارة الغريزية ، فكان ذلك سببا لحركته وإنعاشه بعـد السـكون دائمـا طول حياته .

فمن أجل ذلك ؛ جعل الله القلب بيت الحيـاة ومبـدأ الحركـات ومصـدر الإرادات الربانيات ، فهو سلطان البدن كله أجمع ، لكون خلقه أولا ولصـدور هذه الحرارات والحركات الطبيعية منه . فمنه مبدؤها وإليه تـؤول أمرهـا فـى جميع حياته ، ومنه خروجها عند مماته فتولد من هـذا المـزاج فـى جسـم آدم عليه السلام خلط الصفراء الحار اليابس ، فخلـق اللـه تعـالى منـه المعدة بيتـا للصفراء وجعلها أمام القلب تخدمه بقوة هاضمة للغذاء الذى به قوامه ؛ ليكون ذلك سببا لحياته ومادة لحفظ بدنه مدة عمره ، والله أعلم .

---

(٦١) أدخله .

ثم خلق الله من مزاج الحرارة مع الرطوبة عنصر الهوى ؛ فخلق الله منه ملائكة السماوات السبع ، وزينها فيها وأوحى فى كل سماء أمرها ، فتولد من هذا المزاج فى آدم عليه السلام خلط الدم ، فخلق منه الله الكبد بيتا للدم وجعلها عن يمين القلب تخدمه بقوة غاذية للبدن مولِّدة لدم الغذاء ؛ ليكون ذلك سببا لنمو جسمه ومادة لقوة بدنه وداوم حياته مدة عمره ثم حصل من مزاج البرد مع الرطوبة عنصر الماء ، فخلق الله منه القمر والكواكب ، فركّب زحل فى السماء السابعة ، والمشترى فى السماء السادسة ، والمريخ فى السماء الخامسة ، والزهرة فى السماء الثالثة ، وعطارد فى السماء الثانية ، والقمر وسائر الكواكب فى سماء الدنيا ، فجعل الله ذلك زينة لها ورجوماً للشياطين عنها لحفظها وهداية للعالمين ، ثم نبَّه على ذلك بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك :٥] .

وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الأيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٩٧] .

ثم أودع الله تعالى الطبيعة الفاعلة فى الكواكب السيارة فى الفلك الأعلى من السعد والنحس ، ما يجرى فيه بالخير والشر على ما يناسبها من العوالم[٦٢] . السفليات فى الفلك الأسفل عند التدبير بإذن الله تعالى ، ومن الأرزاق ما ينزل به ماء المطر فيكون حياة الأرض وما فيها ، ثم نبَّه على ذلك بقوله تعالى ﴿وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢] . وأقسم بنفسه أن ذلك حق ، فقال تعالى ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات :٢٣] . ثم تولد من هذا المزاج البارد الرطب خلط البلغم ، فخلق الله تعالى منه فى آدم عليه السلام الرئة بيتا للبلغم وجعلها عن يسار القلب تخدمه بقوة ماسكة لروح الحياة باستنشاق الهواء الذى يصل من الرئة إلى القلب فيتنفس به من فرط الحرارة الغريزية .

---

(٦٢) فى النسخة (أ) : العلوم .

ثم خلق الله تعالى ، أيضا من هذا المزاج الدماغ وجعله بيتا للحسِّ[٦٣] والحركة النفسانية ثم أدرج النفس الحساسة فيه ؛ لتعيين الروح بالحس والحركة وإيصال ذلك إلى سائر البدن ؛ ليكون بذلك تمام فعل الروح المتحركة فى جميع البدن مدة عمر الإنسان ثم حصل من هذا مزاج البرد مع اليبس عنصر الأرض ، فخلق الله منه المعادن ، فهى أول المركبات الثلاثة .

وخلق أيضاً من هذا المزاج البارد اليابس عظام آدم عليه السلام ، فتولد من ذلك خلط السوداء فى الإنسان ، فخلق الله منه الطحال بيتا للسوداء وجعله تحت القلب يخدمه بقوة جاذبة للخلط الردىءعنه ؛ ليكون ذلك حفظا لجسمه ومادة لبقاء شخصه مدة عمره ، والله أعلم .

ثم خلق الله تعالى لكل عضو من هذه الأعضاء الشريفة فى الإنسان آلات[٦٤] تعينها على تمام فعلها .

[الآلات المعينة على تمام فعل الأعضاء]

أما القلب : فخلق الله له آلة الشرايين ، وهى عروق تنبت من تجويفه الأيسر وتمر فى جميع البدن أعلاه وأسفله بين[٦٥] العصب ، فتصعد بالحرارة الغريزية وروح الحياة أولاً إلى الدماغ الذى جعله الله بيتا للحسِّ والحركة ، ثم تنفذ بذلك فى[٦٦] جميع البدن .

وأما الدماغ : فخلق الله تعالى له النخاع والمخ والعصب والعضلات والأوتار ؛ ليجذب تلك الحركة والحس والحياة والحرارة الغريزية إلى سائر

---

(٦٣) فى النسخة (ك) : النفس .

(٦٤) فى النسخة (ك) : عروق .

(٦٥) فى النسخة (ك) : فى .

(٦٦) فى النسخة (ك) : إلى .

أعضاء البدن ، فيكون بذلك تمام أفعال القلب المتحرك بروح الحياة وتمام فعل الدماغ[٦٧] المتحرك بالحِّس والحركة النفسانية الحيوانية مدة عمر الإنسان .

وأما الرئة : فخلق الله تعالى لها المنافذ التي توصل الهواء إلى القلب فيتروح بها من فرط حرارته ويعتدل بها طبعه[٦٨] وتستمد الرئة أيضا من القلب حرارة يعتدل بها طبعها البارد ، فيقوى الفعل منهما معا .

وأما الكبد : فخلق الله تعالى لها العروق التى توصل منها دم الغذاء إلى جميع أعضاء البدن ، وذلك أن عروق الإنسان أصلها جميعا عرق واحد عظيم ينبت من حذية الكبد ثم ينفرش بعروق شتى فى جميع البدن أعلاه وأسفله ، فإذا استحال الغذاء دماً أخذ كل عرق قسطه من ذلك الغذاء ، فيمر به إلى منتهاه؛ فيكون بذلك النموُّ وبقاء الحياة . ثم خلق الله تعالى لها أيضا آلات لإزالة الفضلات الرديئة عن دم الغذاء ، وهى : أوعية المنى ، والكلى ، والمرارة ، والطحال .

أما أوعية المنى : فتأخذ ما استحال إلى الطبخ الرابع من خالص الغذاء، واستعد لخروج المنى منه إلى آلات النسل ؛ ليكون بذلك حفظ نوع الإنسان إلى آخر الدهر .

وأما الكلى : فتمتص الفضلة المائية عنه ، وتنفيذها إلى المثانة فتخرج عند البول إذا استعد بإرادة طبيعية .

وأما المرارة : فهى كيس معترض بين الكبد والأمعاء ، له فم من جانب الكبد يمتص به الرغوة الصفراوية عن دم الغذاء ، ثم ينفذها من فم آخر متصل بالأمعاء إليها فيعينها بذلك على فعل الهضم ، ثم ينزل مابقى منها إلى السُرْم[٦٩] ، فيخرج مع الغائط .

---

(٦٧) فى النسخة (ك) : القلب .

(٦٨) فى النسخة (ع) : بها طبيعته .

(٦٩) طرف المعى المستقيم والدُبُر ، والعامة تقولها بالصاد .

وأما الطحال : فخلق الله لها فمين ؛ أحدهما : من أعلى متصل بالكبد تمتص به منها الدم السوداوى المتعكر من دم الغذاء ؛ ليصفو من ذلك . والفم الآخر : متصل بالمعدة ، يقذف إليها كل يوم نصيبا من ذلك الدم السوداوى، فيعينها بحموضة وقبوضة على فعل الهضم ، ويفتق شهوتها ويقوى طبعها ، وخلق لها فماً ثالثا من أسفل يدفع به مافَضُل من الدم المتعكر السوداوى إلى السرة فيخرج مع التفل فيصفو عند ذلك دم الغذاء من جميع الفضلات الرديئة فتمر به العروق من الكبد صافيا إلى جميع الأعضاء كل عضو يجرى بقسطه صغيرا كان أم كبيرا . والله أعلم .

وأما المعدة : فخلق الله تعالى لها الأمعاء وآلات المخرج والمدخل النافذة .

وأما الأمعاء : فتمتص من المعدة ما هضمته من الطعام فتهضمه أيضا فيها هضما ثانيا ، ثم تدفعه إلى الكبد ، وقد صار ماءاً لطيفاً أبيضاً فيصيغه الكبد حين يتولد دماً أحمر بطبيعة الحيوان ، فيصير غذاء ، كما ذكرنا .

والأصل فى ذلك : أن الغذاء عرضى وذاتى ؛ أى بالقوة والفعل :

أما العرضى : فما كان طعاما عند الأكل .

وأما الذاتى : فما صار مناسبا للحيوان صالحا لقوامه ، ولا يكون كذلك إلا بعد استحالته باللطافة ثلاث مرات ، كاستحالة المعدن(٧٠) إلى النبات والنبات إلى الحيوان ، وذلك أنه يصير عند الأكل فى المعدة كطبيعة المعدن الكثيف حتى إذا استحال إلى الأمعاء كان فى اللطافة كطبيعة النبات المتولد من المعدن ، فإذا استحال إلى الكبد صار فى اللطافة كطبيعة الحيوان حارًّا رطباً صالحاً للاستحالة عند الدموية لحماً نامياً فى أجساد الحيوان ينمى بالرطوبة فى جميع العصب والبشر والجلد والشعر .

---

(٧٠) يقصد به جنس المعادن مثل الحديد ، والنحاس ، وغيرها .

[منافذ المخرج والمدخل لدى الإنسان]

وأما منافذ المخرج والمدخل :

فمنها الفم : خلقه الله تعالى ، لإدخال الطعام عند الأكل وإخراجه من أعلى إذا تغير على فم المعدة ، وأيضا تعينها بقطع الطعام وطحنه بالأسنان والأضراس التى جعلها الله آلة لذلك ، وباللسان الذى جعله الله مغرفة لتقليب الطعام يمينا وشمالا عند الطحن ولدفعه إلى الغَلْصَمَةِ(٧١) التى تنفذه إلى المرىء الذى هو فم المعدة الأعلى .

ومنها الدبر : الذى جعله الله منفذا لما يتهيأ من نقل الغذاء عند تمام نضاجه واستحالته .

ومن المنافذ السمع والبصر : القائم فعلهما بواسطة الهواء .

ومسام الشعر أيضا : لأن أصل الشعر بخار يرتفع من الأغذية الطبيعية من الجوف على سبيل الاستعانة ، فيكون بذلك راحة البدن .

وهذا التشريح راجع إلى أصل علم الطب ، ولنذكر منه فصلا فى آخر الكتاب يكون به تمام هذا الكلام لئلا(٧٢) يخلو كتابنا هذا من فائدة فى أصل علم الطب ؛ لأنه علم شريف جليل القدر من العلوم الطبيعة ، ولنرجع إلى ما نحن بصدده من تمام التراكيب والأمزجة الطبيعية .

ولما أكمل الله تعالى خلق آدم عليه السلام عند تمام مزاج الطبائع والعناصر وتركيب المعادن ؛ ركب الله تعالى فيها العقل والعلم والحلم ، وعلمه الأسماء كلها وفضله على الملائكة وعلى سائر المخلوقات ؛ لأنه المطلوب من جميع تلك الخلائق التى خُلِقَتْ قبله ؛ لأنها خلقت كلها لأجله ، وهو مخلوق للعلم والمعرفة بالله تعالى .

---

(٧١) فى النسخة (ع) : القاطمة .والغلصمة : هى رأس الحلقوم والجمع : غلاصم .

(٧٢) فى النسخة (ع) : لكيلا .

وأيضا فإنه[٧٣] أبو الأولياء والأنبياء ؛ الذين هم أفضل خلق الله تعالى ومنه خرج محمد ﷺ ؛ الذى شق الله من نوره الكامل الطاهر المقدس جميع أنوار الخلائق أجمعين ، فهو عين الوجود وإليه الإشارة بكل المقصود من البداية إلى النهاية .

ولما امتزجت الطبائع مزاجين ؛ أحدهما : بسيط ؛ وهو مزاج الطبائع المفردات . والثانى : مركب ؛ وهو مزاج العناصر المزوجات ؛ ركب الله تعالى من ذلك جنس المعدن وهو أول المركبات الثلاثة التى هى : المعدن ، والنبات، والحيوان .

ثم ركب الله تعالى مع المعدن صورة الآدمى التى هى أكمل صور المخلوقات ، وركب الأرواح والأنفس فى الأجسام ، كان ذلك معنى قوله تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

قال المفسرون : وهو ماء نطفة الحيوان . قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو ماء المطر . وهذا هو الصواب ؛ لأن نطفة الحيوان لا تكون منها إلا توليد الحيوان فقط ، وماء المطر يكون منه توليد المعادن والنبات والحيوان جميعا .

والأصل فى ذلك : أن الفلك الأعلى جامع لطبيعة الحياة والأرواح والأنفس التى بها حياة الأجسام السفلى جميعها ، كما قدمنا فإذا وقع ماء المطر بما أودع الله فيه من سرّ الحياة ، على الفلك الأسفل البارد اليابس الموات[٧٤] ، حُيَّ وتحرك ونمى وتكونت منه جميع جواهر المعادن والنبات والحيوان ؛ لأن الحيوان يتولد من النبات . والنبات يتولد من المعدن .

---

(٧٣) فى النسخة (أ) : فهو

(٧٤) ما لا روح فيه .

والمعدن يتولد من الطبائع الفاعلة والمنفعلة ومن هاهنا يُعرف سرٌ معنى قوله تعالى ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات :٤٩] .

وأصل الجميع : من الحرارة والحركة الإلهية التى هى قدرة الله ، وعلة العلل المحركة لجميع الساكنات ؛ ليكون من ذلك الوجود بعد العدم والحياة بعد الممات ، فحياة الأرض بعد موتها دليل على أن الله تعالى يُحيى الموتى بعد الفناء وإلى ذلك أشار بقوله تعالى ردًا على من أنكر البعث والحياة بعد الموت ، فلما استبعدوا ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدةً مَّيْتاً كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[ق:٦:١١] .

أى كما أحيينا الأرض بعد موتها بذلك الماء ؛ كذلك يحييكم بعد موتكم، وكما أخرجنا جواهر المعادن والنبات والحيوان من الأرض وأوجدناها بعد عدمها وفنائها ؛ كذلك الخروج الذى أنكرتموه يكون بقدرة مَنْ يَقولُ للشىء ﴿كن فيكون﴾ ، ومَنْ هو على كل شىء قدير .

وقد بالغ بعض الكفرة فى الإنكار وأوْغَلَ[٧٥] فى الاستعداء[٧٦] فقال : لو أن آدميا أكله آدمى آخر واستحال إليه لحماً ودماً ، ثم أكل ذلك الآدمى آدمى آخر فاستحال إليه (أيضاً ولحماً ودماً) ، وهكذا إلى ألف آدمى أو أكثر ، ثم مات الآخر منهم فأكلته الأرض حتى فنى وانعدم ، ولم يوجد له أثر ، كيف يكون رجوع شىءٍ من ذلك ؟ وكيف يكون حياته بعد موته ؟ وكيف

---

(٧٥) بالغ وأبْعَد ، وأوغل فى الاستعداء : أى بالغ فى التهيؤ للجدل .

(٧٦) فى النسخة (ك) : الاستعلاء .

يكون وجوده بعد عدمه ؟ وكيف يُسْتَخْرَجُ من استحال من جميع ذلك حتى يتميز كل واحدٍ منهم على حِدَته بذاته فاستبعد ذلك بجهله .

فالجواب له : إن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وليس بعزيز عليه أن لو استحال جميع المخلوقات بعضها إلى بعض واختلطوا كلهم فصاروا دماً ولحماً واحداً وهواءً وناراً ، أو ألطف شيء يكون ، ثم فُني ذلك كله ولم يوجد له أثر فإن الله تعالى قادر على أن يوجده بعد عدمه ويرده كما كان أولا ، ويميز كل واحد منهم على حدته بذاته حتى يعيد إليه دمه ولحمه الذى كان عليه فى حال حياته الأولى ، فيُعذِّبُهُ بكفره أو يُنَعِّمُهُ بإيمانه ، فإنه على كل شيء قدير .

والدليل على ذلك : أن الله تعالى اخترعهم أولا بعد أن لم يكونوا شيئا بغير كلفة ولا مشقة ولا استعانة بآلة ولا شيء غير قوله ﴿كن﴾ فما أسهل ذلك عليه وأهونه ألم تر إلى قوله تعالى ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً**﴾ [الإنسان :١] .وقوله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ [الروم:٢٧] .أى : يُوجِدُهُ بعد العدم أولاً ، وينشئه طورا بعد طور بحكمته ، ثم يعدمه بعد الوجود ، ثم يوجده بعد العدم مرة ثانية ، أى ردَّ روحه فيه أيسر مما خرجت عنه وهو أهون وأسهل عليه أى على المخلوق ؛ لأن الروح عند خروجها تتعسر لكراهية الموت وفراق الجسد فإذا أعيدت رجعت أسهل مما خرجت ؛ لشوقها الطبيعى إلى الجسد الذى جعله الله شبحا(٧٧) لها فى أصل الخلق .

وقوله تعالى ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ [العنكبوت:٢٠] . أى : اخترعهم من العدم إلى الوجود ثم أعدمهم ، ثم الله يُنْشِئُ النشأة الآخرة ؛ أى كما أوجدهم من العدم أول مرة كذلك يُجدهم بعد الفناء ثانية ، وهكذا إلى مالا نهاية له من الإيجاد والإعدام ، إن الله على كل شيء قدير .

---

(٧٧) الشخص ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق، يقال: شبح لنا أى مثل لنا.

ولنرجع إلى ما نحن ذاكروه من تمام المخلوقات ، وذلك أن آدم عليه السلام لما كملت خلقته تركيبا ، طبائع وعناصر ، وتم مزاجه مفرداً ومركباً كان كامل الخِلْقَةِ فى نفسه ، ولما لم تمتزج الطبائع إلا مزاجين ، ولا كمال لها إلا بأربعة أمزجة ؛ لتنقسم الطبيعة على مَضْرُوب الطبائع(٧٨) الأربع فى مثلها فيكون ميزان الطبيعة ستة عشر جزءا ، فمن هاهنا كان آدم عليه السلام ناقصاً عن حفظ شخصه وقوام بدنه وبقاء نوعه الذى لا كمال له إلا بذلك ، وافتقر أولا إلى ثبات شخصه وقوام بدنه بالغذاء ، فأدار الله ذلك الفلك الأعلى على الأسفل دورة ثالثة فامتزجت الأرواح بالأجسام مزاجا ثالثا فى موضع الاعتدال ، فخلق الله تعالى النبات والحيوان البهيمى وسائر الحيوانات غير الآدميين وكان من ذلك غذاء آدم صلى الله عليه وسلم ونماؤه ومادة حفظ شخص بدنه مدة عمره

ثم افتقر ثانيا إلى بقاء نوعه فأدار الله تعالى الفلك الأعلى على الأسفل دورة رابعة ، فامتزجت الأرواح بالأجسام مزاجاً رابعاً فى موضع الاعتدال ، فخلق الله تعالى من آدم عليه السلام حواء أم البشر ، فكان هو وهى كالهيولى(٧٩) المفترق إلى أعلى وأسفل ، ذكراً وأنثى من شىء واحد ، وذلك أن الله تعالى ألقى عليه سِنَةً ثم أخرج ضِلْعَةً من ضلعِه الأيسر فصورها حواء ، فما انتبه إلا وهى عنده مصورة فى أحسن صورة كصورته فحببها إليه من سائر الخلق ثم أزوجها به فكان باجتماعهما حفظ النسل وبقاء النوع الآدمى إلى آخر الدهر .

ولما كانت الطبائع أربعا والمزاجات أربعا ، ولم يصح منها فى التركيب إلا ثلاثة ؛ لأن المزاج الأول بسيط والبسيط لايعد من المركبات ،

---

(٧٨) أى اجتماعها مع بعضها البعض .

(٧٩) المادة الأولى للأشياء .انظر : الهامش (٥٦) من هذا الكتاب .

ولا يختلط بها لاستغنائه عنها بوحدانية الأولى ، فاحتاجت الثلاثة إلى تركيب رابع يكون به تمام المزاج والكمال الطبيعى ، فكان ذلك نقصان أيضاً عن بلوغ درجة الكمال بجميع الآدمين ، فقدر الله سبحانه الموت على العباد ؛ ليفرق بين الأرواح والأجساد فتصعد الأرواح إلى عنصرها الأعلى الذى هو طبيعة الحياة ، وتبقى الأجساد أسفل منه فتفنى وتبلى ، فيصير الجميع إلى أعلى وأسفل أيضا ، كما تقدم من كل هيولى. ، وذلك إلى النفخة الأولى ، حتى إذا تم عمر الدنيا المحتوم إلى الأجل المسمى ، ونفخ فى الصور النفخة الأخرى ؛ أعاد الله تعالى الأرواح إلى أجسامها، فامتزجت مزاجا خامسا ينفرد منها البسيط ببساطته ، وتبقى المركبات أربعة ، فيتم المزاج الطبيعى ويصح التركيب الحقيقى فتكون منه الحياة الخالدة الأبدية المقدرة بحكمة الله تعالى كما قال الله تعالى ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**﴾ [ق:٣٤] .

فهذه مصنوعات الله عز وجل المعلومة من علم الطبيعة المؤيد لعلم الشريعة بما سطرته يد القدرة بالحكمة البديعة ؛ ليقرأه أولو البصائر ، وأولو الألباب من أهل العلم والمعرفة الذين مدحهم الله فى محكم كتابه بالعلم والإيمان حين أوقفهم على حقائق ذلك ، فقال تعالى ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:٧] والله أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين .

الباب الثالث
فى
معرفة العقل والروح والنفس

اعلم هداك الله إن العقل والروح والنفس ثلاثة أرواح لطائف ، روحانيات ركبها الله تعالى فى الإنسان تُديره بقدرة الله عز وجل وإرادته وحوله وقوته .

فأما العقل[٨٠] : فهو نورٌ شريف ألطف من الروح والنفس ، ومنشؤه من نور العقل الكامل الأقدم الذى خلقه الله تعالى أولا من نور وجهه الأكرم[٨١] – كما قدمنا فى الباب الذى قبل هذا– ومصدر فعله وروحانيته من روح الأمر –الذى ذكرنا أنه أصل الأرواح كلها– وهو معدن وحى الأمر ، ومنه مصدر العلم والقدرة والإرادة الربانية ، ومنه الواردة التى كانت تزد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلهاماً فيتحدث بها فتكون وحيًا فى حقه وإلهاماً فى حق غيره قال الله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى :٥٢] .

فمن أجل ذلك تقضى السنة على الكتاب[٨٢] ؛ لأن ذلك مشروع قوله تعالى : ﴿**وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىَ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىَ**﴾ [النجم: ٣،٤] .

فالعقل : نور إلهامى ونور نورانى ، يشهدالعلم والمعرفة والقدرة والإرادة الربانية عن روح الأمر عن الله عز وجل ثم يلقيه إلى الروح التى جعلها الله تعالى ساكنة فى القلب وهى الروح الحيوانية المحركة للبدن فإذا أفاض عليها العقل هذه الأنوار والعلم والإرادة تحركت بها فى القلب أولا ، فإذا سمعها بأذنيه ووعاها تحرك وانتعش بها وفاضت عليها أنوار الإلهام من

---

(٨٠) العقل ؛ لغة : المنع ؛ لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل . واصطلاحاً : غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب . وقيل النفس الناطقة التى يشير إليها كل أحد بقوله : أنا . [حدود الألفاظ ص٧ ، التعريفات ص١٣٢] .

(٨١) فى النسخة (ع) : الكريم .

(٨٢) أى : تدل عليه .

الملك العلام بسرّ ما أودع الله فيه من القابلية لهذا العلم والإرادة الربانية فيتجلى بها ، وتشرق أنواره من ظلام السكون على جميع البدن بواسطة نور العقل الإلهامى الذى جعله الله مرآة للعارف يتضح بها فيتشعشع نوره بتلك الصفات والحقائق النورانيات من رب الإرادات ، فهذه الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه حين أقام بإرادته مقام ذاته ، فقال تعالى : ((**ما وسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن**))(٨٣) . أى وسع نور علمى وقدرتى وإرادتى وهى فيه صفتى وإليها أيضا أشار بقوله تعالى ﴿**أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَّبِّهِ**﴾ [الزمر:٢٢] .

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((النور إذا دخل القلب انشرح وانفسح))(٨٤) .

فنور العقل الذى يلهم الإنسان بالعلم والقدرة والإرادة ، وهو نور الله الذى أودعه فى قلب المؤمن ثم نبَّه عليه بقوله تعالى ﴿**السَّماوَاتِ والأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ**﴾ [النور : ٣٥] . أى فى قلب المؤمن يعنى : النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿**كَمِشْكَاةٍ**﴾ يعنى : مصدره .

﴿**فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ يعنى : نور العقل .

---

(٨٣) الحديث : ذكره أبو حامد فى الإحياء بلفظ قال : ((لم يسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى ...)) .قال العراقى : لم أر له أصلاً ، ووافقه الزركشى فى الدرر . وقال ابن تيمية هو مذكور فى الإسرائليات وليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ وقال السيوطى : ليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ ، ومعناه وسع قلبه الإيمان بى ومحبتى ومعرفتى ، وإلا فمن قال : إن الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده . [كشف الخفا ١٩٥/٢] .

(٨٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٤٦/٦) .

﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يعنى بالزجاجة : قلبه .

﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ شبه القلب بالكوكب الدُّرى حين أشرق بنور العقل والعلم والمعرفة ، فتحلى بذلك واتصف .

وقوله تعالى ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَـةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ ولاَ غَرْبِيَـةٍ﴾ يعنى : شجرة العلم والمعرفة التى غرسها الله تعالى فى قلب العبد المؤمن ، ففيها حكمة الله ، وحكمه الذى يقضى بـه فيعدل ، ولا يجور ولا يميل يمينا ولا شمالا ولا شرقا ولا غربا .

وقوله تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَـا يُضِيءُ وَلَـوْ لَـمْ تَمْسَسْـهُ نَـارٌ﴾ يكاد زيتها يعنى: نور العلم والمعرفة الذى يستمده نور العقل من روح الأمر عن الله عز وجل، فكانت المادة كالزيت الذى يمد المصباح لقوام نوره ، فيقـع النـور علـى نور مثلـه وهو قولـه تعـالى ﴿نُّورٌ عَلَـى نُـورٍ يَهْـدِى اللـهُ لِنُـورِهِ مَنْ يَشَـاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ واللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور :٣٥] .

فهذه صفات العقل وأنواره البديعة الجارية بحكمـة اللـه الرفيعـة ، وفـى هذا دليل على : أن العقل حين خلقه الله تعالى قال له : (أقبلْ) فـأقبل (وأدبـرْ) فأدبر ، فقال : ((**وعزتى وجلالى لا ركبتك إلا فى أحب خلقى إلىَّ**)) .

إنه عقل النبى محمد صلى الله عليـه وآلـه وسلم ؛ لأن إقبالـه اسـتمداده العلم والمعرفة من الله عز وجل ، وإدباره إمـداد الخلـق . بمـا أودع اللـه فيـه من ذلك .

وفيه أيضاً دليل آخر لمن قال : إن العقل مسـكنه القلـب علـى الحقيقـة ، وإن زعم زاعم أنه فى الدماغ أو فى سائر البدن ، فتلـك أنـواره التـى تخـرج أولاً من القلب بما أراد الله تعالى من الإلهام ثم تعود إليه كما يخـرج الإنسـان من بيته الذى هو مسكنه ثم يعود إليه ، والله أعلم بغيبه وأحكم .

وأما الروح(٨٥) : فإنها روحٌ لطيفة حيوانيــة ألطـف مـن النفس طبعها الحياة والحركة ، ومنشأوها ومصدرها وفعلها من العقل الإلهامى ومسكنها القلب ؛ لأنها من الطبيعة الوسطى المعتدلة ، جعلها الله سبباً لحياة البدن ولإنعاش القلب بما ألهمها العقل وأفاض عليها من نور العلم والمعرفة والقدرة والإرادة، التى هى صفات الله تعالى كما قدمنا .

فتصدر تلك الإرادة بالأنوار إلى القلب ، عن الروح ، عن العقل ، عن روح الأمر ، عن الله عز وجل . ومصدر روحانيتهما من مهبط الروح الأمين ، ومنه الواردة التى كانت ترد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن وغيره من الحديث بالوحى الظاهر على قلبه ، كما قال الله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٤،١٩٥] . فيكون ذلك وحياً فى حق النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإلهاماً فى حق غيره بواسطته .

---

(٨٥) يقول العلامة ابن أبى العز : وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبَّرة . وهذا معلوم بالضرورة من دينهم ، أن العالم محدَث ، ومضى على هذا الصحابة والتابعون . ومعلوم قطعاً أن الروح ليس هى الله ، ولا صفةً من صفاته، وإنما هى من مصنوعاته . ومنها قوله تعالى ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ . والروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال ، وهذا شأن المخلوق المحدث ، وأما إضافتها إليه بقوله تعالى ﴿**من روحى**﴾ فينبغى أن يعلم أن المضاف إلى الله نوعان : صفات لا تقوم بأنفسها ، كالعلم والقدرة والكلام ، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها ، فعلمه وكلامه وقدرته صفات له ، والثانى : إضافة أعيان منفصلة عنه ، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح ، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه ، لكن إضافة تقتضى تخصيصاً وتشريفا يتميز بها المضاف عن غيره .[شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٢ ، مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٦/٤] .

ولما كان القلب منشأ الحياة الحيوانية ومعدن الأنوار الإلهية ومبدأ الحركات الإلهامية ومصدر الإرادات الربانية ، وكانت الروح محلا لمصدر إرادة الله تعالى من القلب عضدها الله تعالى بالحرارة الغريزة ، فأسكنها معها فى القلب ؛ لتضىء البدن بالسخونة ، وقبول الروح عند السريان بها إلى سائر البدن ، وهى تصل أولا من القلب مع الروح ما ألهمها العقل من العلم والإرادة فى عرقين منتشئين من القلب صاعدين إلى الدماغ الذى هو بيت الروح النفسانية الحساسة الشهوانية، حتى إذا دارت الحرارة الغريزية فى الدماغ الذى هو بارد رطب سخن ، واستعد لقبول الروح ، فتدخل على النفس، فتودعها حركة الحياة ، وما جاءت به من علم الله وإرادته ، ويكون ذلك غاية فعلها مفردة ، وبعد ذلك مع النفس مزوجة ، والله أعلم .

وأما **النفس**(٨٦) : فإنها روح لطيفة حارة مفرطة الحرارة ؛ لأن الله تعالى خلقها من القسم الأعلى الذى انفلق أولاً من العقل الكامل -كما قدمنا- ثم أسكنها فى الدماغ الذى هو أبرد مافى البدن وأرطب ؛ ليعتدل له طبعه بها. والدماغ فى الرأس هو بيت الحواسِّ الخمس جعله الله ينبوعاً للحس والحركة النفسانية ومصدر الإرادات الإلهامية إلى الإنسان ومصدر روحانية النفس من مهبط روح القدس الظاهر الذى هو روح وحى الله الباطن .

---

(٨٦) قال العلامة ابن أبى العز : الذى يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل : أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نورانى علوى ، خفيف حسى متحرك ، ينفذ فى جوهر الأعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون ، والنار فى الفحم . فمادامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف ، بقى ذلك الجسم اللطيف ساريا فى هذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار ، من الحس والحركة الإرادية . وقد وقع فى كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاثة أنفس : مطمئنة ، ولوامة ، وأمَّارة ، وقالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه هذه . والتحقيق أنها نفس واحدة ، لها صفات ، فهى أمّارة بالسوء فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة ، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها ، وتلوم بين الفعل والترك ، فإذا قوى الإيمان صارت مطمئنة. [شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٥ ، الروح لابن القيم ص٢٦٤] .

ومنه الواردة : التى كانت ترد على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وحياً بالقرآن الكريم إلى داخل قلبه فيسمعه منه قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، قال الله تعالى ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل :١٠٢] .

ومن أجل ذلك كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم ينطق بالقرآن قبل أن يسمعه من جبريل عليه السلام ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره أن لا يُعَجِّل بما حصل فى سمع قلبه الباطن من وحى روح القدس حتى يسمعه بالسمع الظاهر على قلبه من جبريل عليه السلام ؛ ليتأيد ما عنده بما أتى به جبريل عليه السلام ، فيكون ذلك آكد لإبلاغ الرسالة وأقوى حجة لما أوحى الله به إليه ، فقال عز وجل ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرءَانِ مِنْ قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً﴾ [طه:١١٤] .

ومصدر فعل النفس ، عن الروح ، عن العقل ، عن روح الأمر ، عن الله عز وجل ، فهى تتصرف فى الحواس بجميع ما أودعها الله وألهمها بواسطة روح الحياة وتتحرك بإرادة نفسانية خلقها الله تعالى فيها ، تصدر عن إرادة الله عز وجل بما قضاه من خير أو شر أو طاعة أو معصية ، حتى ينفعل ما كان سابقا فى علم الله تعالى وما أبرمه بحكمه ومشيئته ، فيخرج ذلك من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، فالله تعالى هو مُلهم النفس على الحقيقة لما أراد لقوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس : ٧،٨] .

فهى مسخرة مقهورة بيد قدرة الله تعالى كسائر المخلوقات الجاريات بمشيئة الله تعالى وتدبيره لملكه بما شاء ، تبارك من له العلم والقدرة والحول والقوة فى كل شىء ومن بيده الملك وهو على كل شىء قدير .

والأصل فى فعل النفس : أن الله تعالى جعلها روحاً واسطة واصلة بين الروح والجسد ، فطرفها الأسفل متصل بدماغ الجسد الذى هو مبدأ الحواس ، وطرفها الأعلى متصل بالروح .

فمن أجلْ ذلك : تكون النفس ساكنة فى بعض الأحوال لاتصالها بالجسد الساكن عند الخمول ، وتارة تكون متحركة وذلك عند الإرادة ؛ لاتصالها بروح الحياة المتحركة أولا .

وأما الروح : فإنها لا تبرح تتحرك بسر الحياة ما دامت النفَسُ باقية مدة عمر الإنسان ؛ ولهذا لا تفارقه عند النوم كمفارقة أفعال الحس النفسانية ؛ لأن النفس عند النوم تنجذب إلى القلب لبُخارات ترتفع إلى الدماغ من الخوف، فتَنُوب عنًها تلك البخارات ؛ لاعتدالها ، لأن أصلها من الأربع الطبائع المركبة التى تخدم القلب -كما ذكرنا أولا فى تركيب الإنسان- فترجع الحواس عن أفعالها المفارقة للنفس . وهذا هو النوم الطبيعى الذى خلقه الله تعالى للإنسان ؛ ليستريح به من تعب الحركات الجسمانية والنفسانية التى تكون عند اليقظة ، فإذا دخلت النفس إلى الجوف اجتمعت الأرواح الثلاثة فى القلب أعنى : العقل ، والروح، والنفس ؛ فتكثر الروحانية هنالك . ولهذا يرى النائم شيئاً فى منامه فيكون حقا كالوحى لكثرة الروحانية واجتماعها فى القلب، فيصير ما رآه وحيا لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((الرؤيا الصالحة: جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة))[٨٧] .

والدليل على أن النفس تنجذب عند النوم إلى القلب لكثرة الروحانية -كما ذكرنا- وكثرة الحرارة التى تهضم الطعام عند النوم لدخولها بزيادة الحرارة إلى الجوف ، فيقوم النائم وقد استمرئ[٨٨] ، وكَثُرة برده[٨٩] ظاهر البدن بسكون الحرارة المحركة واجتماع الحرارة الغريزية فى الجوف ؛ ولذلك يطلب الدِّثار[٩٠] .

---

(٨٧) أخرجه مسلم فى الرؤيا (١:١٦) عن إسماعيل بن الخليل .

(٨٨) أى هضم الطعام .

(٨٩) أى علا البدن بروده .

(٩٠) ما يتغطى به النائم .

وفى جميع ما ذكرنا من أفعال النفس دليل لمن قال : إنَّ النفسَ بخلاف الروح ، خلافاً لمن قال : إنهما واحدة . واحتج بأن الأرواح كلها روح واحدة، فهذا عائد إلى أنَّ الأصل فى الأرواح جميعها اللطافة فقط(٩١) .

والصحيح ما ذكرنا لكونها متفرقة فى كل جسم وهى متعددة وبعضها ألطف من بعض كقولنا : عقل وروح ونفس لكل واحدة فِعل ، فإذا اجتمع الجميع كحالة النائم كثُرتْ اللطافة وقويت الروحانية المناسبة فى أصل الجنس منها فيقوى فعلها . وكحالة من يرقى من كثافة جهل النفس إلى لطافة ، حلم العقل . والدليل على ذلك : حالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما فنيت نفسه فى لطافة روحانيته المجتمعة على العقل الكامل . حُبِسَ عنه شيطانه وفعلت حواسه عند النوم كفعلها فى اليقظة ؛ لكثرة الروحانية فيه ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((تنام عيناى ولا ينام قلبى))(٩٢) .

---

(٩١) اختلف الناس فى مسمى النفس والروح : هل هما متغايران ، أو مسمّاهما واحد ؟ فالتحقيق أن النفس تطلق على أمور ، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولهما تارة ، ويختلف تارة . فالنفس تطلق على الروح ، ولكن غالب ما يسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها . ويطلق على الدم ففى الحديث : ((مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه)) .والنفس : العين ، يقال : أصابت فلاناً نفس ، أى عين . والنفس الذات ﴿**فسلموا على أنفسكم**﴾ وقوله ﴿**لا تقتلوا أنفسكم**﴾ ونحو ذلك . أما الروح فلا يطلق على البدن ، لا بانفراده ، ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن ، وعلى جبريل عليه السلام ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ وقوله ﴿**نزل به الروح الأمين**﴾ ويطلق الروح على الهواء المتردد فى بدن الإنسان أيضاً . وأما ما يؤيدُ اللهُ به أولياءَه ، فهى روح أخرى كما قال تعالى﴿**أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ وكذلك القوى التى فى البدن ، فإنها أيضا تسمى أرواحاً ، فيقال : الروح الباصرة ، والروح السامع والروح الشامُّ ، ويطلق الروح على أخص من هذا كله ، وهو : قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته . وهذا نقلاً عن ابن أبى العز فى شرح العقيدة الطحاوية . [شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٤ ، العقل والنقل لابن تيمية ١٧٧/٢ الروح لابن الجوزى ص١٥٥] .

(٩٢) ذكره صاحب كنز العمال (٣١٩٠٠،٣٢٢٤٩) [عن عبد الرازق - عن عائشة ؛ ابن سعد عن المسند مرسلاً] .

وأقوى دليل على أن الأرواح متعددة : قول الله عز وجل حيث قال ﴿يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا والّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيهَا المَوْتَ وَيُرسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر :٤٢] .وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف))[٩٣] .

ولنرجع إلى أصل فعل النفس ، ولما كانت النفس واسطة واصلة بين الروح والجسد ، تم فعلها واستيلاؤها على جميع البدن لقُربها منه ، فإذا أراد الله تعالى إلهام النفس شيئاً ألهم العقل أولاً بواسطة روح الأمر ، والعقل يلهم النفس بواسطة الروح ، فإذا صدر عن جميع الإلهام بإرادة الله تعالى إلى النفس أرادت واستولت على البدن فى بيتها الذى هو الدماغ ومبتدى حركات الحواس ، وفعلت ما ألهمت به من خير أو شر واكتسبت ما قُدِّرَ عليها من طاعة أو معصية ؛ لأن عملها فى الأصل مخلوق ، قال الله تعالى ﴿واللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات :٩٦] فيكون ما أراد الله تعالى قديماً فى سابق علمه محدثاً بإرادتها بعد إرادته ، محكما فى ديوان حكمته ، وتدبير ملكه وعلمه وقدرته ، ومادة النفس فى الروح ، ومادة الروح فى العقل ، ومادة العقل من روح الأمر ، ومادة روح الأمر من الله عز وجل فيتصل ذلك جميعه بالجسد كائناً ما كان ؛لأن الجسد متصل بالنفس التى هى روح حِسِّهِ والنفس متصلة بالروح التى هى روح حياته ، والروح متصلة بالعقل الذى هو روح إلهامه ، والعقل متصل بروح الأمر الذى هو مِنْ خير ربه يظهر إليه ما فى وجوده من علمه وقدرته وإرادته .

والجميع حكمة الله وصنعته التى اخترعها ؛ ليَدُل بها على وجوده ومعرفته وعلمه وقدرته وإرادته ، وذلك أنَّ الله تعالى أقام إرادته مقام ذاته ،

---

(٩٣) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة باب الأرواح جنود مجندة رقم (٢٦٣٨) .وآخر فقرة من الحديث هى آية من القرآن سورة محمد الآية رقم (٢٣) .

فتجلى بمحاسن صفاته فى جميع موجوداته فدّل على معرفته بنفسه فقط ، كما قال تعالى ((**كنت كنزا لم أعرف فخلقت خلقا ثم تعرفت لهم فبى عرفونى**))[٩٤] . فهو محرك بالإرادة لروح الأمر ، وروح الأمر روح محرك للعقل والعقل روح محرك للجسد يتصرف فيه بجميع الأفعال النفسانية وإرادتها الصادرة عن إرادة عالم الغيب والشهادة .

وكل روح من هذه الأرواح عقل عاقل ومعقول أى جامع ومجموع ، فجامع بما يَصْدُر منه إلى ما تحته ، ومجموع مما صدر منه إليه مما فوقه ، فالنفس عقل للجسد ، والروح عقل للنفس ، والعقل عقل للرروح ، وروح الأمر عقل العقل .

والبارى جل جلاله : عقل عاقل لجميع العقول العاقلات والمعقولات ، ومنه مصدرها وإليه يؤول أمرها كلها ، فهو فاعلها وصانعها على الحقيقة ، وكل واحد منها طبيعة مطبوعة ؛ أى كتابة مكتوبة بيد قدرة الله تعالى ؛ لأن الطبيعة مشتقة من الطبع الذى هو طبع الخاتم[٩٥] المكتوب الذى يطبعه فى الشمع ، فتنتقل الكتابة والصورة التى فى الخاتم إلى الشمع فى دفعة واحدة ، وفى ذلك إشارة إلى قوله تعالى ﴿**كن فيكون**﴾ ما أراد من تلك المخلوقات المتصلات بعضها ببعض ، فتنتقل تلك الصورة المعنوية الروحانية ، وذلك الطبع المطبوع من الوجود الأعلى إلى الوجود الأسفل من كل طابع ومنطبع ، فيقع الاتصال بين كلتى الطرفين ؛ فتكون صورة النتيجة المجتمعة من كل واحد منهما كما اتصل الخاتم بالشمع وظهر من بينهما صورة بالرسم المطلوب وقد يميز الطابع المنطبع بمشاهدة معرفة العارف . هذا حكم ما ينتقل من الموجودات إلى بعضها إلى بعض .

وأما ما ينتقل من وجود الله إلى وجود المخلوقات ، من العلم والمعرفة والإرادة فينطبع كما ينطبع الشىء المنظور فى المرآة الصغيرة ؛ فإنك إذا

---

(٩٤) تقدم فى هامش (٥٤) .

(٩٥) الطابع تُطبّع به السِمَة .

قابلت بها جبلاً صُوِرَ بجميع أجزائه فيها وحصل علمه ومعرفته من غير اتصال بها ولا انفصال عنها ؛ فهو متصل بمشاهدة النظر إلى الطبع المطبوع فيها فقط . كاتصال الفاعل والمفعول باللمس المتصل من الطرفين ، وهو منفصل عنها بالكلية ؛ لأن ذاته غير ذاتها ، وإنما شوهد منه ما انطبع بالعقل من الصفة المنطبعة فى طبيعة المرآة، فالمرآة كقلب العارف بالله عز وجل تُصُوِرَ فيها وانطبع من العلم والمعرفة والإرادة ، وهى صفات الله تعالى التى يتجلى بها للقلب ويطبعها فيه فَيُنْفِذها من وجوده إلى وجود الإنسان العارف فيوجدَها بعد العدم .

فإذا أراد الله ظهورها مِنْ عالم غيب الإنسان إلى عالم شهادته ألهم النفس فُجُورَها وتقواها ، فتحركتْ إرادتها عن إرادة الله عز وجل بما أودع الله فيها من الطبيعة المطبوعة ويظهر بفعل النفس كائناً ما كان .

فهذا كافٍ فيما أردناه مِنْ علم العقل والرُّوح والنفس ، وقصدناه فى ذلك من علم الطبيعة ، وجعلناه أساساً لما نحن ذاكروه فى كتابنا هذا ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب والحمد لله رب العالمين .

الباب الرابع
فى
فضائل الآدمى
ومعرفة الخالق من الخلائق من صورته

اعلم -هداك الله تعالى- أنّ الإنسان أفضل المخلوقات وأكرمها على الله عز وجل وأكملها وأحسنها خلقاً بما أودع الله فيه من بديع حكمته ورفيع صنعته؛ وذلك أنّ الله تبارك وتعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وفضله على سائر خلقه وركبه فى أحسن صورة ، قال الله تعالى فى محكم كتابه لإبليس اللعين ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] . وقال تعالى للملائكة ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾ [الحجر :٢٩] وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء : ٧٠] وقال تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤] . وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الله خلق آدم على صورته))[٩٦] . وهذه الصورة ليست بمعنى صورة جوهرية معقولة[٩٧] الشكل ، كالإنسان ونحوه من الجواهر المجسمات المدركات بالحس ، وإنما هى صورة معلومة الوجود بالمعنى المفهوم بالعقل لا بالحس والخيال دل بها على معرفته ، وهى كما يقال : صورة المسألة كذا وكذا ونحوه من أسماء المعانى ، فمن اعتقد وقدر أن لله صورة جسمية جوهرية ثم صورها فى نفسه وعبدها فهو عابد صنم على الحقيقة -كما قدمنا- لأن الله تعالى منزه عن كل شىء فى ذاته

---

(٩٦) جزء من حديث أخرجه البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب بَدْءُ السَّلام (٦٢٢٧) ، ومسلم فى كتاب البر والصلة (١١٥) ، أحمد فى مسنده (٢/٢٤٤) كلهم عن أبى هريرة . وقال ابن حجر : واختلف إلى ماذا يعود الضمير ؟ فقيل : إلى آدم ، أى خلقه على صورته التى استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات ، دفعها لتوهم من يظن أنه لما كان فى الجنة كان على صفة أخرى ، وابتدأ خلقه كما وجد لم ينتقل فى النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة . وقيل : الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد فى بعض طرقه :((على صورة الرحمن)) . والمراد بالصورة الصفة ، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شىء . [فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١١/٥] .

(٩٧) فى النسخة (ع) ، (ك) : مفعولة .

وصفاته وأفعاله ، وكذلك قول الله عز وجل ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] . وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ((كلتا يدى ربى يمين))[٩٨] ونحو هذا إنما هى يد قدرة فى المعنى ، كما يقال : يد الأمير على الناس والأمير والناس فى يد السلطان .

ومعلوم أن كل واحد من السلطان والأمير والناس منفرد ، إن كل واحد من السلطان والأمير منفرد عن الآخر على حدته ، فقد صح أن المعنى يد قدرة ، فكذلك قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] . ليس هذا الاستواء معلوم الكيفية المجسمة كجلسة السلطان على كرسيه وسريره ونحو ذلك ؛ إنما هو معلوم بمعنى القدرة والاستيلاء عليه بالقهر والغلبة بالملك والقهر . واستولى على ذلك[٩٩] ؛ قال الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وليس استواءه أيضاً بعد عجز ؛ إنما هو على قدرته التى هو عليها قبل خلق العرش وبعده ، وهو الآن على ما كان عليه من القدرة والعظمة ولا يحول ولا يزول عما هو عليه البتة ، ولكن أخبرهم أن العرش هو عظيم الخلقة عند سائر المخلوقات فى العجز والافتقار إلى الله تعالى كأحقر شىء منها ، وأن الله تعالى هو الذى خلقه أعظم المخلوقات ، واستولى عليه بالقهر والقدرة ، فهو حقير عند الله تعالى -وإن استعظموه- وأن الله هو العظيم الذى لا يقاس شىء بعظمته ، لأنه منزه عن العجز والانتقال من حال إلى حال ، قديم أزلى وأخير أبدى ، لا يعتريه النقص عند الكمال ، ولا التغيير من

---

(٩٨) ذكره الزبيدى فى الإتحاف [٢/١١٠، الهيثمى ١٠/٣٤٤] وعزاه إلى مسند أبى يعلى من حديث ابن عمرو ، قال : رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن حماد وهو ثقة .

(٩٩) فى النسخة (ع) ، (أ) : غير موجود به هذا البيت .

حال إلى حال[(١٠٠)] . وكذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((ينزل ربكم إلى سماء الدنيا ، وذلك في النصف من كل ليلة ، فيقول : هل من داع فأسمعه ....))[(١٠١)] الحديث . فليس هذا النزول كالتحول المجسم من مكان إلى مكان ؛ كنزول جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض ؛ وكنزول الإنسان من على ظهر دابته وسريره ؛ إلى الأرض ، إنما هو نزول صفة ملاطفة ورحمة يدنو بها إلى العبد فيقربه إلى كرمه ورحمته ، كما دنا بذلك إلى حبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث قال تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم:٨]. يعني : جبريل عليه السلام يوم سأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يريه صورته التي خُلق عليها ، فانتشر له ستمائة جناح حتى سد الأفق من المشرق إلى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مغشياً عليه ، فدنا منه جبريل عليه السلام في صورة الآدميين وضمه إلى نفسه . وفي ذلك بيان قدرة الله تعالى وبيان صفة الملاطفة والرحمة عند الدنو الذي

---

(١٠٠) فقد تأول الخلف الاستواء بالاستيلاء وشاع عندهم تبرير ذلك متجاهلين إتفاق كلمات أئمة التفسير والحديث واللغة على إبطاله ومع ذلك فإننا لا نزال نرى علماء الخلف -إلا قليلاً منهم- سادرين في مخالفتهم للسلف في تفسيرهم لآية الاستواء وغيرها من آيات الصفات وأحاديثها . وأخرج الدارمي في الرّد على الجهمية ص٣٣، عن جعفر بن عبد الله قال :(جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى ؟ قال : فما رأيت مالكاً وَجَدَ من شيء كموجدته من مقالته ، وعلاه الرحضاء (يعني :العرق) وأطرق القوم ، فسُرّي عن مالك وقال : الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) . وهذا موافق لقول الباقين على نحو ما جاء به على لسان أهل السنة وعلمائها، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب [العلو للإمام الذهبي] ، ومن قبله إمام الحرمين الجويني في رسالته [الاستواء والفوقية] .

(١٠١) جزء من حديث أخرجه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب صلاة الليل مثنى مثنى (١٦٣) ، وأحمد في المسند (٢٥٨/٢) عن أبي هريرة بلفظ :((إذا بقي ثلث الليل نزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا ، فيقول : من ذا الذي يدعوني فاستجيب له.....)).

قال فيه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم:٩] . قال المفسرون قدر قوسين، وقيل قدر ذراعين ، وهو حديث مرفوع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، أو أدنى فيما تقدرون أنتم .

وأما الله سبحانه وتعالى ، فهو عالم بمقادير الأشياء ولكنه خاطبنا بما نفهم من عادة كلام العرب ، فأخبرا أنه قَرَّبَ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقَرُبَ منه بصفة الملاطفة والرحمة حتى كان أقرب من قاب القوس الذى هو بالقياس أقرب من سماء الدنيا إلى الأرض فيما يقدر عند صفة ملاطفة سائر العباد بالرحمة والكرم ، فكل مَنْ اعتقد لله تعالى فى هذه الصفات معنىً مجسماً ؛ فإنما هو مشرك بالله كافر به ؛ غير منزه لله تعالى فى عقيدته ، خارج فى مذهبه عن الشريعة والحقيقة .

ولنرجع إلى ذكر الصورة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الله خلق آدم على صورته))[١٠٢] . أى دل : بخلق صورة آدم ﷺ على علمه ومعرفته . وذلك أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من روح وجسد .

فأما الجسد : فهو دال بالإشارة على جميع الخلائق كلها بأسرها من العرش إلى الفَرْشِ[١٠٣] . ليس من ذلك شىء إلا وفى الإنسان نسبة مشيرة إلى معرفته ، ولا يفقد من ذلك ذرة إلا وهى مودعة فى شخصه ؛ فهو عالم أصغر ونسبة مختصرة بجميع الموجودين : العلوى والسفلى ، يقرؤها أولو البصائر والألباب الراسخون فى العلم .

وذلك أن قلب الإنسان فى النسبة كالعرش ، ودماغه كالكرسى ، ورأسه كالسموات ، وجثته كالأرضين ، وحواسه كالملائكة ، وعظامه كالمعادن ، وشعره كالنبات ، ولحومه كالحيوان ، ودمه كالبحار ، وعروقه كالأنهار ،

---

(١٠٢) تقدم تخريجه فى هامش (٩٦) .

(١٠٣) فى النسخة (أ) العرش . والفرش : هو الفضاء الواسع من الأرض .

ونسمه الحار كطبيعة الحرارة ، ونسمه البارد كطبيعة البرودة ، وريقه كطبيعة الرطوبة، وأثقاله[١٠٤] كطبيعة اليبوسة ، وأخلاطه الأربعة كالعناصر الأربعة ، وفرحه كالربيع، وغضبه كالصيف ، وحزنه كالخريف ، وخموله كالشتاء ، وتبسمه كالنسيم ، وضحكه بالتبسم كالبرق ، وقهقهته كالرعد ، وبكاؤه كالمطر ، وسكونه كالليل، وحركته كالنهار ، ونومه كالموت ، ويقظته كالحياة ، إلى غير ذلك مما لا يحصى عدده من المناسبة للعوالم العلويات إلى طريق هذا العالم الطبيعى فى جسده والله أعلم وأعز وأكرم .

وأمَّا الروح : فإنها روح لطيفة لاهوتية[١٠٥] مودعة فى كثيفة ناسوتية[١٠٦] دالة بإشارة المعنى على معرفة البارى عز وجل فى ذاتها وصفاتها وأفعالها .

وأما الذات : فإن الروح التى بها حياة الإنسان وحركته وحسه لا ترى ولا تدرك بنظر محسوس ولا تُحد بحد ، ولا توصف فى الجسد بأين ولا كيف ، ولا تُخَص منه بموضع دون موضع ؛ بل هى فى كل مكان منه معلومة الوجود بفعلها ، وهى مستترة عنه بذاتها . وفى ذلك إشارة إلى أن الله تعالى فى عالمه الأكبر كذلك .

وأما الصفات : فإن الله تعالى جعلها واحدة فى الجسد مدبرة له ؛ ليعلم أن الله واحد مدبر لجميع خلقه لا شريك له فى ملكه ﴿**وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَداً**﴾ [الكهف :٢٦] . وأيضا فإن الله تعالى خلقها أوَّلَ الجَسَدِ ، وتكون حية باقية إذا مات وفنى . وفى ذلك إشارة إلى الله تعالى ، أول بلا بداية وآخر بلا نهاية ، ومنه بدأ الخلق وإليه يعود ، وبه الحياة والموت ، وهو حى لا يموت .

---

(١٠٤) فى النسخة (ك) : أفعاله .

(١٠٥) جاءت من اللاهُوت : الألُوهَة وأصله لاه بمعنى إله ، زيدت فيه الواو والتاء مبالغة؛ ويقصد نسبة الروح إلى الله وتعلقها به ، وهو من كلام الفلاسفة اليونانيين .

(١٠٦) أى الطبيعة الإنسانية .

وأيضا فإن الله تعالى جعلها عليمة بما فى الجسد جميعه قديرة عليه كله وفى ذلك إشارة ؛ إشارة إلى أن الله تعالى بكل شىء عليم وهو على كل شىء قدير، ونحو ذلك من الصفات الدالة على معرفة الله عز وجل .

وأمّا الأفعال : فإن النفس لها إرادة تظهر عن إرادة الله عز وجل ؛ وذلك أن الروح تتحرك أولا بإرادة الله تعالى فى القلب الذى هو نسبة العرش، ثم تنقل تلك الإرادة إلى الدماغ الذى هو بيت النفس والحركة والحس وهو نسبة الكرسى وتحرك الحواس التى هى نسبة الملائكة ، فينزل ذلك إلى الجسد الذى هو نسبة الأرضين فيحدث من ذلك الإرادة النفسانية ما تصوّر أولا فى خزانة القلب كائنا ما كان من كتابة أو قراءة ونحو ذلك من فعل أو قول أو غير ذلك ، فيخرج مافى عالم غيبها إلى عالم شهادتها . وفى ذلك إشارة إلى أن الله تعالى فى عالمه الأكبر كذلك إذا أراد إظهار شىء من عالم غيبه إلى عالم شهادته ؛ أحدثه أولا إلى العرش الذى هو كالقلب فى النسبة فيتحرك العرش بما أراد الله تعالى أولا كما تحرك القلب ، ثم تنزل تلك الإرادة إلى الكرسى الذى هو نسبة الدماغ ، ثم إلى السماوات التى هى نسبة الرأس ، ثم تنزل بها الملائكة الذين هم فى النسبة كالحواس إلى الأرض التى هى كسائر الجسد ، فيكون ما أراد الله تعالى إظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة معدنا كان أو نباتا أو حيوانا ، كائنا ما كان ، فقد وقع العلم بخروجه من القوة إلى الفعل بالنسبة النفسانية التى أودعها الله فى الإنسان وأجراها فى مشيئته وإرادته وقدرته وحوله وقوته ، ودل بذلك على حقيقة معرفته .

فإن قال قائل جاهل : هل هذا إذاً سنة(١٠٧) الله ؟

فالجواب له : تعالى الله عن ذلك وتقدس وتنزه عما قال الجاهل ؛

---

(١٠٧) فى النسخة (ك) : شبه .

فإن الروح ليس لها قدرة إلا على جسدها وحده ، ولا علم لها إلا بما فيه ، والله على كل شيء قدير وبكل شيء عليم . وأيضا فإنها ضعيفة عاجزة مقهورة بما يوقعه الله تعالى عليها من خير أو شر لا تستطيع لذلك دفعا ولا نفعا ويقضى عليها بفراق جسدها الذى هو أحب الأشياء إليها ، فتفارقه كرها عند الموت المقدر عليها وعلى جميع المخلوقات ، من الله تعالى ذى القوة القاهرة والعظمة الباهرة(١٠٨) ، وهى مخلوقة مسخرة تجرى فى جميع أحوالها تحت حكمة الله وإرادته وقضائه ومشيئته بحوله وقوته وعلمه وقدرته ، والله عز وجل منزه عنها وعن جميع المخلوقات بذاته وصفاته وأفعاله . فليس كما قال الجاهل ؛ وإنما هى فى جميع ما ذكرنا من ذاتها وصفاتها وأفعالها دالة على : علم الله ومعرفته وقدرته وعظمته، بالإشارة النفسانية فى الصورة الإنسانية التى هى: أحسن الصور المخلوقات وأتمها خلقا ، وقد نبه على ذلك فى محكم كتابه ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [فصلت : ٥٣] . وأيده من السنة الحديث الذى بنينا عليه هذا الباب من قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الله خلق آدم على صورته))(١٠٩) .

فهذا ما أردناه من فضائل الآدمى ومعرفة الخالق والخلائق من صورته وقد أودع الله تعالى فى الإنسان نفسه وفى تركيب صورته ، من العلم والمعرفة والحكمة بتدبير العقل ما يستخرج به جميع العلوم الغامضة الطبيعية وغيرها ، والله أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٠٨) فى النسخة (أ) : الناصرة .

(١٠٩) تقدم فى هامش (٩٦) .

الباب الخامس

فى

استخراج العلوم الغامضة الطبيعية

اعلم –هداك الله تعالى– أن علم الطبيعة لما كان دالا على معرفة الله وعظمته وقدرته وبديع حكمته ، كان أيضا دالا على استخراج العلوم الغامضة التى عزُبت[(١١٠)] عن الجهال وعن أكثر العُقَّال ، ولم يعرفها إلا جهابذة العلم من ذكور الرجال .

وذلك أن علم الطبيعة يحتوى على علوم شتى ، كما علمنا من العلوم الجليلة الرفيعة والأسرار الغامضة البديعة ، وينطوى على علوم كثيرة أيضاً من العلوم التى لا طائل تحتها كعلم النجوم وعلم الضمائر وعلم السحر مما لا فائدة فيه ، وربما ضيع فيه الإنسان أكثر أوقاته على غير فائدة ؛ لأن علم النجوم كل حين يحتاج إلى التفقد ، والنظر إلى الطالع والغارب ، والمتوسط ، وقطب الأرض ، وما بين ذلك من تثليث أو تربيع أو تسدس أو مقارنة ، أو مواصلة ، وافتقاد رب الطالع أين هو من المثلثات وأوتادها وأوساطها وسواقطها ، وما يُنظر إليه من الكواكب السعدة والنحسة من المواضع السعدة والنحسة والحكم بقوام البيت والشرف والجد ، والمثلثة والوجه ، والحكم بما غلب من ذلك . ثم النظر بعد ذلك بالطبيعة فى مناسبات الجواهر العلويات والسفليات والوصف بالصفات المشبهات والمختلفات والمنفردات والمختلطات، وتمييز هذا من هذا ؛ حتى يظفر بما تمحص من جميع ذلك فحينئذ يقع الحكم بالغلبة ، وهذا شىء يطول شرحه ؛ لكثرة تنوعه وبعد غايته .

وغاية ذلك وفائدته : شق الأسماء والصفات ، ومعرفة المواليد والتدقيق فى حساب الأمور الدنيوية ، فلا فائدة فى ذلك .

وكذلك علم الضمائر من أى نوع كان ؛ لأنه من اقتراح علم الغيب وتكلفه ، وهذا فضول فيما يكون من قضاء الله مستقبلا ، فأمره إلى الله

---

(١١٠) أى غَابَتْ وبَعُدَت وخُفِيت .

وربما انتقض بقوله تعالى ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد : ٣٩] . فلا يكون ذلك أبدا ، وربما أدى ذلك إلى الإثم .

وكذلك علم السحر ونحوه من العلوم التى لا فائدة فيها ، ولكن إذا كان لابد من استخراج شىء من العلوم الغامضة الطبيعية ؛ فليقصد من ذلك ما يوافق الشرع الشريف ، ويبعد عن الخطر والإثم ، ويستفيد به الإنسان نعيم الدنيا والآخرة ، ويسود به أهل زمانه ويزهد به فى تلك الدنيا من حيث ما يحطى ويستغنى به عن المخلوقين ويتقرب به إلى رب العالمين ، فيظفر بالنعيم المقيم فى الدنيا والآخرة ، وأذكر فى ذلك خمسة فصول :

الفصل الأول : فى علم الطب .

والفصل الثانى : فى علم الكيمياء .

والفصل الثالث : فى علم السيمياء .

والفصل الرابع : فى تقويم الشمس والقمر

والفصل الخامس : فى علم الفأل والزجر .

فهذه أحسن العلوم الغامضة الطبيعية وأبعدها عن الخطر وأجلها وأشرفها ، ولا غنى لعاقل عنها ، والله الموفق والمسدد للصواب .

الفصل الأول

فى

علم الطب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ورب البرايا وعالم الخفيات والجليات ، الذى أقام الأجسام المؤتلفات على أربع طبائع مختلفات ، وقدر الحياة والممات ، والمنافع والمضرات ، والسعادات والشقاوات وصلى الله على سيدنا محمد وآله عدد السكون والحركات .

اعلم -هداك الله- أن علم الطب(١١١) من أشرف العلوم الطبيعية وأجلها قدراً لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((العلم ؛ علمان : علم الأبدان ، وعلم الأديان))(١١٢) . فلهذا الحديث قدمت هذا الفصل على باقى فصول هذا الباب ، وميزته عنها بهذه الخطبة ، منبها بذلك على عظيم فضله وجليل قدره؛ لما أودع الله فيه من منافع المسلمين وقصدت بذلك وجه رب العالمين.

ولما فتح الله بعلمه عين بصيرتى ونوّر بهدايته مصباح سريرتى ووفقنى بتوفيقه إلى ذلك ، لخصت من هذا العلم سائر زبده ، وخلصت الصفو من بين ركده(١١٣) ، بعد إمعان النظر فى أصول كتب الحكمة ، والإرشاد من الله تعالى بالتأييد والعصمة . فالتقطت من لجج(١١٤) بحاره أنفس الدرر وأحرزت فوائدها فى هذا الفصل المختصر ، وهاك بما يسرّ الله على الحكيم الماهر بتوفيق الحكيم الخبير القاهر .

---

(١١١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص٩١٧ ، [مفتاح السعادة ٣٠٣/١ ، مفاتيح العلوم ص٩٢] .

(١١٢) هو ليس من كلام النبى ﷺ ، ولكن نسبه السيوطى فى كتاب "الطب النبوى" إلى الإمام الشافعى ، وقال صاحب "كشف الخفا" نقلاً عن ابن حجر أنه موضوع وأنه من كلام طبيب العرب الحارث بن كلدة . [كشف الخفا ٦٩/٢] .

(١١٣) العَكَرُ .

(١١٤) أى من أوسع البحار وأصعبها .

اعلم أن الموجب للطب هو أن نعْلم أن البدن مطية والإنسان ، والدين والتقى زاده ، وهو مسافر وغاية سفره الآخرة ، فلابد من إصلاح مطيته لحمل زاده المندوب إليه لقوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧] .

والتقوى : مطابقة العلم بالعمل ، ولا يمكن ذلك إلا بصحة العقل والقلب والبدن . فهذا هو الموجب للطب ، وقد ندب الله تعالى إلى ذلك بقوله عز وجل ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة : ١٩٥] . وأعظم ما يؤدى إلى المهالك أن يستعمل الإنسان ما يضره ولا ينظر فى عواقبه . وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الله أنزل الداء والدواء ؛ فتداووا ، ولا تتداووا بحرام))(١١٥) . قال أبو الدرداء : يا رسول الله ، أيما خير لى أبتلى فأصبر أم أعافى فأشكر ؟ فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :((ورسول الله يحب معك العافية)) .

وحد الطب ؛ منقسم إلى قسمين : حفظ صحة موجودة ، أو رد صحة مفقودة .

فأما حفظ الصحة الموجودة : فهو مراعاة حفظ الصحة فى حال عافية البدن ، والنظر فى عاقبته ؛ لأن العاقل هو الذى يتدبر الأمر قبل الوقوع فيه ، ونحن نذكره إن شاء الله تعالى فى آخر الفصل ؛ لنختمه به .

وأما رد الصحة المفقودة : فهو معالجة الأبدان بالأدوية عند وقوع الأمراض ، فلابد من معرفة أصل علم الطب ؛ لهذا فلنذكره هاهنا إن شاء الله تعالى .

---

(١١٥) أخرجه البخارى ، كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء (٥٦٧٨)، وابن ماجة ، كتاب الطب ، باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء (٣٤٣٩) عن أبى هريرة رضي الله عنه بلفظ : ((ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً)) .

وأصل الطب : هو أن تعلم أن أصل الحيوان مركب من النبات ، والنبات مركب من المعدن ، والمعدن مركب من العناصر ، والعناصر مركبة من الطبائع ، والطبائع مركبة من الحرارة والبرودة ، والحرارة فاعلة والبرودة منفعلة ، وهى متولدة من الحرارة الفاعلة بعد السكون . وهما : أول ذكر وأنثى لكل نتيجة تكون من كل شىء ، قال الله تعالى ﴿**وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الذاريات : ٤٩] . وأصلهما من الحركة الإلهية التى هى قدرة الله تعالى ، وهى علة العلل الفاعلة فى جميع الأشياء المنفعلة فاعلم ذلك .

والأخلاط أربعة[١١٦] : وهى متولدة من العناصر الأربع ، كما ذكرناه فى تركيب آدم صلى الله عليه وآله وسلم .

فالأول : وهو خلط الصفراء[١١٧] ، وهو حار يابس متولد من عنصر النار، ومسكنه المعدة .

والثانى : خلط الدم[١١٨] ، وهو حار رطب متولد من عنصر الهواء ، ومسكنه الكبد.

والثالث : خلط البلغم[١١٩] ، وهو بارد رطب متولد من عنصر الماء ، ومسكنه الرئة .

والرابع : خلط السوداوى[١٢٠] ، وهو بارد يابس متولد من عنصر التراب[١٢١] ، ومسكنه الطحال .

---

(١١٦) وهى فى عرف الأقدمين : الدم ، البلغم ، السوداء ، الصفراء .

(١١٧) أى المرَّة ، وهى أحد الأخلاط الأربعة وهى صفراء اللون والجمع (مِرار) .

(١١٨) هو السائل الأحمر الذى يجرى فى عروق الحيوان .

(١١٩) أحد أخلاط البدن الأربعة فى عروف الأقدمين .

(١٢٠) مقَرُّه فى الطحال .

(١٢١) فى النسخة (أ) ، (ك) الماء .

والجميع يخدمون القلب الذى هو بيت الحياة وطبيعة الوسط بآلات يصلح بها البدن مدة عمر الإنسان لا قوام له إلا بها ، كما ذكرنا فى ذلك الباب الثانى عند تشريح أجزاء آدم صلى الله عليه وسلم .

والطبيب محتاج إلى معرفة الأصول الباطنة والظاهرة ، والأشياء الذاتية والأشياء العرضية ؛ ليصنع(١٢٢) ما يَعْرِفُ لما يُعْرَفُ ، بعد النظر إلى جميع الأصول الفرعية والأصلية من الشىء الفاعل والمنفعل ، ومقدار الوقت والنعت ، ولا سبيل إلى الحكمة ومعرفة الطب إلا بذلك ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

واعلم أن الأمزجة خمسة :

المزاج الصفراوى : وهو الذى غلبت عليه الحرارة واليبس ؛ لأن فيه من الحرارة ثمانية أجزاء ، ومن اليبوسة أربعة أجزاء ، ومن البرودة جزئين، ومن الرطوبة جزئين .

وعلامة صاحب هذا المزاج فى البلاد المعتدلة : إذا كان على هذا الوزن حمرة اللون مع صفرة قليلة وقد تستوى فيه الحرارة واليبس ، فيكون كل واحد منهما ستة أجزاء ، فيكون لونه أصفر ذهبيا مشربا بحمرة قليلة ، وقد يغلب اليبس على الحرارة ؛ فيكون اليبس ثمانية والحرارة أربعة فيكون اللون أدم أسحم(١٢٣) إلى كمودة(١٢٤) مشربة بحمرة .

---

(١٢٢) فى النسخة (ع) : يضع .

(١٢٣) أسود .

(١٢٤) تغير اللون وذهاب صفائه ، وكمودة: أى غامق .[مفيد العلوم لابن الحشا ص٥٨٥] .

وعلى الجملة : يكون صاحب هذا المزاج حار الملمس خفيف الحركات، ذكى الفهم ، شجاعا مقداما ، قليل النوم قليل اللحم والدم ، شعره أسود جعد أو قطط ، يليه حمرة أو زرقة ، وتسرع إليه الأمراض الصفراوية، والله أعلم .

المزاج الدموى : وهو الذى غلبت عليه الحرارة والرطوبة ؛ لأن فيه من الحرارة ثمانية أجزاء ، ومن الرطوبة أربعة أجزاء ، ومن البرودة جزئين، ومن اليبوسة جزئين .

وعلامة صاحبه فى البلاد المعتدلة : إذا كان على هذا الوزن أسمر اللون بحمرة فاقعة نامية ذهبية ، فإن استوى فيه الحرارة والرطوبة ؛ كان أصفر اللون مشرباً بحمرة فاقعة ، وإن كثرت الرطوبة على الحرارة ؛ كان أبيض اللون مشربا بحمرة .

وعلى الجملة ؛ يكون صاحب هذا المزاج حار الملمس حسن الشعر ، ضحوك السن ، طيب النفس . فإن كثرت فيه الرطوبة ؛ كان كثير اللحم والدم، كثير المنى ، بطىء الحركات كسلان كثير النوم . وإن اعتدلت فيه الرطوبة ؛ كان معتدل اللحم معتدل الحركات ، ذكى الفهم ، طلق الوجه بشوشا فرحانا فى جميع أموره ، وأكثر ما يسرع إليه من الأمراض كثرة الدم، والله تعالى أعلم .

والمزاج البلغمى :هو الذى غلب عليه البرد مع الرطوبة ؛ لأن فيه من الرطوبة ثمانية أجزاء ومن البرودة أربعة أجزاء ومن الحرارة جزئين[(١٢٥)] ومن اليبوسة جزئين .

---

(١٢٥) فى النسخة (ع) ، (ك) ليس بهما هذه العبارة .

وعلامة صاحبه فى البلاد المعتدلة : إذا كان على هذا الوزن أن يكون أبيض اللون شديد البياض . فإن استوى فيه البرودة والرطوبة ؛ كان معتدلاً البياض يضرب إلى الجص(١٢٦) ، وإن كثرت الرطوبة ؛ كان أبيض يضرب إلى لون الرصاص.

وعلى الجملة ؛ إن صاحب هذا المزاج يكون ثقيل البدن كثير اللحم والشحم ، بارد الملمس ، كثير الرطوبات كثير النوم كسلانا ، بليد الفهم بطىء الحركات جبانا فى جميع أموره ، وتسرع إليه الأمراض البلغمية والله أعلم .

والمزاج السوداوى : وهو الذى غلب عليه البرد مع اليبس ؛ لأن فيه ثمانية أجزاء من البرودة ، ومن اليبوسة أربعة أجزاء ، ومن الحرارة جزئين، ومن الرطوبة جزئين .

وعلامة صاحب هذا المزاج فى البلاد المعتدلة : إذا كان على هذا الوزن أن يكون رصاصى اللون إلى غبرة . فإن استوى فيه البرد واليبس ؛ كان معتدل البياض يضرب إلى كدرة . وإن كثر اليبس على البرد كان ردىء اللون أسود إلى غبرة .

وعلى الجملة ؛ إن صاحب هذا المزاج يكون صلب البدن ، بارد الملمس، يابس الجسم قليل اللحم والشحم والدم معاً ، بطىء الحركات قليل النوم ، قليل الجماع ، فإن جامع ضره الجماع ضرا عظيما خصوصا إن أفرط فيه وتسرع إليه الأمراض السوداوية ، والله أعلم

والمزاج المعتدل : وهو الذى اعتدلت فيه الطبائع الأربع عند المزاج ففيه من كل طبيعة أربعة أجزاء .

---

(١٢٦) أى يشبه بياضه بياض الجص .

وعلامة صاحبه فى البلاد المعتدلة : ذهبى اللون أسمر ، معتدل الحالات فى جميع خلقته ؛ لابالطويل ولا بالقصير ولا بالسمين ولا بالنحيف ولا بالعجول ولا بالبطىء ؛ بل هو متوقر فى جميع حالاته مستوى الخلقة ، مليح المحاسن حسن الأخلاق ، كثير الصحة متوسط فى جميع أموره وأحواله وأفعاله ، والله تعالى أعلم وأحكم .

وقد تتغير الأمزجة بالأزمنة والأمكنة .

أما الأمكنة : فالبلاد الباردة كبلاد الترك والصقالية جوها بارد ، فمن أجل ذلك ترى أكثر أهلها بيضا حمر الوجوه شجعانا ؛ لِكُمون الحرارة فى أجوافهم ، حيث كثرت البرودة على ظواهر أجسامهم . ومثل البلاد الحارة كبلاد الحبشة جوها حار ، فمن أجل ذلك أجسامهم سود وشعورهم قططة ، وأكثر أهلها جبان؛ وذلك لكمون البرد فى أجوافهم عند قوة الحرارة على ظهور أجسامهم .

ومن الأمكنة : مواضع الصنائع ، كمن صنعته عند النيران وفى الشموس دائما ، كالحدادين والأعراب ونحوهم ، تلحقهم السخونة فى أبدانهم ، والكمودة، وشدة[(١٢٧)] البدن وسخونته . ومثل من صنعته لا يبرح من الماء ، كالبحارين والقصارين[(١٢٨)] ونحوهم ، تغلب عليهم رخاوة الأبدان وبرودتها ، والله أعلم .

وأما الأزمنة : فزمان الربيع حار رطب ، وزمان الصيف حار يابس ، وزمان الخريف بارد يابس ، وزمان الشتاء بارد رطب .

---

(١٢٧) فى النسخة (ع) : سمرة .

(١٢٨) حرفة القَصَّارة ؛ هى صناعة السفن .

وأما الأسنان ؛ فإنها أربعة :

سن الصبا : وهو حار رطب . مدته من المولد إلى خمسة عشر سنة وأكثره إلى العشرين ، ثم تغلظ الرطوبة وتتلزج ويبدو فيها اليبس ، وذلك أول سن الشباب .

وسن الشباب : وهو حار يابس عظيم القوة . أقله إلى ثلاثين سنة لأهل الأبدان الضعيفة المعتلة ، وأكثره إلى أربعين سنة لأهل الصحة والقوة ، ثم تلين الرطوبة(١٢٩) الغليظة وتبدو فيها المائية ويبرد الحر المفرط ويلين اليبس ويبدو أول الشيب ، وذلك أول سن الكهولة . فاعلمه .

وسن الكهولة : وهو بارد رطب معتدل الطبع فى القوة . وهو أصح الأسنان بعيد عن العلل لاعتداله . وأقله إلى ستين سنة وأوسطه إلى سبعين سنة، وغايته إلى ثمانين سنة ، وأكثر ما يكون هذا الانتهاء فى القوة لأهل الأمزجة المعتدلة والدموية ؛ لأنها أصح الأبدان ، ثم يبدو البرد واليبس وذلك أول سن الشيوخة(١٣٠) .

وسن الشيوخة : وهو بارد يابس كطبيعة الموت . وهو آخر العمر وبه يكون الفناء عند انقضاء الأجل المسمى ، وغايته إلى مائة وعشرين سنة ، وذلك هو العمر الطبيعى الكامل ، وأما ما زاد على ذلك فهو موهبة من الله عز وجل لمن أراد من عباده ، وقدر أجله بالطول إلى قدر معلوم فى سابق علمه .

وسبب الموت فى العمر الطبيعى ، والعمر الطويل : أن طبيعتى الحياة اللتين هما : الحرارة ، والرطوبة مستعملتان طول العمر فى جميع الأسنان

---

(١٢٩) فى النسخة (ع) : البرودة .

(١٣٠) فى النسخة (أ) : الشيوخة .

الأربعة ، وهما متحللتان لا محالة على طول العمر والمدى ويكون البرد واليبس – اللذين هما طبيعتا الموت – كائنتين حتى إذا انحلت طبيعة الحياة وضعفت ظهرت طبيعة الموت بقوة غالبة وذلك أنه متى فنيت الرطوبة الأصلية التى لا عمل للحرارة إلا بها انطفأت الحرارة الغريزية وخرجت الروح من الجسد غصباً كراهية لطبيعة الموت ، التى هى ضدها وعكسها ، فهذا هو العمر الطبيعى المقدر للأنام ، والله أعلم بغيبه وأحكم .

وأما من يموت قبل ذلك ؛ فلعلة ؛ أعظمها قضاء الله المبرم وتقديره المحكم ومشيئته الغالبة ، التى يقدرها على من يشاء من عباده وهو على كل شىء قدير . ثم يجعل لذلك سببا ، إما بقتل ، أو هدم ، أو حرق، أو غرق ، أو غير ذلك من أسباب التلف المهلكة ، فتنزوى الروح عند الواقعة إلى القلب الذى هو بيت الحياة ومسكنها ، فإذا ضاقت فيه من شدة الألم وخوف التلف ، ولم تجد نفسا ولا متسعا ولا منفذا ؛ خرجت من الجسد بذلك السبب المقدر عليها ، وإما أن يكون ذلك السبب بزيادة خلط من الأخلاط مفرط بطبيعته عكس التى تولد منها فتقهر ضدها وتغلب باقى الطبائع ، فيقع عكس[١٣١] الاعتدال بالقهر والغلبة ، فيفسد المزاج الطبيعى ولا تثبت الروح فى الجسد حينئذ ؛ لأنه لا ثبات لها ولا قوام لجسدها إلا باستقامة الطبائع الأربع على الاعتدال فى المزاج الطبيعى فيكون سببا للهلاك ، والله أعلم .

والأصل فى ذلك : أن تعلم أن أصل الحياة ؛ هو الحرارة الأصلية ، ولا عمل لها إلا بالرطوبة الأصلية ؛ إذ هما طبيعتا الحياة فى كل شىء ، فإذا قوى خلط الصفراء بزيادة حرارة و يبوسة عرضيتين ؛ فنيت الرطوبة الأصلية التى لا عمل للحرارة الغريزية إلا بها ، فيكون ذلك سببا للعطب والهلاك ويقع الموت لا محالة . فإذا قوى خلط الدم بزيادة حرارة ورطوبة

---

(١٣١) فى النسخة (ع) : قلة .

عرضيتين ؛ استولت الرطوبة العرضية على الرطوبة الأصلية واستغرقتها فيظهر البرد لكونه أصل الرطوبة ، فإذا قوى تحللت الحرارة الغريزية لقوة البرد وانطفأت ووقع الموت . فإذا قوى خلط البلغم بزيادة برودة ورطوبة عرضيتين ؛ تحللت الحرارة الغريزية لقوة البرد وانطفأت ووقع الموت أيضا. فإذا قوى خلط السوداوى بزيادة برودة ويبوسة عرضيتين قويت طبيعة الموت وانقهرت طبيعية الحياة ووقع الموت . فاعلم ذلك ، فهذا أصل سبب الموت بزيادة خلط مفرط بقوة طبيعية على سائر الطبائع ، والله أعلم .

وبهذا السبب تكون بداية الأمراض جميعها فى سائر الأمزجة جميعها .

ولذلك علامات[١٣٢] وأدوية مجملة نذكرها ها هنا فيكون ذلك أصلا لسائر الطب إن شاء الله تعالى .

أما الصفراء إذا زادت : فعلامة زيادتها صفره البول النارى[١٣٣] ولطفه وسخونته ، وصفرة الغائط ويبوسته ، وحرارة الملمس وشدة نبض العروق وشدة العطش ، ومرارة الفم ، وكثرة السهر وقلة النوم ، وقوة المرض بالنهار وسكونه بالليل ، ويرى فى منامه النيران والحريق والبروق والصواعق والحروب والصراخ .

وأكثر ما تسرع هذه الأمراض إلى أهل الأمزجة الصفراوية ، وفى سن الشباب وأيام الصيف أكثر .

فإذا بدت هذه العلامات ، فينبغى للإنسان أن يتدارك نفسه باجتناب الأغذية الحارة كاللحم والعسل والثوم والفلفل وكل حريف وكل ما كان حارا فى الطبع ، ويتغذى بكل غذاء بارد رطب كالألبان مع خمير الذرة أو خمير

---

(١٣٢) فى النسخة (ع) : علاجات .

(١٣٣) فى النسخة (ع) : الفائق .

البُرّ أو خمير الخبز أو الخمير المخمر من أى نوع يشاء من الحبوب ، ويجتنب الفطر ، وكل ما كان غليظ الطبع ، ويأكل الفواكه الباردة كالقثاء(١٣٤) والخيار ، والبقول الباردة كالخص والهندبا ونحو ذلك ، ويشرب تمر هندى وهو المخمر فإنه نافع لهذا المرض جدا ، وكذلك ماء الشعير ، والله أعلم .

فإن تساهل صاحب هذا المرض ولم يفعل ما ذكرناه ؛ أدى ذلك إلى أمراض خطيرة عظيمة عسرة كالحمى الحارة والأورام الصلبة واليرقان الصفراوى(١٣٥) والحمرة ، ونحو ذلك من الأمراض الحارة اليابسة ، فإذا بدأ بعض هذه الأمراض، فينبغى حينئذ أن يشرب مسهل الصفراء واستفراغ الخلط الصفراوى ، ويكفى منه أن يؤخذ خمسة دراهم من ورق السنا(١٣٦) وينقع فى غمرة من الماء يوما وليلة ثم يؤخذ ثلاثون درهما من تمر هندى وينقع أيضا فى الماء فى إناء آخر ، ويطرح فيه قدر عشرين درهما من السكر الأبيض ، ويتركه أيضا يوما وليلة ، ثم يصفى الجميع فى إناء واحد ويشربه على الريق ، فإنه يستفرغ الخلط الصفراوى بالإسهال استفراغا محكما ، ويحتمى مما ذكرناه أولا من الأدوية والأغذية الحارة ، ويتغذى بالأغذية الباردة – كما وصفنا – فهو شفاؤه إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

وأما الدم إذا زاد : فعلامة زيادته فترة الجسم ورخاوته ، مع السخونة وحمرة البول ، وغلظه وحمرة العينين ، وعظم عروقهما ، وشدة نبض العروق، وحلاوة الفم والكسل ، وبلادة الجسم والحواس ، وكثرة النوم

---

(١٣٤) نبات أبيض كبير ، خشن الأوراق يحمل حباً مستطيلاً كالخيار .[القانون لابن سينا ص٤٢٥ ، مفيد العلوم لابن الحشا ص١٠٤٢ ، الألباب للأنطاكى ص٢٣٣] .

(١٣٥) هو انتشار الخلط الصفراوى على سطح البدن وظهوره على الجلد .[مفيد العلوم لابن الحشا ص١٢٢٥] .

(١٣٦) شجيرات من فصيلة القرينات ؛ منه نوع يستعمل لب ثماره للإسهال .

والشرى[137] والحكيك[138] من زيادة الدم وقوة ذلك بالنهار وسكونه بالليل ، ويرى فى منامه الألوان الحمر والدماميل[139] وكل شىء صابغ أحمر ، ونحو ذلك .

وأكثر ما يسرع هذا المرض إلى أهل الأمزجة الدموية وفى الصبيان وزمان الربيع أكثر ، والله أعلم .

فإذا بدأت هذه العلامات فلا شىء أنفع من الفصد[140] والحجامة[141] واجتناب كل غذاء حار رطب ، وكل حلو وكل دَسِم كالحلوى والعسل والسمن واللحوم الدسمة واللبن البقرى الحليب ، ونحو ذلك مما يزيد فى الدم ، ويأكل كل غذاء بارد يابس خفيف كالمزوزات[142] وحب الرمان والخل ، ونحو ذلك من جميع الحوامض والقوابض .

فإن تساهل بذلك ولم يفعل ما ذكرناه ؛ أدى ذلك إلى الأمراض الخَطِرة العَسِرة كالأورام الرخوة والقروح والدماميل والجدرى ، ونحو ذلك ، فينبغى حينئذ أن يفصد القيفال[143] ، والباسليق[144] ، فيما خف من ذلك ، ويفصد

---

(١٣٧) الاضطراب .

(١٣٨) أى أصابه الحِكّة .

(١٣٩) فى النسخة (ع) : الدم .

(١٤٠) شق العرق وإخراج منه الدم .

(١٤١) المداواة والمعالجة بالمِحْجَم ، والمحجم : آلة الحَجْم ، وهى شىء كالكأس يُفَرغ من الهواء ويوضع الجلد فيحدث تهيجاً ويجذب الدّم بقوة .

(١٤٢) أى ما كان طعمه بين الحلو والحامض .

(١٤٣) هو العرق يفصد من الذراع ، وتسميه العامة عرق الرأس .[مفيد العلوم لابن الحشا ص٣٣٩ ، التذكره ص٩٩٧] .

(١٤٤) عرق فى الذراع ، ويُعرف بعرق البدن [مفيد العلوم لابن الحشا ص٣٣٥] .

الأكحل[١٤٥] فيما عظم منه ، ويحتمى بما ذكرناه ويتغذى بما وصفناه فهو شفاؤه ، والله أعلم .

وأما البلغم إذا زاد : فعلامة زيادته ؛ فترة الجسم ورخاوته وبرودة الملمس، وبلادة الفهم والأعضاء والحواس ، وكثرة النوم والكسل ، وكثرة الريق والبصاق والنخام ، وكثرة الرطوبة ، وملوحة الفم ، وشدة بياض البول وشدة المرض بالليل وسكونه بالنهار ، ويرى فى منامه المياه والسيول والأنهار والبحار وكثرة السباحة والغرق بالنهار ونحو ذلك .

وأكثر ما تسرع هذه الأمراض إلى أهل الأمزجة البلغمية ، وفى سنّ الكهول وزمان الشتاء أكثر .

فإذا بَدَت هذه العلامات ؛ فينبغى أن يتجنب كل غذاء بارد رطب كالخمير والألبان ويأكل البقول ونحو ذلك ، ويتغذى بكل غذاء حار يابس كاللحم والعسل والثوم والفلفل ، ونحو ذلك .

فإن تساهل صاحب هذا المرض بما ذكرناه ؛ وقع فى أمراض خطرة عسرة البرء مزمنة كالفالج[١٤٦] ، والبرص[١٤٧] ، والاستسقاء[١٤٨] ونحو ذلك. فيحتاج حينئذ إلى شرب مسهّل البلغم وهو : وزن خمسة دراهم أهليلج[١٤٩] أصفر يعجنه بعسل ويلعقه ، أو يسفّه مع السكر ؛ فإنه يسهله

---

(١٤٥) عِرقٌ فى الذراع يُفْصَد [مفيد العلوم لابن الحشا ص٣٣٤] .

(١٤٦) داء يحدث فى أحد شقى البدن فيبطل إحساسه وحركته .[مفيد العلوم لابن الحشا ص٩٤٧] .

(١٤٧) مرض يحدث فى الجسم كله قشراً أبيضاً ويسبب للمريض حكاً مؤلماً

(١٤٨) هو تجمع سوائل مَصْلِيّه فى تجويف أو أكثر من تجاويف الجسد .[مفيد العلوم لابن الحشا ص١٠٢] .

(١٤٩) من أنواع الأشجار الشائكة ، وله أصناف كثيرة ، منه الأصفر الفج والأسود الهندى ؛ وهو البالغ النضج ، ومنه صينى : وهو دقيق خفيف .[القانون لابن سينا ص٢٩٧ ، مفيد العلوم لابن الحشا ص١١٩٧] .

إسهالا محكما ، فإن كفاه مرة وإلا استعمله مرارا كل أسبوع مرة أو مرتين ، ويحتمى بما ذكرناه أولا ويتغذى بما وصفناه ؛ فإنه شفاؤه ، والله أعلم .

وأما السوداوى إذا زادت : فعلامة زيادتها ؛ شدة العطش مع برد البدن أو سخونة قليلة ، وقلة النوم ، وكثرة السهر ، وحموضة الفم ، وغلظ البول مع حمرة وسواد ، ويبس الطبيعة ، ويشتد ذلك بالليل ويهون بالنهار ، ويرى فى منامه الظلمات والغارات والأشياء المهولة المفزعة ، والخوف والهرب ، وكأنه يريد أن يهرب فلا يقدر .

وأكثر ما تسرع هذه الأمراض إلى أهل الأمزجة السوداوية ، وفى زمان الخريف وسنّ الشيوخ أكثر .

فإذا ظهرت هذه العلامات ؛ فينبغى اجتناب كل غذاء بارد يابس كالعدس ولحم البقر والباذنجان وحبِّ اللوبيا والباقلاء(١٥٠) ونحو ذلك ، وجميع البوارد والحوامض والقوابض ويتغذى بكل غذاء حار رطب كحنطة(١٥١) البُر النقى ، ولحم الكبش السمين والعسل والحلوى العسلية والسكرية ، ويشرب لبن البقر المحلوب على الزبد الطرى ، أو على السمن والعسل ؛ فإنه بليغ جداً فى إزالة الخلط السوداوى .

فإن تساهل ولم يفعل ما ذكرناه ؛ وقع فى أمراض خطرة عظيمة مزمنة عسرة البُرء كحمى الربيع ، والجرب ، والحزاز الأسود(١٥٢) ، والكلف(١٥٣) ،

---

(١٥٠) الباقلاء من البقل : وهو جميع النباتات العشبية والمراد بها هنا الفول أو الترمس . [القانون لابن سينا ص٢٧٨ ، الألباب للأنطاكى ص٦٣] .

(١٥١) القمح ومنه : برى ، ومنه بستانى ، ومنه المصرى .

(١٥٢) داء فى الجسد يتقشر منه الجلد ، وهو القوباء .[القانون لابن سينا ص٣١٥ ، مفيد العلوم لابن الحشا ص٣١٦] .

(١٥٣) تغير لون البشرة بكدر تعلوه .[مفيد العلوم لابن الحشا ص٦١٨] .

والجذام، ونحو ذلك . فينبغي حينئذ حين يرى ظهور هذه العلامات أن يشرب مسهّل السوداوى وهو : عشرة دراهم أهليلج أسود مع خمسة دراهم من ورق السنا ، وثلاثين درهما من تمر هندى منزوع الرغوة والليف والنوى ، يهشم الجميع ويغمره بالماء ويجعله فى قدر على نار لينة حتى يغلى وتزول الرغوة الخاصية، ثم يصفيه ويشربه على الريق ، ويحتمى بما ذكرناه من الأغذية ويتغذى بما وصفناه ، فإن نفع المسهل فى مرة وإلا أعاده مرارا مع الاحتماء، فإنه شفاؤه ، إن شاء الله تعالى ، والله أعلم وأحكم .

واعلم أن المعدة حوض البدن فما ورد فيها من الأغذية بصحة صدر بصحة وما صدر فيها بعلة ورد بعلة ، قال النبى ﷺ : ((المعدة بيت الداء))[١٥٤] . وفى رواية : ((البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد))[١٥٥] . فصحة المعدة وجودة هضمها دليل على : صحة البدن . ومرضها وضعفها عن الهضم دليل على : المرض وسبب لجميع الأمراض .

فعلامة المعدة الصحيحة : أن الهضم فيها يحيل الغذاء لاثنى عشرة ساعة . وذلك أن الطعام المأكول النازل إلى المعدة ينهضم فيها أربع ساعات وهو يندفع إلى الأمعاء أولا فأولا ، ثم تهضمه الأمعاء هضما ثانيا أربع ساعات أيضاً ، ثم يندفع إلى الكبد أولا فأولا ، ثم يهضمه الكبد هضما ثالثا

---

(١٥٤) حديث :((المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء)) . قال العجلونى نقلاً عن صاحب المقاصد الحسنة : لا يصح رفعه إلى النبى ﷺ ، بل هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب .قلت : هناك من قول النبى ﷺ ماهو أدق ، وأوفى ، وهو قوله : ((ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات -أى لقيمات- يقمن صلبه ، فإن كان ولابد ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه)) . رواه الترمذى وقال : حسن . [كشف الخفاء :٢/٢١٤] .

(١٥٥) تقدم فى الذى قبله .

أربع ساعات أيضا ، ثم يندفع إلى العروق أولا فأولا ، حتى يصير الغذاء إلى جميع البدن فى اثنى عشرة ساعة متفرقا . ثم تحس الطبيعة بالجوع عند ذلك. فهذا هو الهضم الطبيعى ، وهذا فى الأبدان الصحيحة والبلاد المعتدلة . وأقل مدة الهضم ثمان ساعات ، وهذا لأهل الأمزجة الحارة فى البلاد الباردة . وأكثر مدته أربعة وعشرون ساعة ، وهذا لأهل الأمزجة الباردة فى البلاد الحارة . ومازاد ونقص عن هذه المدة التى ذكرناها ، فإنه دليل على العلة والمرض ، والله أعلم .

وعلامة المعدة المريضة : أن يغلب عليها أحد الأخلاط الأربعة ؛ فيختل طبعها إلى طبعه فتمرض ، ولذلك علامات وأدوية نذكرها هاهنا .

فإذا غلب عليها خلط الصفراء بزيادة حر ويبس فيها ؛ حدث عن ذلك شهوة عظيمة للطعام وسوء هضم مفرط ، حتى يستحيل الطعام فى أقل مما ذكرناه فى الصحة ، ويقع الجوع سريعا بخلاف العادة ولا يشبع الإنسان ، فإذا شبع لم يقنع .

فإذا ظهرت هذه العلامات ؛ فليستعمل كل غذاء بارد رطب وتمر هندى يشربه مع السكر ، فإنه نافع فى هذا ، والله أعلم .

فإذا غلب عليها خلط الدم بزيادة حرارة ورطوبة ؛ فيما حدث عن ذلك شدة شهوة الطعام حتى إذا حضر وأكَل أدنى أَكْل وقع به غثيان وسهوكة(١٥٦) فى الفم حتى يكاد أن يتقيأ .

فإذا ظهرت هذه العلامات وهى دليل على استرخائها ، فليأخذ الرمان الحامض يدقه بقشرة ولبه وحبه ويأكله ، فإنه دباغ نافع لعلتها هذه ويحتمى عن كل حلو ودسم ويأكل كلّ حامض قابض فإنه دواءه ، والله أعلم .

---

(١٥٦) فى النسخة (ع) : سُهُولة . سهوكة : وهى الريح الكريهة .

وإذا غلب عليها خلط البلغم بزيادة برودة ورطوبة رخيت أيضـا ، وعلامتها الغثيان ، وقلة العطش ، وكثرة البصاق ، وقلة شهوة الطعام . فإذا ظهرت هذه العلامات ؛ فليستعمل هذا السفوف[(١٥٧)] وهو مصطكى[(١٥٨)] ولبان شجرى وقرنفل[(١٥٩)] وكمون وفلفل وزنجبيل[(١٦٠)] ، وملح الطعام أجزاء سواء ، يسحقه ويستفه على الريق ، وقبل الطعام وبعده ومعه وعند النوم ، فإنه نافع ، ولا يقرب الغذاء البارد ولا الفواكه ولا البقولات ، ويتغذى بكل حار يابس فهو شفاؤه إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

فإن غلب عليها خلط السوداوى بزيادة برد ويبس فيها ؛ حدث عن ذلك قلة شهوة الطعام مع العطش ، وقلة الهضم ، فإذا حدث ذلك فليستعمل صاحبه هذا الشراب العسلى ، وهو أن يأخذ هذا العسل منزوع الرغوة يطرح على كل رطل منه درهم زنجبيل ودرهم مصطكى مدقوقين ، ويستعمله على الريق وقبل الطعام وبعده وعند النوم ، ويستعمل كل غذاء حار رطب فهو شفاؤه ، والله أعلم .

وعلى الجملة ؛ فلا شيء أضر على المعدة من كثرة الأكل والشبع ، وإدخال الطعام على الطعام قبل ماتمّ هضمه ولا استحال . فهذا سبب لجميع التخم ، فإذا وقع ذلك غلطا على عاقل ، فليبادر بالقيء بماء ساخن فاتر قد طبخ فيه قليل من الملح والخل ، ويصبر على الأكل حتى يجوع جوعا شديدا ثم يأكل ويقتصر على القدر الذى سنذكره عند ذكر الأكل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

(١٥٧) ما يُسفّ من دواء ونحوه .

(١٥٨) شجر ذات ثمرٌ يميل طعمه إلى المرارة ويستخرج منه الصمغ .

(١٥٩) ثمرة نبات يشبه الياسمين ، ولكنه أسود .

(١٦٠) نبات شبيه بطعم الفلفل طيب الرائحة ولكن ليس له لطافة الفلفل .

واعلم أن أوجاع المعدة إذا اشتدت وزادت عليها كان سببا وبداية لجميع الأمراض . وعلامة شدة وجعها وزيادة غلبتها(١٦١) : الصداع والحميات ، وذلك على أربعة أنواع عند زيادة الأخلاط الأربعة كما تقدم :

فأما الحمى الحارة اليابسة : تحدث من زيادة خلط الصفراء وهى التى تبدو بصداع قوى ونبض عظيم متواتر فى العروق ويكون منها الشقيقة(١٦٢) ، وحمى الثانى : وهى التى تجىء يوما وتغيب يوما .

فإذا بدت علامتها ، فيطلى الأصداع أولا بأفيون(١٦٣) وزعفران مسحوقين بخلٍّ وماء ورد ، ثم يستفرغ الخلط الصفراوى بمسهّل الصفراء الذى ذكرناه ويستعمل هذا الشراب كل يوم على الريق وهو الماء المعتصر من الليمون مع السكر، وينقع تمر هندى مع السكر من الليل ، ثم يصفيه ويشربه باكرا على الريق ويكون الغذاء خبز خمير البُرّ أو خميرة الذرة مع اللبن والسكر ، أو سويق الذرة مع السكر ، فإنه جيد ويحتمى ما عدا ذلك ، فإنه يبرأ سريعا إن شاء الله تعالى .

أما الحمى الحارة الرطبة : تحدث من زيادة خلط الدم وهى التى تبدو بصداع عظيم ، ونبض قوى فى العروق ، وحمرة فى العين مع عظم عروقهما ، وتكون منها الشقيقة أيضا والحمى المطبقة(١٦٤) بالحرارة .

---

(١٦١) فى النسخة (ع) : علتها .

(١٦٢) وجع شديد فى نصف الرأس .

(١٦٣) عصارة لبنية تستخرج من نبات الخشخاش ، تستخدم للتخدير ، وأغراض طبية أخرى .[القانون فى الطب ص٢٥٦ ، مفيد العلوم لابن الحشا ص٤٦ ، الألباب للأنطاكى ص٤٨].

(١٦٤) كل حمى لا تقلع نوباتها واختص بها الحمى الدموية ، ويراد بها عند الإطلاق سوماخس يعنى الدائمة عن الدم الكائن داخل العروق . [مفيد العلوم لابن الحشا ص٣٦٠ ، الألباب للأنطاكى ص١١٩] .

فإذا بدت علامتها فتطلى الأصداغ بما ذكرناه فى الحمى الصفراوية ويستعمل هذا الشراب كل يوم على الريق – وهو الخل مع السكر – فإذا هشم السفرجل وغمر بالخل غمرا جيدا أو نقع فيه يوما أو يومين أو ثلاث ، ثم عصر وأضيف إليه السكر كان أبلغ من ذلك ، وإذا سُف من الكزبرة المدقوقة مع السكر وزن درهمين على الريق ، فهو أيضا نافع جيد . ويكون الغذاء سويق الذرة مع السكر والمزوزات بالحموضة والقبوضة كحب الرمان ونحوه، ولا يقرب الدسومات جميعها ولا يستعمل شيئا غير ما ذكرناه ؛ فإنه يبرئ سريعا ، إن شاء الله تعالى .

وأمّا الحمى الباردة الرطبة : تحدث من زيادة خلط البلغم وهى التى تبدو بصداع خفيف ، ونبض ضعيف ، ثم تطبق بذلك مع فترة فى الجسم إلى سبعة أيام ونحو ذلك ، وتظهر السخونة والحمى القوية العظيمة ، حتى يُطبخ الجسم طبخا عظيما ، وقد يغيب الذهن عند ذلك فإن وقع العرق العظيم كان ذلك جيد ، وإلا فهى قاتلة ؛ لأنها أخطر الحميات وتكون سببا للموت .

فإذا بدأت أول علامتها فتطلى الأصداغ بالطلى المتقدم قبل هذا ، ثم يستفرغ الخلط البلغمى – بمسهل البلغم الذى ذكرناه أولا– ، ويستعمل لها المعجون كل يوم على الريق ، وعند النوم ، وهو فلفل وزنجبيل يدق كل واحد منهما وحده وينخل ناعماً ، ثم يأخذ من كل واحد منهما جزء بالسوية ، ويعجنها بعسل ويكون الغذاء خمير نقى البُرِّ ، مع لحم الفراريج والدراريج(١٦٥) والسُّمَّان(١٦٦) ، ومرقها المعمول بالحوائج الحريفة والزنجبيل المربّى بالعسل نافع ، ويحتمى عن كل شىء سوى ذلك ، فإنه يبرئ سريعا ، إن شاء الله تعالى .

---

(١٦٥) مفرد دُرَّاج : طائر شبيه بالحجل أرقط بسواد وبياض .[القانون لابن سينا ص٢٩٧، مفيد العلوم لابن الحشا ص٤٢٤ ، الألباب للأنطاكى ص١٤٠] .

(١٦٦) فى النسخة (ع) : السماق .

وأمّا الحمى الباردة اليابسة : تحدث من زيادة خلط السوداوى ، وهى التى تبدو سخونة لينة وصداع خفيف ونبض ضعيف متباعد ، ثم يشتد بعد ذلك شدة عظيمة حتى يكون مثل وقع الإبر فى الجسم ، ويكون منها حمى الرِّبع[(١٦٧)] ، وهى التى تنوب يوما وتغيب يومين ، وهى عسِرة البرء مزمنة ، لا تكاد تنقطع .

فإذا ظهرت علاماتها فيبدأ بالطلى المتقدم ، ويستفرغ الخلط السوداوى بمسهّل السوداوى ، ثم يستعمل هذا الغذاء وهو أن يحلب لبن البقر على السمن والعسل ويشربه من تحت الضرع ، ويكون ذلك غذاؤه صباحاً ومساءً ، ولا يأكل غيره ولا يأكل يوم النوبة شيئاً ، حتى إذا كان عند بدء الحمى شرب ماء ساخنا قد أعده لذلك ؛ فإن هذا صحيح مجرب وعلامته أن النوبة تتأخر عن وقتها ولا تزال كذلك حتى تنقطع سريعاً ، إن شاء الله تعالى .

واعلم أن كل غذاء ودواء مما ذكرناه وذكره الحكماء كلهم لا ينفع الاقتصار منه على مرة أو مرتين ؛ بل يعتمد عليه الإنسان حتى تعتدل الطبيعة الضعيفة والقوية ويبرأ الجسم من ذلك ، وأقله ثلاثة أيام ولا حدَّ لأكثره إلا العافية من المرض ، ويحتمى عن ما عداه من جميع ما ذكرناه وذكره الحكماء إلا المسهل ؛ فإن فيه مرة كافية فى سائر الأمراض إلى ما نبهنا عليه ونبه عليه الحكماء فى العلة العظيمة المزمنة ، وكذلك المريض إذا بدأ به المرض ينبغى أن لا يأكل شيئا إلا إذا دعته نفسه إليه ، ولا يكره على الأكل إلا ما كان شرابا لطيفا أو معجونا لطيفا ؛ لأنه مما يزيل العلة ويفيق شهوة الطعام ، فإذا اشتهى المريض الأكل فليأكل برفق ولا يشبع البتة ، ولا يكثر من الأكل ما دام مريضا ، ولا يأكل شيئا غليظا ولا ما يضره ، وكذلك

---

(١٦٧) هى حمى سوداوية ، تقع النوبة الثانية بعد النوبة الأولى بيومين ، أو تنوب يوماً وتترك يومين. [مفيد العلوم لابن الحشا ص٣٦٩ ، الألباب للأنطاكى ص١٢١] .

إذا برئ حتى يمكث بعد العافية والصحة من المرض أياما كثيرة وتستقوى طبيعته الضعيفة وتعتدل صحته .

فهذه أصول الأمراض وأدويتها على الجملة فى أصل علم الطب . وبقىَّ أوجاع مفردة تحدث أحياناً فى أعضاء متفردة وأكثرها مندرج تحت هذه الأصول ، والنظر فى ذلك للحكيم الماهر بعين المعرفة فى أهل الطبيعة ، ولنذكر من ذلك ما تكثر دورته فى الناس الجاهلين بعلم الطب والعمل به حتى لا يخلو هذا المختصر من ذلك ، وليكون كتابنا هذا جامعا للفوائد المهمة إن شاء الله تعالى . ولا أذكر إلا ما كان مجربا صحيحا سهلا ، فلا خير فى ارتكاب الخطر ولا فى الأمور العسرة ؛ لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ((أبرك الأمور أسهلها))[١٦٨] .

[ذكر ما يكثر دورانه من الأمراض]

داء الثعلبة : هو أن يمترط[١٦٩] شعر الرأس حتى يكون كالبطة . سببه: زيادة خلط غليظ سوداوى ، فيبتدأ أولا باستفراغه ثم يؤخذ خرقة حارة قد أغليت فى ماء فيه نخالة وملح ، فيكمد بها الرأس ، ويفحس[١٧٠] فحسا جيدا حتى يحمرَّ ، ثم يشرط بموس ويلف عليه بخرقة أو بمشراط حجام فى جميع الجلدة حتى تدمى أو تكاد تدمى ، ثم يحرّق الثوم والشيح حتى يصير رمادا ، ثم يعجنان بالعسل وماء البصل ويطلى به جميع الرأس ويلف عليه بخرقة ويترك يوما وليلة ، ثم يعاود الطلى بعد الغسل بالماء المتقدم ذكره .

---

(١٦٨) لم نعثر عليه بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من مصادر .

(١٦٩) فى النسخة (ك) : يمرط .والمعنى : أى تساقط الشعر .

(١٧٠) يدلك دلكاً جيداً .

والفحص بعد الكمد بالخرقة المذكورة : يفعل ذلك سبعة أيام ، فإن الشعر ينبت إن كانت العلة حادثة من قريب . فإن كانت مزمنة واحتاجت إلى زيادة الدواء فيغسل الرأس كما تقدم ويشرط أيضا حتى يدمى ، ثم يعاود العمل أسبوعا آخر كذلك حتى ينبت الشعر ويكسى الرأس ، فإذا كساه حُلق ؛ فإنه ينبت نباتا صالحا إن شاء الله تعالى .

دهان يحسن الشعر ويقويه ويمنع الآفات عنه : يغلى سليط(١٧١) العصير أو الزيت على نار لينة ، وترمى فيه المصطكى(١٧٢) واللاذن(١٧٣) ، ثم ينزل ويضاف إليه لعاب بذر قطنة(١٧٤) ، ويستعمل فى الأسبوع مرة ، فإنه نافع جيد لذهاب الشعر إذا تلف الشعر فى أى موضع فى الجسد وطلى بالأفيون المعجون بماء البنج(١٧٥) مرارا ، فإنه يزول ولا يعود أبدا ، وكذلك النشادر ومرارة المعز ...... ، إذا طلى بذلك بعد النتف أيضا مرارا منع الشعر أن ينبت البتة صحيح مجرب .

خفة الرأس : سببها يبس فى الدماغ . إذا أكل اللوز بالسكر الأبيض أو عمل منهما حلوى واستعمل منهما عند النوم ؛ زاد فى جوهر الدماغ زيادة بليغة ولين يبسه ، صحيح مجرب .

للحفّظ : اعلم أن سبب النسيان من زيادة البلغم . فإذا أُخِذ من الكندر(١٧٦) والسكر ، والزنجبيل ، واللبان الشجرى أجزاء سواء ، ودق

---

(١٧١) كل دهن عُصر من حب ، أو الزيت الجيد .

(١٧٢) شجر له تمرٌ يميل طعمه إلى المرارة .

(١٧٣) شجيرات مائية من فصيلة اللاذنيات ، دائم الورق ، يوجد بكثرة على شواطىء البحر المتوسط .

(١٧٤) بذر نبات مستدير دقيق الأوراق .

(١٧٥) نبات سام من فصيلة الباذنجانيات ، منبته بين الزروع أو الخرائب .

(١٧٦) صمغ لشجرة ذات أشواك . والمعروف باللبان الذكر .[القانون لابن سينا ص٣٣٧ مفيد العلوم لابن الحشا ص٦٠٢ الألباب للأنطاكى ص٢٥٢] .

الجميع دقا ناعما، واستعمل منه كل يوم على الريق ثلاثة دراهم ، وعند النوم مثل ذلك ؛ قطع البلغم وذهب النسيان وشجع القلب وزاد فى الحفظ زيادة عظيمة ، صحيح مجرب .

الكلف : هو سواد يظهر فى الوجه فيغيره ، دواءه يبدأ باستفراغ الخلط السوداوى ، ثم يطلى الوجه أول الليل بحرمل[(١٧٧)] ، وفلفل ، وملح أجزاء سواء مسحوقين ومعجونين بالعسل ، فإذا كان الصبح غسل الوجه بماء فاتر ، قد طبخ فيه نخالة وملح ، ثم يتركه بالنهار ، فإذا كان الليل استعمل الطلاء المذكور ويغسله بالصبح كما تقدم ، ويفعل ذلك مرارا ؛ فإنه يبرأ سريعا ، صحيح مجرب .

الصداع العظيم والشقيقة : أكثر ما يحدث من زيادة الصفراء . دواءه أن يبدأ باستفراغ الخلط الصفراوى ، ويطلى بأفيون وزعفران قد عُجِنا بخلٍّ وماء ورد على الصدغين ، ثم يرقد العليل ، فإنه لا ينتبه إلا معافى إن شاء الله تعالى ، وقد ذكرنا أصول الصداع عند ذكر الحميات فى الأصول .

داء الصمَّم : هو أصلى وعرضى ، فالأصلى : أمره إلى الله تعالى . والعرضى : يحدث من زيادة هواء بارد وقع بعد مرض حار ، أو بعد حرارة، ونحو ذلك فينسد السمع . دواءه : تؤخذ البصل الكبار يقطع منه رأس أو رأسان ، ويجعل عليه قليل من سليط قدر الكفاية القليلة ، وهو دون الغمر . ثم يُترك على نار لينة حتى يزبد ، ثم يؤخذ فيعصر الجميع بخرقة ويقطر منه فى الأذن وهو فاتر بقطنة ، ثم تبل القطنة بعد ذلك فيه وتدسُّ فى الأذن وتترك يوما وليلة ثم تنزع ويُحْذَرُ الهواء عند نزعها ، ثم يعاود ذلك مرارا ، فإنه نافع حينئذ صحيح مجرب .

---

(١٧٧) نبات أوراقه مصفوفة على جانبى الغصن ، يزرع فى الحدائق ، له فوائد طبية كثيرة .[القانون لابن سينا ص٣١٥ ، مفيد العلوم لابن الحشا ، الألباب للأنطاكى ص١١١] .

داء المدَّة فى الأذن : يؤخذ العسل ، يجعل على نار لينة ويطرح فيه فلفل وأنزروت[(١٧٨)] أجزاء سواء مدقوقين ، ثم ينزل ويقطر منه فى الأذن بقطنة ، ثم تبل القطنة فيه وتدس فى الأذن وتترك فيه يوما وليلة ، ويستعمل ذلك مرارا ، فإنه صحيح مجرب .

داء الرمد : سببه حرارة ؛ صفراوية أو دموية وهى الأكثر ، فإذا هاج فيبدأ دواءه أولاً بالحجامة فى نقرة الرأس ويقطر فى العين من ماء الصبر الأخضر ، ويضمد الأجفان بقطنة مبلولة بماء الصبر المذكور ، وبزلال البيض ، ويستعمل العليل الدعة[(١٧٩)] والسكون فى بيت مظلم ، ويجتنب النظر إلى البياض والشعاع والأشياء الدقيقة الرقيقة والعبث باليد إلى العين ؛ فإنه أضر ما يكون على الرَّمِد وعلى الصحيح من الرمد أيضا ، فإذا نضج الرمد وعلامة نضاجه تلزج الدمع بأشفار العين ، فيذر فيها التشمية[(١٨٠)] مع قليل من المر أو من الصبر السقطرى[(١٨١)] ، فإنه نافع مجرب .

داء البياض العارض للعين : دواءه أن يستعمل له هذا الأكحال : وهو: خمسة دراهم زنبق[(١٨٢)] يلغًم بخمسة دراهم رصاص أسود ويضاف إليها خمسة دراهم كحل إثمد[(١٨٣)] وخمسة دراهم توتيا[(١٨٤)] ودرهم

---

(١٧٨) صمغ شجرة شائكة فى بلاد فارس وفيه مرارة .

(١٧٩) الراحة .

(١٨٠) فى النسخة (ع) : الششم .

(١٨١) نبات من فصيلة الزنبقيات له أوراق لحمية ، منابته البلدان الحارة .

(١٨٢) نبات من فصيلة الزنبقيات ، زهرته من أجمل الأزهار مهده الشرق الأوسط .

(١٨٣) حجر الكحل ، روى عن النبى ﷺ أنه قال : ((اكتحلوا بالإثمد)) . انظر الشمائل للترمذى ص١٢٦ المجلد الأول .

(١٨٤) مادة تنتج عند تخليص النحاس من الشوائب ، وتستعمل ككُحْل للعين .

[القانون لابن سينا ص٤٤٣ ، مفيد العلوم لابن الحشا ص٢٠٣ ، الألباب للأنطاكى ص٩١]

رأس أخت[(١٨٥)] ودرهم ملح الطعام أبيض ذكر . ويسحق الجميع بمرارة غراب سبع سحقات ، ثم يجعل فى مكحلة ويكتحل منه عند النوم ؛ فإنه يزيل البياض العارض من العين وإن كان بخمسين سنة ، والله أعلم .

وإذا سحق الزعفران والتوتيا بلبن إمرأة ، وقطر منه فى العين بقطنة مرارا ؛ قطع البياض العارض للعين . والله أعلم .

وأمّا الحمرة فى العينين : فإن حجامة نقرة الرأس نافعة فى حمرة العين جدا ، وإذا حُلّ الملح فى الماء القراح[(١٨٦)] وقطر منه فى العين ورقد صاحبه عند ذلك لم ينتبه إلا وقد زالت الحمرة من العين ، صحيح مجرب .

كِحَالٌ يُحد النظر الضعيف : يؤخذ زعفران وكافور وسكر نبات أجزاء سواء ، يسحق الجميع سحقا ناعما ويذرّ منه فى العين أو يكتحل به ، فإنه نافع جدا . وإذا فتحت العينان فى ماء بارد ساعة عند طلوع الشمس زاد فى ضوء البصر زيادة بليغة .

كِحَالٌ للأصحاء الأغنياء : خمسة دراهم زنبق يلغم بخمسة دراهم رصاص أسود ، ويضاف إليهما خمسة دراهم برادة ذهب ، وخمسة دراهم برادة فضة ، وخمسة دراهم لؤلؤ ، ومثل الجميع كحل إثمد ، يسحق الجميع ثلاث سحقات بماء الرازيانج[(١٨٧)] وهو الشَمَار[(١٨٨)] ، وثلاث سحقات بماء الورد ، وثلاث سحقات بالماء القراح العذب البارد ، ثم يسحقه بعد ذلك يابسا ونضيف إليه شيئا من المسك ويجعله فى مكحلة زجاج ويكتحل منه عند النوم

---

(١٨٥) فى النسخة (ع) : رأس خت ، فى النسخة (ك) : غير موجودة .

(١٨٦) الماء الخالص .

(١٨٧) صمغ يستخرج من شجر الصنوبر .

(١٨٨) بقول من فصيلة الخيميات ، يفوح منه رائحة زكية ، وهو منتشر فى البلدان الممتدة على شواطىء المتوسط .

سبحة أميال[١٨٩] أو خمسة أو ثلاثة كل ليلة ، ثم يرقد فإنه يحد البصـر وينبت الشعر ويذهب جميع العلل من العين ويمنعها من ذلك ، والله أعلم .

كِحَال الأصحاء الفقراء : يؤخذ خمسة دراهم زنبق يلغم بخمسة دراهم رصاص أسود ، ويضاف إليهما خمسة دراهم كحل أثمد ، وخمسة دراهم توتيا ، ويسحق الجميع ثلاث سحقات بماء الورد ، وثلاث سحقات بماء القراح العذب البارد ، ثم يسحقه يابسا بعد ذلك ونضيف إليه شيئا من المسك ويُكتحل منه ؛ فإن هذا يحد البصر ويقويه وينبت الشعر ويطرد العلل عن العين ، والله أعلم .

الزكام : هو جمود فى الدماغ لهواء بارد عرض له فى وقت بارد ، فيشرب الأنف بماء متغير غير العادة ويقع دغدغة فى الخياشيم[١٩٠] ، فينبغى أن يكبَّ صاحبه على دخان المائعة ، ويأكل الفطير الناضج الحار مع لبن البقر الحليب لوقته مع السكر ، فإذا نضج الزكام وعلامة نضجه : غلظ النخام، فليأكل الحلوى العسلية والسكرية ويلف الرأس باللثام والتغطية فى جميع الزكام ، فإن ذلك جميعه يبرئ الزكام سريعا ، والله أعلم .

داء الرعاف : اعلم أن ماء الورد والخل إذا قُطر منهما فى الأنف قُطع الرعاف لوقته وإذا خيف من الرعاف[١٩١] دُسَّت فى الأنف قطنة مبلولة بماء الورد والخلِّ ، فإنه نافع جيد مجرب .

دواء نود[١٩٢] الأسنان[١٩٣] : دقيق العفص[١٩٤] ، ودقيق ثمرة

---

(١٨٩) المفرد الميّل : ما يُجعل به الكحل فى العين .

(١٩٠) أى أن الخياشيم تُغْمَرُ بهذا الماء المتغير .

(١٩١) الدم الذى يخرج من الأنف .[مفيد العلوم لابن الحشا ص٥٢٠] .

(١٩٢) فى النسخة (ع) ، (ك) : دود .

(١٩٣) تحرك الأسنان عن مواضعها .

(١٩٤) نبات شديد المرارة .[مفيد العلوم لابن الحشا ص٨٩٠ ، الألباب للأنطاكى ص٢١٨] .

الطرفاء، ودقيق ثمرة الورد اليابسة ؛ إذا عجنت بـالخل واستعملت ضمـادا أو تمضمضا نفع ذلك ، صحيح مجرب .

دواء وجع الضرس : إذا دق الحلتيت[(١٩٥)] مع الفلفل ، وعجن بالعسـل، ويدخل منه قدرا صالحا إلى الجانب الذى فيه الضرس الوجيع ووضـع عليـه وحواليه، ثم يطبق عليه الفم ويرقد ويمتص ما سال منه حتى يرقـد علـى ذلـك الضرس الوجيع ، فإنه يبرأ ولا ينتبه إلا معافى إن شاء اللـه تعـالى ، صحيـح مجرب .

دواء لحُسْن الصوت : الزنجبيل المربـى ومـاء قصـب السـكر الفـانيد ، واجتناب أكل الحوامض ؛ كل ذلك يحسن الصوت ويذهب الشحب[(١٩٦)] والبحة منه ، ويقطع البلغم ويصح قصبة[(١٩٧)] الرئة ، صحيح مجرب .

داء السعال الرطب : أصله زيادة خلط بلغمى ، وعلامتـه نبـذ الرطوبـة عند السعال . دواءه : يؤخذ العسل ويجعل على نار لينة ، ويطـرح علـى كـل رطل منه وقية لبان شجرى ذكر ، ووقية مصطكى ويشرب على الريق وعنـد النـوم ، ويجتنـب صاحبه الحموضـات ، وكـل شـىء بـارد رطـب وجميـع الرطوبات ؛ فإنه يبرأ سريعا ، وإذا أخذ حِلبـة مقلـوة ، وحبـة السـوداء مقلـوة ومصطكى ولبان شجرى أجزاء سواء ، ودُق الجميع وعجن بالعسل واستعمل على الريق قطع السعال الرطب .

داء السعال اليابس : وهو الـذى لا نبـذ معـه عنـد السـعال ؛ بـل يكـون الصوت يابسا أصله زيادة خلط سوداوى دواءه : يُؤخذ قدرا من دقيق الحنطة،

---

(١٩٥) وهو شجر منه أبيض وأسود ، يعرف بالمغرب بـالمحروت . [القـانون لابـن سـينا ص٣١٦ ، مفيد العلوم لابن الحشا ص٣٥١] .

(١٩٦) تغير اللون .

(١٩٧) فى النسخة (ع) : رقبة .

ومثله من دقيق الحلبة ومثل أحدهما سكر أبيض ، ثم يجعل الجميع حساً باللبن البقرى وإلا فى السمن ولا يأكل شيئا غير هذا ، فإنه يبرأ سريعا إن شاء الله، صحيح مجرب .

داء السعال العارض : من شرب ماء بارد ، أو هواء بارد ، أو عرض عقيب جماع أو تعب ، أو حمل شىء ثقيل ، ونحو ذلك . وعلامته ؛ يكون الصدر عند السعال كالمفتوح المفكوك ، وقد ينفك عند حمل شىء ثقيل ونحوه من الحركة العظيمة . دواءه : يؤخذ اللبان الشجرى والمر ، والسكر من كل واحد وقية ويُغمر بسليط ، ويجعل على نار لينة حتى يغلى وتذوب الأدوية فيه، ويشربه فاترا على الريق . ويكون غذاؤه : عصيدة الحنطة والسليط ، تفتح كل لقمة وتجعل فيها المر والسكر وتختمها وتأكلها ، وإذا سف المُرَّ مع السكر عند هيجان السعال من أى نوع كان قطعه لوقته ، صحيح مجرب .

وأمّا نَفْث الدم : إذا حدث الدم عقيب السعال دواءه : أن فينقع السكر فى ماء مالسان ويشربه ، فإنه جيد وينقع السكر فى الخلِّ فإنه نافع جدا ، ويأكل لباب خبز البُر وخميرة الذرة مع الجلاب[198] ، فإنه نافع جيد مُجرب .

وأمّا المعدة : فقد ذكرنا أوجاعها بالأصول على الجملة ونذكرها هنا : سفوفاً يقوى المعدة الضعيفة ، ويحل الريح والمغص ، ويفتح السدد ، وينقى الكلى والمثانة مما يعرض لهما من الفساد : وهو أن يؤخذ كمون وفلفل وزنجبيل ونخوة ، وملح الطعام والمصطكى أجزاء سواء ، ثم يؤخذ مثل الجميع سكر أبيض ، ويدق الجميع ويستعمل سفوفاً على الريق ، وعند الأكل، وعند النوم ، فإنه نافع مجرب.

داء القولنج[199] : وهو ريح تسد الأمعاء وتكب النفس فيحدث مغص وانتفاخ فى الأمعاء ؛ فيضيق الإنسان حتى تكاد نفسه أن تخرج ، وهو على نوعين : حارٌّ يابس ، وبارد يابس .

---

(١٩٨) هو السكر إذا خُلِط وعُقِد بماء الورد

(١٩٩) انسداد المعى وامتناع خروج الثفل والريح منه .

أما الحار اليابس : فعلامته هيجانه عند كثرة الحرارة ، وعقيب النوم ، وعند انتعاش الحرارة الغريزية ، وعند الغضب وفى الوقت الحار ، ويكون معه العطش . فالعلاج : أن يستقطر الصبر الأخضر ويشربه طريا على الريق ، فلا شىء أنفع منه ، ويكون غذاؤه لبن البقر الحليب على الزبد الطرى والسكر حتى يبرأ سريعا ، وإذا عدم الصبر الأخضر استعمل الصبر السقطرى اليابس ، وذلك أن يذوبه فى سمن بقر على النار ، ثم يشربه ويجتنب صاحبه أكل ما كان حار الطبع ، فإن ذلك صحيح مجرب .

وعلامة القولنج البارد اليابس : هيجانه فى الغيم وقت الأمطار والوقت البارد ، ويكون معه قلة العطش . والعلاج : أن يؤخذ الزنجبيل اليابس والفلفل أجزاء سواء مدقوقا ، ثم يعجن بالعسل ويستعمل على الريق وعند النوم ، وعند هيجان الدم ، ويجتنب صاحبه أكل البوارد كلها ، وإذا ضُرِبَتْ الحلبة بالسمن والحُرْف(٢٠٠) وشربه صاحب القولنج البارد نفعه ، وإذا لم يُعْلم أن القولنج – بارد أو حارًا – فيدق الصبر السقطرى والمصطكى والسكر الأبيض أجزاء سواء ، ويسفّه العليل على الريق وعند النوم وعند هيجان العلة ؛ فإنه نافع جيد مُجرب .

دواء وجع الظهر والمفاصل :يعجن الحلتيت بالعسل ويأكل منه درهمين على الريق ودرهمين عند النوم ، ويمرخ(٢٠١) الظهر والمفاصل الوجيعة بسليط أو زيت قد أغلى فيه ملح ومصطكى ولا ذن ؛ فإنه نافع جيد مجرب .

داء الديدان فى البطن : أصلها عفونة تتولد من رطوبات الأغذية

---

(٢٠٠) فى النسخة (أ) ، (ك) : الحلف . نبات أطرافه محددة كسعف النخل .

(٢٠١) أى يدهن الظهر والمفاصل .

النيئة[٢٠٢] والحبوب ، فيكون منها الديدان الكبار والصغار ، والكبار أضر من الصغار ، فإذا حدثت فداواءها أن يؤخذ خمسة دراهم مرّ ، وخمسة دراهم صبر سقطرى، ودرهمين حب الرشاد[٢٠٣] وهو الحُرْف ، ويدق الجميع ويعجن بالعسل ويلعق على الريق ، فإنه يخرجها ويقتلها ، فإذا دق من المر خمسة دراهم ومن الحُرْف خمسة دراهم وعجن بالعسل ولعق على الريق أخرجها آخر النهار ، وهذا مما يخرج الأجنة من بطون الحبالى ويقتلها .

صفة أخرى لإخراج الديدان : يؤخذ خمسة دراهم مرّ ، وخمسة دراهم شيح ويدق الجميع ويعجن بالعسل ، ويعجن فى لبن حامض ويشرب على الريق ، فإنه يخرجها ويقتلها ، صحيح مجرب .

صفة أخرى : يؤخذ عشرة دراهم من قشور الإترنج[٢٠٤] الأصفر اليابس المدقوق ويشرب فى لبن حليب على الريق ، فإنه يخرجها ويقتلها ، صحيح مجرب.

داء عُسْرُ البول : سببه يبوسة فى المثانة ، فإن كانت مع حرارة فعلامتها البول الأحمر النارى والحرقة . دواءها : أن فيستعمل هذا السفوف على الريق ؛ وهو لبُّ حب البطيخ أو القثاء أو الخيار ، أو لب الجميع مع السكر الأبيض ، ويكون الغذاء لبن البقر المحلوب على الزبد النزيع[٢٠٥] الطرى والسكر وشربه من تحت الضرع ، ويكون هذا غذاءه صباحا ومساءاً، فإنه يبرأ سريعا ، وهذا صحيح مجرب .

---

(٢٠٢) فى النسخة (ع) : اللينة ، وفى النسخة (ك) : السمينة .

(٢٠٣) وهو الخردل .

(٢٠٤) شجر من جنس الليمون .

(٢٠٥) أى الزبد الذى نُزِعَ حديثاً من اللبن .

وإن كانت اليبوسة مع برودة : فعلامتها ؛ البول السوداوى ، وهو الغليظ الذى إلى سواد . حمرته دواءها : أن فيستعمل هذا السفوف على الريق؛ وهو نحوه وسكر أبيض ، ويكون غذاؤه لبن البقر المحلوب على عسل منزوع الرغوة وسمن منقص[٢٠٦] ، ويشرب اللبن من تحت الضرع صباحاً ومساءاً ولا يأكل شيئا غيره ، فإنه نافع جيد مجرب .

داء سلسل البول : وهو الذى يخرج بغير اختيار ، سببه رطوبة فى المثانة ، فإن كان عقيبه حرقة ، أو اختلاط دم قليل ، فهو حار مع رطوبة . ودواءه أن : يشرب الخل مع السكر والشراب السفرجلى الذى ذكرناه فى الحمى الرطبة ، وكذلك إذا نقع الحمص فى الخلّ ثلاثة أيام ويشرب ، فإنه نافع جيد مجرب ، وكذلك إذا سف من الكزبرة مع السكر درهمين على الريق ودرهمين عند النوم ، فإنه نافع جيد مجرب .

ويكون الغذاء بالحوامض والقوابض كالمزوزات بحب الرمان ونحو ذلك ، فإنه نافع جيد مجرب . وإن كان السلس لا حرقة عقيبه ولا دم وكان أبيضا صافيا فهو بارد مع رطوبة ، فدواءه : معجون الزنجبيل والفلفل[٢٠٧] والعسل ، ويأكل الخبز اليابس مع الملح ، فإنه نافع جيد .

وأمّا لقوة الباءة[٢٠٨] : وأكثر ما يضعف الباءة من البرد واليبس أو من البرودة والرطوبة ، فدواءه : أن يؤخذ وقية لبان شجرى ، فى رطل يطرح من العسل على نار لينة حتى يغلى العسل ويذوب اللبان ، ثم يشرب على الريق ومثله عند النوم فاترا ، فإنه جيد بليغ صحيح مجرب . وكذلك

---

(٢٠٦) فى النسخة (ع) : منقض .

(٢٠٧) فى النسخة (ع) : الفجل .

(٢٠٨) الباءة ، بالمد : يطلق على الجماع ، والحديث قوله صلى الله عليه وسلم : ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج)) .

شرب مرق لحم الكبش السمين مع السمن والعسل ومثله ، وإذا طبخ الثوم بلبن البقر وأكل بالعسل ؛ زاد فى الباءة زيادة عظيمة وقوى شهوة الجماع ، وكذا إذا قشر الثوم ، وجعلت أسنانه بين الزبيب الشَحِّم الكبار ، الذى لا نوى فيه وأكل ؛ فإنه يقوى الباءة قوة عظيمة ، صحيح مجرب . ويكون غذاءه خبز البُرّ النقى مع السمن ، ولحم الكبش أو مع السمن والعسل ، ويأكل الحلوى ويجتنب كل بارد الطبع فإنه ردىء . وقد يُضعف الباءة من كثرة الحرارة فى المزاج ، والشباب مع الأغذية الحارة دواؤه : ينبغى أن يعدل ذلك بشرب اللبن الحامض المنزوع الزبد وأكل الأغذية الباردة طبعا ، حتى يعتدل على قدر صالح يعدل الطبيعة فيكون ذلك شفاءه ، والله أعلم .

داء إطلاق البطن : إن كان أبيض بغير دم ولا وهيج فى الجوف ولا حرارة ولا كثرة عطش ، فهو من برودة ورطوبة ، دواءه : أن يقلى حب الرشاد وهو الحُرُف ويدق ويسَّف على الريق ، وعند الطعام ، وعند النوم ؛ فإنه نافع جيد مجرب . ويجتنب البوارد والدسومات ، وإن كان معه وهيج وقوة عطش وحرارة فى الجوف وهو مختلط بدم أو دم خالص ، فهو من حرارة مع رطوبة ، دواءه : أن يُسفّ سويق الشعير أو سويق العدس ؛ فإنه نافع . وكذلك إذا شوى السفرجل وأكل بالخل ؛ قطع إطلاق البطن الحار . ويكون الغذاء لجميع أنواع الإطلاق حساء الذرة الحامض يعمل رائب حامض منزوع الزبد ، فإنه نافع مجرب . وإذا دق العفص وشرب برائب حامض لزم إطلاق البطن ، والله أعلم .

داء الزحير : وهو الخام الذى يخرج كأنه المخاط والنخام وكأنه يشبه قطع لحم صغار وينزل الإنسان كل ساعة ولا يخرج شيئا إلا قليلا من ذلك الخام[٢٠٩] مع الزحير العظيم ، وسبب ذلك : برودة ويبوسة ، دواءه : يؤخذ

---

(٢٠٩) فى النسخة (ع) : التحام .

فطير الذرة الناضج مع اللبن الحليب البقرى لوقته والسكر فيأكله العليل حارا غداء وعشيا ، فإنه يقطعه فى الحال ، صحيح مجرب .

داء خروج المقعدة : سبب ذلك حرارة ورطوبة ترخى عروق المقعدة فتنزل ، ودواءها : أن يُؤخذ دقيق العفص ودقيق ثمرة الطرفاء[(٢١٠)] ، ودقيق قشر الرمان ، يجمع الجميع وتُفْحَس[(٢١١)] به المقعدة ويدخلها ، ويأخذ قدرا صالحا من الأدوية المدقوقة يعجنه بخل ويضمد به على فم المقعدة بعد إدخالها ويحزم ذلك بخرقة ويربطها بالحقوين ، ثم يجلس على ذلك الدواء ، ويستعمل ذلك مرارا كلما خرجت ؛ فإنها لا تخرج بعد ذلك ، إن شاء الله تعالى . والغذاء : كل حامض قابض كالمزوزات بالخل وحب الرمان ، فإنه نافع صحيح مجرب .

داء البواسير : وهى قروح تخرج على أدوار فم المقعدة ، فمنها سيال، ومنها جامد وأصل الجميع من فضلات الدم السوداوى المتعكر الّذى ينزل إلى فم الطحال ، كما ذكرنا فى أول الكتاب فى الباب الثانى عند تشريح أجزاء آدم عليه الصلاة والسلام .

فأما السيالة : فيستعمل لها ما ذكرناه فى خروج المقعدة من الأدوية والفحس والضمد والغذاء ، فإنه نافع جيد .

وأما اليابسة الجامدة : فإنها نبات كالثآليل[(٢١٢)] ، وقد تقطع ، وقطعها خطر عَسِرٌ مضر ، ولكن يعمل لها أدوية حارة تقطعها سريعا بغير ضرر ،

---

(٢١٠) العَفْص : أحد أنواع شجر البلوط ، ينتشر فى لبنان .

(٢١١) الفحس : الدلك .

(٢١٢) فى النسخة (ع) ، (ك) : الأثاليل . والثآليل : مفردها الثُؤلُول : وهو خراج ناتىء صلب مستدير .

وهى : نورة[٢١٣] غير مطفأة وزرنيخ[٢١٤] ونشادر أجزاء سواء يدق الجميع ، ثم يضع فى رؤوس الثآليل ويذر عليها الدواء ، فإذا كثر الوجع ولذع الأدوية؛ فليأخذ السمن المغلى على النار ويقطر عليها حارًا ، فإنه يكويها ويسكن الوجع لوقته ، ثم يعاود العمل بالبضع[٢١٥] والذر والكىّ بالسمن ، ثم بعد ساعة يفعل ذلك حتى ينقطع الجميع فى بعض النهار إن شاء الله تعالى . ويستعمل أكل الثوم المعجون بالعسل على الريق وعند النوم ، ويجتنب جميع ما يزيد فى الدم من الأغذية الحارة الرطبة والدسمة ، ويأكل المزوزات بالخل وحب الرمان ، فإن ذلك نافع إن شاء الله تعالى .

داء النواصير والثّآليل : أما النواصير فهى ثآليل تنبت على فم المقعدة كالبواسير إلا أنها أطول منها وأدق على شبيه الإبر الصغار ، والثآليل معروفة وأصل الجميع من زيادة خلطين عظيمين مختلفين : بلغمى وسوداوى، ودواء ذلك كله : ما قدمناه فى البواسير الجامدة من البضع وذر الأدوية والكى بالسمن ، ولا يكون البضع إلا بعد ربط أصل الثألول بمتن أو خيط حرير ونحوه ، وإذا كان فى البدن ثآليل كثيرة ، فإن فيها واحدا كبيرا وهو الأصل فإذا قطع ذهب كلها. والغذاء : كل حار يابس لطيف محلل[٢١٦] . فإنه نافع مجرب وصحيح .

داء الاعتقال : ويكون فى الركبتين والمرفقين : ونحو ذلك من المفاصل حتى يعوج ولا يلين ، سبب ذلك برد ويبس . دواءه : لب طيب الخيار والحنطة والحلبة والحُرْف أجزاء سواء ويدق الجميع دقاً ناعما ، ثم يؤخذ السليط والزيت يغلى على النار ويطرح فيه الملح حتى يذوب فيه ثم

---

(٢١٣) حجر الكلس ؛ وهو أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون تستعمل لإزالة الشعر .

(٢١٤) مركبات سامة جداً تستعمل فى بعض المستحضرات الطبية .

(٢١٥) فى النسخة (ع) : النضج .

(٢١٦) فى النسخة (أ) : محلد .

يمزج به الموضع مزجا ناعما لينا ، ثم مزجا جيدا ويمد من ذلك الاعوجاج ما استطاع عند المرخ ثم يعجن الأدوية المقدمة من هذا السليط ويغمد على الموضع حواليه كالحناء ، وتلف بخرقة ويترك يوما وليلة ، فإن كان الوجع حادثا من قريب فإنه يبرئ سريعا إن شاء الله تعالى ، وإلا فليعاود العمل مرارا من المرخ والضمد ، فإنه نافع بليغ جيد مجرب .

داء الداحس : هو ورم يحدث فى أطراف الأصابع عند الأظافر ، سببه من الحرارة ، يعمل عليه فى الابتداء حبة من الليمون يفقأ رأسها ويدس فيها رأس الإصبع برفق ، بترك يوما وليلة ، ثم يؤخذ العفص بعد ذلك ، يدق ناعما ويعجن بخل ويضمد به لا يزال كذلك ، حتى يبرأ سريعا إن شاء الله تعالى ، وإذا جعلت الإصبع فى ماء بارد شديد البرد سكن الوجع عند تهيج ، صحيح ذلك مجرب .

داء الدماميل : أصلها زيادة خلط دموى يجتمع منه قدر فاسد فى موضع من البدن أو مواضع كثيرة ، فإن تدارك الدماميل صاحبه وإلا صار خراجا كبيرا ، وإذا بدأ الورم موضع الدماميل ، فيؤخذ بيت العنكبوت الأبيض الضعيفة التى تكون على الجدارات والأخشاب ، يجمع من ذلك قدرا صالحا ويعجنها بخل حار به موضع الدمل ويضمد وكلما يبس الضماد بدله ، فإن الدم الفاسد يذهب ويموت الدُمّل ، صحيح مجرب .

فإن لم يوجد بيت العنكبوت فيدق ورق السدر ويعجن بخلٍ ويضمد به ، فإنه يفعل كذلك . وكذلك عود الصندل الأحمر يدق ويعجن بخلٍ ويضمد به . وكذلك الطين البرى ، كل ذلك مما يميتها قبل أن تخرج ، فإن لم تمت فيؤخذ دقيق الحلبة ودقيق الحنطة يعجن بالريق ويوضع على الدّمّل فإنه ينحصر ويستخرج ما فيه من المدة ، ثم يذر عليه العفص ودم الأخوين[٢١٧] ، فإنه يبرئ سريعا إن شاء الله تعالى .

---

(٢١٧) هو عصارة حمراء ، وهو من صمغ نخلة الهند .

داء القروح والجروح : إذا فسدت فيدق قشر الرمان اليابس ناعما ويضاف إليه مثل ربعه من الزنجار الأخضر(٢١٨) ، ويحشى به القرح أو الجرح الفاسد ، فإنه يأكل اللحم الفاسد ، وإذا لم يكن فيه لحم فاسد ولكن مدة مجتمعة فاسدة ، فيكفي فيها قطنة تبل بماء الليمون وتترك على فمه فإنه يغوص ويلقط المدة الفاسدة، فإذا حُسَّ الوجع فيستعمل المرهم عند النقاوة من اللحم الفاسد أو المدة الفاسدة ، وأحسن المراهم المجربة المنبتة للحم وأجودها: أن يؤخذ صبر ، وهُرْد(٢١٩) ، واسفيداج الرصاص(٢٢٠) أجزاء سواء ، ويجعل الجميع فى سمن بقرى على نار لينة ويستعمله ، فإنه ينبت اللحم الصالح سريعا ، فإذا ختم الجرح واستوى لحمه على فمه فليذر عليه العفص ودم الأخوين بعد أن يدقهما ناعما وينخلهما ، فإنه نافع مجرب .

داء الحزاز(٢٢١) : وهو القوب ؛ سببه من زيادة الخلط السوداوى إذا بدأ قليلا فيؤخذ عقرة(٢٢٢) من الملح تحك بها القوباء حتى تدمى ، ثم يؤخذ رماد بعر الغنم، يعجن بقطران ويضمد به فإنه نافع ، وإن لم ينفع وقد كان كثر الحزاز واستدار فى البدن ، فليستفرغ الخلط السوداوى أولا ، ثم يعالج بالحك والضمد كما وصفنا ، ويجتنب جميع ما يقوى السوداء من الأغذية مما ذكرناه عند زيادتها .

داء الجرب : أصله زيادة السوداء أيضا ، دواءه : يُبدأ باستفراغ الخلط السوداوى ، ثم يؤخذ قفلتين من الكبريت الجيد المدقوق يشربه العليل ، وما استطاع من سمن البقر . ويكون غذاه شرب لبن البقر من تحت الضرع مع

---

(٢١٨) صدأ النحاس .

(٢١٩) نبات الزعفران .

(٢٢٠) هو رماد الرصاص إذا شدد عليه التحريق .

(٢٢١) من الأمراض الجلدية . يظهر فى الجسد فيتقشر ويتسع .

(٢٢٢) فى النسخة (ك) : عقدة .

السمن المنقض والعسل منزوع الرغوة بكرة وعشيا ، ويجتنب ما سوى ذلك ، فإنه يبرئ سريعا ، صحيح مجرب .

داء الجذام : نعوذ بالله منه ، هو استحكام داء السوداء على البدن وعلامة بدايته بحة الصوت ، وغنة فيه وتآكل أطراف الأنف ، وبدء الأصابع من اللحم الحزاز الخبيث . وعلاجه ممكن إلى ستة أشهر ، وأما بعد ذلك فعسر لا يكاد يبرأ ، فيبدأ أولا بفصد الودجين(٢٢٣) والأكحل ، ثم يؤخذ شحم الصبر ، وشحم الحنظل، وشحم الصياب(٢٢٤) والثوم المقشر أجزاء سواء من كل واحد رطل يسحق الجميع ويعجن بالعسل ويؤكل منه كل يوم مثل حبة الجوز على الريق ، ويتعاهد الإسهال على رأس كل أسبوع ، ويكون الغذاء سمن منقض ، وعسل منزوع الرغوة منقض، يحلب عليهما علوه لبن بقر ويشرب من تحت الضرع ، فهذا أبلغ شيء لكل علة سوداوية ؛ أعنى هذا الشراب ، فإنه يغوص فى أعماق العروق. حتى يحلل العلة هذه ويقطعها . قال الله تعالى ﴿**فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل : ٦٩] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم فى السمن ولبن البقر : ((عليكم بألبان البقر ، فإن لبنها شفاء ، وسمنها دواء ، ولحمها داء ، ولن تتداوى العرب بشيء كالسمن))(٢٢٥) . ولا يأكل العليل غير هذا حتى تبرأ العلة . فإنه يكفيه عن كل طعام لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين أتى بقدح من لبن فشربه وقال : ((اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه لا شيء يغنى عن الطعام غيره))(٢٢٦) . صحيح والله أعلم .

---

(٢٢٣) عرقان فى العنق ينتفخان عند الغضب .

(٢٢٤) قصب السكر .

(٢٢٥) ذكره صاحب كنز العمال (٢٨٢١١) ، عزاه لابن السنى عن صهيب .

(٢٢٦) رواه ابن ماجه فى الأطعمة (٣٥: ٢) عن هشام بن عمار بإسناد الذى قبله .

داء البرص : هو بياض ردىء ، يبدأ أولا فى أبرد موضع من البدن أو فى مواضع كثيرة كالشحم حتى يعم جميع البدن ، وهو علة مزمنة ردية عسرة ، وسببه : استحكام خلط البلغم البارد الرطب على البدن ، فإذا بدأ فأول ما ينبغى أن يستفرغ الخلط البلغمى ، ثم يستعمل هذا الطلى وهو أن يشوى البصل الكبار ويستعصر ماؤه ويعجن به دقيق بذر الفجل ، ويضمد به على الموضع ، حتى يغطيه ويتركه يوما وليلة ، ثم يغسله بماء مسخن فاتر ، ويعاود الطلى كل يوم حتى يبرأ ، ويأكل كل يوم قدر وقيتين أو ثلاث من معجون الثوم بالعسل . ويكون غذاه خبز البر النقى ، ولحم الكبش ومرقة ، وإلا خبز البر النقى والعسل والسمن ، ولا يأكل شيئا غير ذلك ، فإنه نافع مجرب .

اليَرَقان(٢٢٧) : هو استحكام خلط صفراوى على البدن ؛ أصله من الرغوة الصفراوية التى تمتصها المرارة وتصبها إلى المعدة -كما ذكرنا عند تشريح الإنسان فى أول الكتاب- ، فإذا كثر ذلك الخلط ينزل مع الغذاء ، فسار مع دم الغذاء فى جميع العروق فتغشى البدن صفرة يصفر منها الوجه والعينان والبول وكل شىء فى الإنسان ، ويقع فى الجسم فترة وهزال فى القوة ، فإذا بدت هذه العلامات ؛ فينبغى أن يبدأ بمسهل الصفراء ، ثم يشرب ماء الفجل مع السكر أو تمر هندى مع السكر من الليل يَشربُهُ على الريق ، وكذلك صفو الرايب الحامض . ويكون غذاؤه : حساء من خمير الذرة ، وقد عملت برايب حامض منزوع الزبد ويأكله باردا ويجتنب كل حار يابس ، فإنه يبرئ سريعا، وإذا لذع(٢٢٨) بالنار رؤوس أباهيم(٢٢٩) رجليه الأربع ، ومقدم رأسه ، وعلى رأس قلبه لينقض المرار من جميع عروقه إلى بيته ، والله أعلم .

(٢٢٧) هو مرض معروف يسبب إصفرار الجلد .

(٢٢٨) أى لفحها وأحرقها بالنار

(٢٢٩) أكبر أصابع اليد أو الرجل ، والمفرد : إبهام .

الاستسقاء ؛ هو نوعان : نوع يسمى : اللحمى ، ونوع يسمى : الطبلى.

أما اللحمى : فهو ورم شديد فى جميع البدن . وعلامته ؛ أنك إذا طبعت بأصبعك فى موضع الورم لم ينخفض ؛ بل يرتفع الجلد سريعا ، وسبب هذا خلط دموى فاسد من الدم الفاسد ، يكثر فيسير مع دم الغذاء فى جميع العروق حتى تورم البطن وجميع البدن .

العلاج : يستعمل كل يوم شراب الخل الحاد بعد أن يغلى فيه المعتر[٢٣٠] ويصفى ويشربه ، ثم يطلى البدن بدقيق الكزبرة اليابسة المعجون بالخل ، ويكون غذاؤه خمير الحنطة أو الذرة ، وإدامه عليه الخل ، وإذا خف الورم قليلا حجم البدن وافتصد ، ويستمر على الدواء حتى يبرأ إن شاء الله تعالى ، فهذا جيد نافع إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

وأما النوع الطبلى : فهو أيضا ورم فى جميع البدن مع رخاوة فيه . وعلامته ؛ أنك إذا طبعت بأُصبعك موضع الورم منه ؛ انخفض موضع الأُصبع حتى يكون مثل الحفرة ، ثم لا يرتفع الجلد إلا بعد ساعة ، وسبب هذا خلط بلغمى يسرى مع دم الغذاء فى جميع البدن ؛ فتحدث هذه العلة ، فإذا ظهر ذلك ، يبدأ باستفراغ خلط البلغم ، ثم يستعمل شرب لبن الغنم بعد أن يغلى فيه الحرف ، ويكون هذا غذاؤه صباحاً ومساءاً ، فإذا احتاج إلى غير هذا فليستعمل الأغذية الحارة اليابسة الخفيفة المحللة ، كخبز البر ولحم الكبش المعمول بالحوائج اللاذعة كالفلفل والزنجبيل ونحوه ، وأكل الثوم المعجون بالعسل نافع فى هذه العلة جدا على الريق ويطلى البدن بدقيق الحلبة ودقيق الحرف معجونين بالعسل ، فإن جميع ذلك نافع ، والله أعلم .

---

(٢٣٠) نبات من فصيلة الشقويات . طيب الرائحة يستعمل بعض أنواعه فى الطب .

ورم البيضتين : هو نوع من الاستسقاء إلا أن البيضتين إحداهما لحمية دموية وهى اليمنى ، وفائدتها بخاصية الحرارة والرطوبة ، التى هى مادة الشعر لأن الشعر بارد يابس ، والدليل على ذلك : أن الذى تقطع خصيته اليمنى أو خصيته معا قبل أن تنبت لحيته ؛ أنه لا ينبت بعد ذلك أبدا ؛ لأن اللحية فى موضع بارد يابس بعيدا عن الرطوبات ، وكذلك الذى يستعمل أكل الأفيون من قبل أن تنبت لحيته ويستديم عليه حتى يستولى البرد واليبس الذى فى الأفيون على طبيعته فإن لحيته أيضا لا تنبت . واليسرى شحمية باردة رطبة بلغمية فائدتها قصر المنى[٢٣١] حين ينزل إليها دما ، فيتحلل فيه من شحمها ماء أبيض ، فينعقد الجميع منيا أبيضا.

فإذا ظهر الورم فى اليمنى ؛ فيطلى بدقيق الكزبرة اليابسة المعجون بالخل ، ويأكل العليل خمير الذرة مع الخل ، فإنه يبرئ سريعا إن شاء الله تعالى .

فإذا ظهر الورم فى اليسرى ؛ فيطلى بدقيق الحلبة ودقيق الحرف معجونين بالعسل . فإذا ظهر الورم فى البيضتين معا ، فيطلى بالمرهم الذى ذكرناه للقروح والجروح ؛ فإنه نافع جيد مجرب . وقد تسترسل[٢٣٢] إحدى البيضتين من قطع عرق فى العانة عند حمل شىء ثقيل أو نحوه ، وهذا يسمى: الفتق ، فيقطع عرق من العانة فى الجنب الذى فيه البيضة المسترسلة وهذا خطر ، وأمره إلى الحكماء . وحكى لى بعض من أثق به من الحكماء : أن شرب ماء الصبر المستقطر طريا مع العسل على الريق كل صباح نافع فى هذه العلة بغير قطع . وهذا مما يوافق العلم والعمل ولكنى لم أجربه[٢٣٣] ،

---

(٢٣١) أى بيضه .

(٢٣٢) أى تتدلى مبتعدة عن الأخرى .

(٢٣٣) يتضح لنا من كلام المصنف قيمة من قيم المعلم، وهى الأمانة العلمية وحرصه=

فالحذر من المتعاطين الفضوليين ، فإنهم ربما أحدثوا مع الألم ألما آخر أعظم منه ؛ لجهلهم عند مداواة هذا الجرح ، والإقدام على مالم يجرب خطر عظيم والتكسيرات بتركيب الأدوية والفصد ونحو ذلك ، فالحذر .

داء العرق المدينى : هو عرق خبيث فاسد يتحرك حركة دودية ، وعلامته أنه ربما حدث قبل خروجه حكيك وشرى فى البدن ، وربما حدثت نفاخة كبيرة فى موضع مخرجه وسببه تغير الطبيعة باختلاف معايش أو مياه، فيكون ذلك سببا له . فإذا شرب ماء الصبر المستقطر طريا مع العسل ثلاثة أيام ، أو الصبر اليابس السقطرى المعجون بالعسل لم يخرج ومات موضعه . وأما إذا خرج طرفه فلابد من خروجه كله ، وذلك أن يربط فى طرفه مسمار رصاص دقيق أو عود رقيق ، ثم يشرب الحلبة المضروبة بالسمن ، فإنه يخرج سريعا إن شاء الله تعالى ، وكل ذلك صحيح مجرب .

داء لسع الحيات والعقارب : تمتص الأنياب أولا إن كانت سقطت فى اللسعة ، ثم يحجر[(٢٣٤)] عليها بنار للفور ، ويضمد عليها الثوم مهشوم مع الملح ، فإنه يمنع السم أن يسرى فى الجسد ، ويشرب الملسوع السمن والعسل، ويأكل الثوم كثيرا ؛ فإنه جيد مجرب . ومن أكل الثوم والعسل يوماً قبل أن يُلْسَع لا يضره السم ذلك اليوم ، ومن أكل من ورق اللاعية[(٢٣٥)] سبع ورقات كل يوم إلى سبعة أيام لم يضره سم الأفاعى بعد ذلك ، والله أعلم .

=على المصلحة والنفع ، فالشيخ رحمة الله عليه بعد أن يذكر الداء ثم يتبعه بالدواء ، يقول فى ختام كلامه عبارة (صحيح مجرب والله أعلم) وعندما ذكر له دواء لداء لم يجربه هو ، لم ينقل العلاج إلا عن ثقة من الحكماء ، وهذا ما يميز هذه الحضارة الإسلامية التى قامت وانطلقت من ثوابت إلهية وأخلاق محمدية .

(٢٣٤) أى يمنعها .

(٢٣٥) شجيرة لها ورد أصفر طيب الرائحة ، ويستخدم كعلاج لمن تناول السم أو لدغه ثعبان أو عقرب .

داء عَقْرُ الكلبُ الكلبَ : هو كلب أو ذئب ، وقيل : ثعلب وابن عرس غلب عليه خلط السوداء ، فإذا دخل زمان البرد والخلط غالب عليه ، أو وقع فى وقت غيم أو مطر بارد هاجت عليه هذه العلة ؛ لغلبة الطبيعة السوداوية فيمتد خرطومه ، ويدلع لسانه ، ويتشرب ظهره ، وينزل ذيله ، ويتغير لونه ؛ فحينئذ يزج بنفسه مهرولا وهو لا يدرى أين يتوجه ، فإذا قابله شخص حمل عليه ، فينهشه بمخالبه ويعقره بأنيابه ، فإذا أصاب إنسانا أو حيوانا ينقض ذلك عنه ، وسرى فى بدن ذلك الإنسان أو الحيوان سم بارد يابس سوداوى . والدليل على أنه سوداوى : أنه لا يظهر فعله فى الغالب إلا بعد أربعين يوما، وقيل : قد يظهر لأربع سنين فى الأكثر ؛ لأن علة السوداء سمية مزمنة فى جميع الحيوانات ، وقد يحدث قبل الأربعين بدخول زمان بارد كالخريف والشتاء ونحوهما ، كوقت الغيم والمطر فتظهر عليه علامات وتَغَيُّرُ أخلاط فى حالاته أعظمها وأبينها ؛ أنه يفرغ من الماء ، وربما أنه عَدَا على بعض الناس فعقره فليحذر منه ، وربما أنه عَوَى كعُوى الكلب .

فإذا ظهر ذلك ، فإنه مكلوب ، قد أثر فيه هذا الداء وأنجع(٢٣٦) ، فلا يكاد يبرأ ويموت سريعا ، فمن أصابه ذلك فليتدارك نفسه بالعلاج قبل أن يسرى فيه السم .

فإذا أراد أن يعلم هل هو مكلوب ؛ فليمضغ لقمة طعام ويطعمها الكلاب فإنها تعافها ولا تأكلها . وإن كان نظر وجهه فى المرآة وجه كلب ، فإنه مكلوب ؛ فينبغى العلاج حينئذ ، وهو : أن يضع على موضع العقر الثوم والملح ضماداً بعد هشمهما ، ثم يطبخ الثوم فى السمن والعسل أجزاء سواء ويضربه حتى يختلط ويأكل منه شيئا كثيرا ، ولا يقرب شيئا باردا من الأغذية والأشربة معا ؛ بل يتغذى بخبز الحنطة النقى ولحم الكبش ولا يقطع السمن والعسل والثوم المذكورين ، فإن هذا نافع بليغ يقطع سم الكَلْبُ الكَلْبَ وسائر السموم الباردة .

---

(٢٣٦) أى أثر فيه .

فأما عقر سائر الكلاب والوحوش وسائر الحيوانات : فيكفى فيه أن يحرق خرقة مبلولة سمن فى نار حتى تحترق ، ثم يؤخذ رمادها فيعجن بخل ويضمد به على العقر ، فإنه لا يرم ويسكن الوجع ويبرأ سريعا صحيح مجرب . وهذا الدواء نافع فى حرق النار أيضا ، والله أعلم .

السم المسقى : قال بقراط[٢٣٧] : إذ ا شرب المسموم من السمن كثيرا قطع السم وإذا شرب نصف درهم من النشادر مع خمسة أواق من الماء القراح فاترا قطع السم ، وإذا أضيف إلى ذلك نصف درهم من خر الديك ونصف قفلة نشادر وعمل بماء حار وشرب ، ثم استفرغه بريشة طائر قذف السم لوقته .

والسم منه حار ، ومنه بارد . وعلامة الحار الوهيج والحرارة فى الجوف والعطش ، فحينئذ يشرب من ماء الليمون ، أو من ماء الفجل ، أو من ماء صفو الرايب الحامض شيئا كثيرا ، أو يطرح على البطن خرقة كتان مبلولة فى ماء بارد شديد البرد ، وهذا بعد الذى قدمناه من السمن والنشادر والماء ونحوه .

وإن لم يوجد الوهيج ولا العطش ، وكان البدن ثقيلا باردا ؛ فإن السم الذى وقع به بارد فلا شيء حينئذ أحسن من كثرة أكل الثوم مع العسل بعدما قدمناه أيضا من السموم ونحوه على الإطلاق . ومن طبخ معجونا من الثوم والعسل واستعمله قبل كل طعام خاف منه السم ؛لم يضره ذلك الطعام وإن كان مسموما وهذا المعجون قبل كل طعام يصلح لأهل الأمزجة الباردة فى الشتاء ، فإنه نافع جدا ، والله أعلم .

---

(٢٣٧) طبيب يونانى . أكبر الأطباء الأقدمين ، وأشهرهم يتعهد الأطباء فى قسمهم بالتقيد بنهجه الأخلاقى ؛ المعروف بقسم أبقراط . عاش ما بين [٤٦٠ : ٣٣٧]. قبل الميلاد تقريبا .

فهذا ما أوردنا من أدوية الأمراض العارضة المفردة ، وهو آخر القسم الأول. والزيادة على ذلك موجودة فى كتب الحكماء ؛ لأن علم الطب كثير متسع ، وغرضنا الاختصار الموجز ، والله الموفق للصواب .

وأما القسم الثانى من حد الطب الذى ذكرناه ، وهو حفظ الصحة الموجودة ، فهو الأهم ، كما قدمنا فى أول الفصل ، ووَعَدْنَا أن نأتى به ها هنا، وذلك مراعاة حفظ الصحة فى حال عافية البدن . فقد أجمع الحكماء أن الاحتماء فى حال الصحة خير من شرب الأدوية فى حال المرض .

والأصل فى ذلك : أن البدن لابد له من ملاقاة أشياء ضرورية طول عمره وأهمها ثمانية أشياء وهى : الأكل ، والشرب ، والنوم ، والجماع ، والسكون والحركات ، والأهوية ، والعوارض النفسانية ، والكلام . ولكل واحد منها ضد فإذا غلب أحد الضدين قهر الآخر ووقع الضرر بزيادة ، أحد الطبعين ، فينبغى أن يعدلهما بقدر متوسط بينهما على النحو الذى اختاره الحكماء .

أما الأكل : فضد الجوع ، والأكل هو إمداد الطبيعة بالغذاء حين ينهضم الغذاء الأول ويستحيل كله ويقع الجوع ، فحينئذ ينبغى إمداده بالغذاء لقوام البدن ؛ لأن الجوع إذا أفرط ولم تجد الطبيعة غذاء يمدها ، عطفت على الرطوبة الأصلية فتأكلها حتى تفنى ، فيقع الهلاك والعطب حينئذ . وكذلك الأكل أيضا ، إذا أفرط بالشبع جلب الضرور والأمراض الخطرة وكان سببا للهلاك ، فلابد أيضا من قدر متوسط وأحسنه ما وافق الكتاب والسنة وأجمع عليه الحكماء من الأمة .

أما الكتاب : فقال الله تعالى ﴿وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ [الأعراف: ٣١] أمرنا بالأكل والشرب عند الحاجة إليهما ، ونهى عن الإسراف والإسراف ما أوقع فى المضرات وهو التبذير ، والشبع ؛ لأنه يترتب عليهما من تلف المال والبدن مضرات كثيرة لا يسعها هذا المختصر .

وأما السنة : فقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((البطنة رأس الداء والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل جسم ما اعتاد))[٢٣٨] . وقال أيضا صلى الله عليه وآله وسلم : ((ما ملأ آدمى من وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان ولابد ولا محالة ؛ فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس))[٢٣٩] .

وأما إجماع الحكماء من الأمة : فقد اجتمعوا على أن من أكل بعد الجوع وقام عن العَيْشِ[٢٤٠] قبل الشبع لم يَرَ علة فى بدنه . هذا هو القدر الطبيعى من الأكل .

وأما قدر الهضم : فهو عندما تحس الطبيعة بالجوع ، واعتداله لاثنتى عشر ساعة ، وأقله لثمان ساعات ، وأكثره لأربع وعشرين ساعة . وقد ذكرنا هذا بعلله فى الأصول عند ذكر المعدة فاطلبه هناك .

فأما الكيفية : فينبغى أن يصغر اللقم ويجيد المضغ حتى لا يبقى على المعدة إلا مؤنة يسيرة .

وأما الشىء المأكول : فينبغى أن يأكل الإنسان ما كان حار الطبع فى الشتاء ، ويأكل ما كان بارد الطبع فى الصيف ، ويأكل الأغذية الخفيفة المعتدلة كخبز الحنطة ونحوه وإدامه فى الشتاء ، والعسل صباحاً واللحم والحلبة والسمن مساءاً . وفى الصيف : حليب البقر ، والسكر صباحا والسمن والحلبة مساءاً . فهذا أحسن المأكولات وأعدلها . ويتجنب كل غذاء غليظ الطبع بعيد الهضم كالهريسة ونحوها من الفطير والحبوب النيئة من جميع

---

(٢٣٨) حديث : ((البطنة رأس الداء والحمية ...)) .قال العجلونى نقلاً عن الزبيدى : لم أجد له أصلاً . [كشف الخفا ٢/٢١٤] .

(٢٣٩) أخرجه الترمذى فى الزهد .

(٢٤٠) أى الطعام .

الحبوب ، فقد قال بعض الحكماء : لا تنضج النار إلا ما كان خميرا . وكذلك لحم البقر وخبز العدس والباذنجان والبقول وجميع الحبوب النيئة من جميع الأصناف ، ويجتنب ما تعافه النفس[(٢٤١)] ، ولا يرتكب الخطر فى كل شىء . ولا يأكل ما يؤدى إلى الضرر كالأشياء الصلبة التى لا تنكسر بالأسنان ونحوها ؛ فإن المعدة لا تهضمها إلا بعد عسر ولا يجمع بين شيئين متفقين على البرودة كاللبن والسمك ؛ فتحدث عنهما الحمى المزمنة والمطبقة بالبرودة العسرة كحمى الربع[(٢٤٢)] ونحوها . ولا بين شيئين متفقين على الحرارة طبعا كاللحم والبيض ؛ فيحدث من ذلك الحمى المطبقة بالحرارة ونحوها وموت الفجاءة ، ولا يجمع أيضا بين شيئين مختلفى الطبع فى الجنس والنوع كالزبيب واللبن ، ونحو ذلك ؛ فيكون الداء الذى لا دواء له ، ولا يجمع بين شىء حار الجرم وبين شىء بارد الجرم كالطعام المنزل من النار والماء ونحو ذلك ، ولا يشرب الماء بعده بسرعة ، ولكن إذا قدم أكل البارد كان أهون ، وإذا أكل شيئا سريع الهضم وشيئا بطىء الهضم قدم سريع الهضم ، وكذلك إذا أكل شيئا رطبا وشيئا يابسا قدم الرطب على اليابس ؛ لأنه أسرع هضما ، فأما إذا تقدم بطىء الهضم دام على المعدة وثقل وأبطأ فيبقى سريع الهضم طفا على رأس المعدة فوق الطعام البطىء ؛ فيفسد ذلك الطعام جميعه.

والحذر من أشياء تضر البدن عند الشبع وعقب الأكل وهو : أن لا يحمل شيئا ثقيلا بعده ، ولا يجامع ، ولا يدخل الحمام ، ولا يتحرك حركة عنيفة عظيمة ، وإذا بدره الغائط والبول ، فلا يحتبس ذلك البتة فى أى وقت كان فإنه أضر شىء يكون ويصيب منه علل كثيرة . والله أعلم .

وأما الشرب : فضده العطش ، والشرب إمداد الطبيعة برطوبة الماء عند الحاجة والسر فى ذلك أن الغذاء إذا استحال إلى المعدة هضمت منه الرطوبة أولا فيبقى ما فى الطعام أيضا على فمها فتثور الحرارة مع اليبس ،

---

(٢٤١) أى تمتنع عنه ولا تقبله .

(٢٤٢) تقدم هامش رقم (١٦٧) من هذا الكتاب .

ويستدعى الطبيعة بالشرب ، هذا سبب العطش والشرب معا ، فإن حصل الماء وإلا فنيت تلك الرطوبة الغذائية وعطفت الرطوبة حينئذ على الرطوبة الأصلية التى لا قوام للروح إلا بها فتمصها فيكون الهلاك حينئذ .

وأفضل الماء : ما كان عذبا باردا . وأردأه : ما كان مالحا وكدرا ومتغير الرائحة والطعم واللون . ومقدار الشرب الطبيعى النافع : ما كان دون الرى قليلا وأفضله أن يشرب فى إناء من الطين الخزف ، ويمصه مصا ولا يعبه عبا ، ويتنفس عنده ثلاث مرات يبدأ كل مرة بسم الله ويختمها بالحمدلله، فهذا أهنأ الشراب وأمرأه . والحذر فى الشرب من رأس كوز أو قربة ونحو ذلك ، فإنه لا يدرى ما ينصب إليه من الماء من جوف ذلك الإناء ، ولكن يصبه إلى إناء الشرب المذكور أولا ، فهذا حكم الشرب والله أعلم .

وأما النوم : فضده اليقظة ، وهما شبه الموت والحياة بعده ، فينبغى ذكر الله عز وجل عند النوم وعند اليقظة اعتبارا بذلك . والنوم الطبيعى : هو ركود الحواس عن الحركة ومفارقة النفس لها واستغراق النفس بين لطائف روحانية العقل والروح فى داخل القلب ، فهذا هو النوم الطبيعى . وفائدته : أن الجسم لا يخلو فى اليقظة من جميع الحركات النفسانية والجسمانية ، فإذا وقع النوم كان فيه الاستراحة من تكالب النفس على الهموم والتفكر ونحو ذلك من الحركات النفسانية والجسمانية . وأيضا فيه فائدة الهضم ؛ لأن الحرارة الغريزية تدخل إلى داخل الجوف ، فتهضم الطعام لكثرة الحرارة ، فيقوم النائم وقد استمرئ ، فلو كانت اليقظة طويلا لوقع الضرر ، وكذلك كثرة النوم تميت القلب وتضعف القوى النفسانية والجسمانية وتصفر اللون والوجه وتهيج العينين ، فلابد أيضا من حالة متوسطة تعدلهما معا ، فينبغى لليقظان إذا أحس بالتعب والنصب من عمل دينى ، أو دنيوى ، أو نفسانى ، أو جسمانى فليرح نفسه ساعة بالنوم . ومقدار النوم الطبيعى ست ساعات ، وأكثره ثمان ساعات، وأقله أربع ساعات ، ولا ينبغى هذا المقدار القليل إلا بعد رياضة

النفس عليه لأهل الأعمال الدينية المجاهدين لأنفسهم بعمل الطاعة ولأوراد ألهمهم الله لها ، فاعلم ذلك والله أعلم .

وأما الجماع : واسمه الوقاع أيضًا وهو : وقوع الرجل على المرأة ، وإيلاج ذكره فى باطن فرجها ، واجتماع النطفتين ، وضد الجماع تركه . وسبب الجماع: شهوة تحث الحيوان علىبقاء النسل من النوع الحيوانى إلى آخر الدهر، وقرنها الله تعالى باللذة لأجل ذلك .

والأصل فى ذلك : أن الطبيعة إذا أعدت المنى وهو فضلات دموية تنزل من الكبد إلى أوعية المنى فينهضم فيها هضما رائعا ، فإذا اشتدت بطيخها تهيأت للخروج ، ثم يُحْدِثُ الله من القلب أيضا شهوة قلبية روحانية ينعش جميع البدن من القرن إلى القدم ، بحرارة غريزية ينساق منها جميع العروق بالحاصل الذى فيها من دم الغذاء الخالص فيدفع كل عرق نصيبا إلى أوعية المنى أيضا ، فيجتمع الجميع هنالك ؛ وبهذا السبب يقع الشبه فى المولود بأبيه وأعمامه إن سبق ماء الرجل، وبأمه وأخواله إن سبق ماء المرأة، كما فى الحديث الصحيح المأثور عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم(٢٤٣) ، فإذا وقعت حركة الجماع اندفق ذلك المنى إلى البيضة اليسرى دما غبيطا(٢٤٤) ، وهى لحمة باردة غددية شحمية ، فيسخن بحرارة المنى، فيدخل منها ماء أبيض ينعقد بالمنى ، فيصير إلى لون البياض الشحمى ثم يُزَرِّقُ(٢٤٥) إلى القضيب عند الإنزال إلى باطن الرحم ، فيقع عند ذلك اضطراب الجسم لمفارقة ما خرج منه من صريح خالصة .

---

(٢٤٣) أخرج مسلم : كتاب الحيض ، باب صفة منى الرجل والمرأة (٣٢) حديثاً من طريق عائشة رضى الله عنها بلفظ ((إذا عَلاَ مَاؤُهَا ماءَ الرَّجُل أَشْبَهَ الوَلَدُ أخواله وإذا علا مَاءُ الرجل مَاءَهَا أشْبَهَ أعْمَامَهُ)) .

(٢٤٤) أى سيالاً .

(٢٤٥) أى يضخ .

وقال بعض الحكماء : ينبغى لمن فرغ من الجماع أن يشرب عسلا ليستعيض بما خرج منه ؛ لأن العسل غذاء قوى سريع الاستحالة ناميا فى الجسد وصالحا ، ثم بعد الاضطراب يقع فترة فى الجسم ، وذلك لخروج الفضل الضرورى فيقع الاستراحة به .

وأحسن الجماع ما عقبه بعد ذلك نشاط وانشراح نفس ، وأرداه ما عقبه بعد ذلك كرب وغم وضيق نفس ، فإن عاود الإنسان الجماع وأكثر منه استنزف باقى الغذاء الخالص الذى فى العروق ، ثم إذا عاوده ولم يجد الطبيعة الشهوانية شيئا كان الخارج عند ذلك من الرطوبة الأصلية لشدة الشهوة ، فيقع العطب والهلاك ، وإن لم يقع الهلاك فلابد أن يحدث من ذلك برد البدن ويبسه وضعف القوة والهرم وضعف البصر ، ويكون ذلك سببا للهلاك . وكذلك إذا هاجت الشهوة واجتمع المنى واستعد للخروج ولم يحصل الجماع رجعت الحرارة الغريزية إلى القلب فتكمن فى داخله ، ويغتم لذلك وتدب سُمّيّةٌ باردة عند الغم فى جميع تلك العروق الراجعة إلى أمكنتها فتغش جميع البدن فتستأصل إلى القلب وإلى الدماغ فيتغير العقل بتغير القلب ، وبتغير النفس يتغير الدماغ ويقع الفساد فى جميع البدن لذلك .

أما العقل : فيعتريه وسواس وهذيان تذكر صورة مستحسنة محبوبة معشوقة كائنة فى الروح التى فى القلب ؛ لأن الروح بيت المحبة فيظهر حينئذ على البدن شبه الجنون وذلك هو العشق والتهتك والهيمان وربما قتل ذلك .

وأما النفس : فيعتريها أيضا وسواس وهذيان يذكر شهوة الجماع عند الاستعداد له حتى يظهر من ذلك فساد بمخالطة ذلك السم الذى يدب فى البدن فيفسد الجسد ، وربما نزل إلى إحدى البيضتين فاسترسلت نازلة منه وربما قتل ذلك الداء والسم البارد .

وإذاكان الجماع كثرته مضرة وتركه مضر ، فلابد أيضا من حالة

متوسطة بينهما تعدل هذا وهذا ، وهو الجماع عند الضرورة إليه فقط ، والضرورة : توقان النفس مع كثرة المنى المستعد فقط . وأما إذا وقعت الشهوة بغير كثرة منى فهى مضرة كما ذكرنا .

والجماع الصالح : عند وجود الشرط ؛ هو مرة واحدة فى كل أسبوع ، وأوسطه مرتين أو ثلاث ، وأكثره أربع مرات للشباب كثير الباءة فى أوقات متفرقة فى الأسبوع ، ولا يجمع بينهما مرتين فى يوم واحد وليلة قط ، هذا هو قدر الجماع الصالح وأعدله عند الضرورة فقط ، وما عداه فهو مضرة .

وللجماع أشكال : أردأها ؛ أن تعلو المرأة على الرجل ، أو يكونا قائمين ونحو ذلك ، وأجودها وأحسنها ؛ أن يعلو الرجل على المرأة ويستقبلها، ويلفها إليه حتى إذا أنزل المنى أشبع الضم وصبر ساعة ، وربما يستريح ، ثم ينزع بعد ذلك ، فهذا ألذ النكاح وأشهاه للرجل والمرأة معا .

ولا خير فى جماع العجوز ، والمرأة الحمراء ، والتى لها من الجماع وقت كثير ، والصبية التى لم تبلغ .

وأجود الجماع : جماع الشابة البالغة قريبة العهد بالبلوغ الكاعب ذات البين والعِفة والحسن والمَلِق(٢٤٦) والخَلْقِ والخُلُقِ ، فهذا هو القدر الجيد الصالح من الجماع والله أعلم .

وأما الحركات : فضدها السكون والدعة أيضا ، ولا خير فى إفراطهما معا.

أما الحركة : فإنها كثرة العمل ، وكثرة المشى ، وكثرة التعب والنصب ربما حدثت عنها أمراض خطرة وكانت سببا للهلاك .

---

(٢٤٦) الملساء .

أما السكون والدعة : فكثرة ذلك يميت القلب والبدن .

أما القلب : فإذا لم يتحرك بذكر الله وما يحتاجه من أمر دينه ودنياه . وأما البدن : فلأنه لابد أن يبقى من الأغذية فضلات عند أواخر الهضم ، فإن لم يتحرك الجسم وتتفرق تلك الفضلات اجتمع منها قدر يؤدى إلى الأمراض الخطرة ، وأيضا فإن كثرة السكون للقلب والبدن والدعة ؛ يوهن القوة ويضعف الهمة فى الأمور العالية ، فلا خير فى ذلك فلابد أيضا من حركة معتدلة متوسطة تعدل هذا وهذا وهى التى تسمى الرياضة عند الحكماء : وهى حركة خفيفة معتدلة عند خلو المعدة من الطعام عند كل هضم ، ولا خير فيها عند الشبع ، وهى مثل قراءة ، أو ركوب فرس أو دابة ، أو مشى غير عنيف ، أو سعى خفيف ، أو شغل غير مفرط ونحو ذلك من الحركات الخفيفة . ومقدارها : أن يبدأ أولا العرق ، ولا خير فيما عدا ذلك من الحركة المفرطة العنيفة وخصوصا عند الشبع فإنها تؤدى إلى الضرر العظيم ، والله أعلم بغيبه .

وأما الأهوية : فلابد من ملاقاتها ضرورة لأن الهواء غائص فى جميع الأبدان ومنه مادة الروح ، إذ الروح لا تقوم فى البدن إلا باستنشاق الهواء عند النَّفَسِ . فهو بقدرة الله حياتها ، وكذلك السمع والبصر لا يقوم فعلهما إلا باتصال الهواء إليهما بالمسموع والمنظور بهما وغوصه فى داخلهما ، وكذلك سائر الجسم إن لم يصبه الهواء تعفن وفسد .

والهواء على ضربين متضادين :

أحدهما : المعتدل وهو النسيم الطيب وأفضله الصبا فإنه يزيد فى نشاط الروح ويغذيها ، فإن كان مع ذلك روائح الطيب الزكى والرياحين ونحو ذلك؛ كان أجود وأفضل عند الروح التى بها قوام البدن .

والضرب الثانى من الهواء : هو الريح القوية العظيمة المفرطة

والعواصف ، فلا خير فى ذلك من أى ناحية كان ، فينبغى التوقى من ذلك ، وأعظم ضررا على الروح الدخانات والبخارات المتعكرة ، وشم الجيف ، والنتن ونحو ذلك ، فإن ذلك مهلك للروح ومضر بها ضررا عظيما ، والله أعلم .

وأما العوارض النفسانية : فهى كثيرة وأعظمها ضررا على البدن والقلب؛ الغم والهم وضدهما السرور والفرح ، والهم والغم مضران بالقلب والبدن ، إذا كثرا وتداول استعمالهما .

أما الهم : فإنه اهتمام الإنسان بشىء لا تبلغه أمنيته ، فتنتشر الحرارة الغريزية عند الطمع حتى إذا لم يحصل المراد انهزمت داخله إلى الجوف ، فيعلو عليها البرد واليبس اللذان هما طبيعة الموت فيظهران ويستوليان على جميع البدن ، فيغتم القلب وتضيق النفس لذلك ضيقاً عظيماً ، حتى تكاد الروح أن تخرج ، فلا يداول هاتين لكونهما قد صارا علة باجتماعهما فى الفعل على الضرر عند المداولة ، فإن حصل الدواء وإلا وقع الهلاك ، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((الهم نصف الهرم))(٢٤٧) .

وقال بقراط الحكيم : للقلب آفتان : الهم والغم .

ويكون الغم : بفوات شىء كان حاصلا فانعدم ، ولهذه العلة دواءين :

أنفعهما وأفضلهما : قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((ما أصاب أحدا هم أو غم فقال : اللهم إنى عبدك ابن عبدك ناصيتى بيدك ماضى فى حكمك عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ،

---

(٢٤٧) قول النبى ﷺ : ((الهم نصف الهرم)) . هو جزء من حديث ((التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل ...)) . من طريق أنس مرفوعاً . عزاه صاحب كشف الخفا إلى الديلمى فى المسند .[كشف الخفا١/١٥٩] .

أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وشفاء صدرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى ؛ إلا أذهب الله همَّه وغمَّه وأبدله مكانهما فرحاً وسرورا))[٢٤٨] .

والدواء الثانى : أن يعزى نفسه ويتأسى بالأخيار ، وذلك تارة أن يعلم أن الدنيا فانية وكل من عليها فان ، وأن العاقل من بقى مع الله عز وجل ، ولم يفرح بحاصل منها ، ولم يحزن على فائت منها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن هذه الدار ؛ دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرجاء ولم يحزن لشقاء))[٢٤٩] . ويقدر أنه لو أصيب بمصيبة أعظم مصيبة من تلك ؛ لكان أعظم ضررا عليه لقدرة الله تعالى على ذلك ولعجزه عن دفع المصيبة ، فيهون عليه ذلك مع أنه مأجور على ما أصيب به .

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببا ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطى ويبتلى ليجزى ، إنها لسريعة الذهاب وشيكة الانقلاب ، فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها ، واهجروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها ، ولا تسعوا فى عمران دار قد قضى الله خرابها ، فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين))[٢٥٠] .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :ما أصبت بمصيبة إلا ذَكَرْتُ لله علىَّ فيها

---

(٢٤٨) المسند أخرجه أحمد (١/٣٩١ ، ٤٥٢) والطبرانى فى الكبيرة (٣/٧٤/١) وابن حيان (٢٣٧٢) والحاكم (١/٥٠٩) وانظر الصحيحة (١٩٩) .

(٢٤٩) ذكره صاحب كنز العمال (٦٢٠٣) . رواه الديلمى عن ابن عمر .

(٢٥٠) ذكره صاحب كنز العمال (٦٢٠٣) . رواه الديلمى عن ابن عمر .

ثلاث نعم: الأولى :أن الله تعالى لم يصبنى بأعظم منها مع قدرته على ذلك. والثانية : أن الله جعلها فى دنياى ولم يجعلها فى دينى . والثالثة : أن الله تعالى لابد أن يأجرنى عليها إن شاء معجلا وإن شاء مؤجلا .

قال أبو الطيب :

لا تلْقَ دَهْرَكَ إلا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فيه رُوحَكَ الْبَدنُ
فَما يَدُوُم سُرَورٌ ما سُرِرْتَ به ولاَ يَرُدُّ عليك الفَائِتَ الحُزْنُ

وأما الكلام : فإنه أضَرُّ شىء على الإنسان إذا خرج فى غير مصلحة فلا خير فيه رأسا إلا ما ابْتُغِى به وجه الله مع مراقبته . قال الله تعالى ﴿**مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق : ١٨] .

وأفضل الكلام : ذكر الله تعالى فى الأوقات المخصوصة ، إذا لم يَشُبْهُ قلق ولا ضجر ولا شغل قلب ، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإصلاح ذات البَيْنِ عند القبول من المخاطب ، وإلا صار ضررا وأدى إلى العداوة والبغضاء . قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((رحم الله عبدا تكلم فغنم أو سكت فسلم ، إن اللسان أملك شىء للإنسان وألا إن كلام العبد كله عليه لا له إلا ذكراً لله تعالى ، أو أمراً بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو إصلاحا بين مؤمنين))[٢٥١] . فقال له معاذ بن جبل : يا رسول الله ، أنؤاخذ بما نتكلم به ؟ فقال : ((وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))[٢٥٢] .

---

(٢٥١) ذكره صاحب كنز العمال (٧٨٤٨) .

(٢٥٢) جزء من حديث أخرجه الترمذى ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فى حرمة الصلاة (٢٦١٦) من طريق معاذ بن جبل قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده (٥/٢٢١) .

فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه ، وليحرص على ما انطبق عليه جنانه ، وليحسن عمله وليقصر أمله ، وأما ما عدا ذلك من الكلام فهو مضر بالروح والبدن ضررا عظيما ، وهو الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، والوقيعة فى الناس ظاهرا وباطنا ، والمشاحنة والمشاتمة ، وكلام اللهو واللغو واللعب فلا خير فى جميع ذلك ونحوه ، وربما أدى إلى الهلاك مع الإثم .

قال بعض الأدباء :

احْفَظْ لِسَانَكَ أيُّها الإنْسانُ	لايلدغنَّك إنّهُ ثُعْبَانُ
كَمْ فِي المقابل مِنْ قَتِيل لِسَانِهِ	كانتْ تَهابُ لِقَاءَه الأقرانُ

وقال بعض الحكماء لصاحبه : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيته منها أربعة آلاف عيب ، ووجدت فيه خصلة واحدة إذا استعملها سلم من تلك العيوب كلها ، وهى حفظ اللسان .

وكان بعض الحكماء يجلس بين العلماء فى جميع المجالس فلا يتكلم فقيل له فى ذلك ، فقال : أَسْمَعُ فأَعْلَمُ وأَسْكُتُ فأَسْلَمُ .

وقال بعض الأدباء : ينبغى لكل عاقل أن يحفظ هذه الأبيات ويدرسها:

الـقَ المكاره بالْعَزَاء مُوَقَراً	فلَعلَّ يَوْماً لا تَرَى مَا تَكْرَهُ
فلربَّما ابْتَسم الوقورُ مِنَ الأذى	وفُؤادهُ مِنْ حَره يتأوهُ
ولربَّما خَزَنَ الكريمُ لِسَانَهُ	حذَرَ الجَوَابِ وإنَّهُ لمفوهُ
ولربَّما صَمَتَ الفَتَى فتَنَافسَتْ	فيه الظُّنُون وإنَّهُ لمموهُ
ولربَّما سَادَ الجوادُ بجَودِهِ	أهلَ الجمال وإنّه لمُشَوَّهُ

ومن الكلام ؛ أدب وعلم وحكمة ، قال الله تعالى ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود : ١١٢] .

وقال تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((أيها الناس ، إن الأشياء ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعوه ، وأمر استبان غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف عليكم فردوه إلى الله. أيها الناس ، ألا أنبئكم بأمرين خفيفين مؤنتهما عظيم أجرهما، لم يلق الله بمثلهما : الصمت وحسن الخلق)) .

فينبغى أن يتأدب الإنسان مع الخالق بالمراقبة باطنا وظاهرا ، ومع الخلائق بحسن الخلق ، فقد عظم الله الخُلُقُ الحسن ومدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] .

وأن يتوقر الإنسان فى جميع أموره ، فإذا أراد أمرا نظر أولا فى عاقبته ، ولا يعجل فى أموره ، ولا يكلح[٢٥٣] فى وجوه الناس ، ولا يلتفت إلى من وراءه فى طريقه ولايعبث بشىء فى مجالسه بشىء من جسمه ولا بشىء آخر ، ولا يشاور أحدا دون أحد فى مجلس واحد ، ولا يضاحكه سرا ، وإذا أقبل إليه مقبل فلا يتغافل عنه ؛ بل يستبشر به ، ويبجله ويرد عليه أحسن من تحيته ، ويبدأ كل أحد بالسلام فى طريقه ، ويتوقى المزاح وكثرة الضحك واللهو واللغو ، فإذا سئل أجاب بالإيجاز بما ليس فيه إثم ولا ضرر قبل أن ينظر فى عاقبة الجواب ، ويزن كلامه قبل أن يخرج ويتواضع من غير ذلٍّ .

ويعلم ولده وما ملكت يمينه حسن الأدب ومحاسن الأخلاق ، ولا يريهم الافتخار بجاهه وكثرة ماله ؛ فيهلكون ويهلكونه وليكن مجلسه هادئا .

---

(٢٥٣) فى النسخة (أ) : يكشح ، وفى النسخة (ك) : يكتح . يكلح : أى يعبس ويكشر .

وإذا أكل طعاما مع قوم ؛ لم يقم قبلهم وليحترز فى جميع أموره بالنظر فى العواقب ، فالحادثات لها حصر ، وكفى بالزمان خطيبا وواعظا وطبيبا ، فلا يدرك الإنسان أنه يدرك عيب نفسه ، بل من غيره فهو معيوب ، فلا تَعِبْ أحدا والسلامة من ذلك أن يشتغل بعيوب نفسه فإنها تتهاه وتكفيه عن عيوب غيره .

ومن أحسن الحالات الأدبية : أن يتوسط الإنسان فى جميع أموره وأحواله وأفعاله الدينية والدنيوية اتباعا للكتاب والسنة ، قال الله تعالى ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ولاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء : ٢٩] .

وقال تعالى ﴿وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء : ١١٠] .

وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاما﴾ [الفرقان : ٦٧] .

وقال تعالى ﴿وَاقْصِد فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان : ١٩] .

وقال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر : ١٧، ١٨] .

والأحسن هو الأهم من كل شىء ، والأهم هو القدر الأخص ، وهو الأصل الذى يتفرع منه ويعود إليه جميع الأشياء ، وهو أوسط الأمور ؛ لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((خير الأمور أوسطها ، وكل طرفى الأمور ذميم))[٢٥٤] .

---

(٢٥٤) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٣/٢٧٣) ، إتحاف السادة المتقين (٦/٢٤٦ – ٧/٣٦٦ و٤٢٢ – ٨/١٣)، تفسير الطبرى (٢/١٥٤– ٥/٣٤٣ – ٦/٢٧٦) والسيوطى فى الدرر المنثورة (٨١) .

ويترك الإنسان ما لا يعنيه من جميع الأمور الدنيوية ؛ لقول النبى ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))[٢٥٥] . ولا يطمع فى شىء قد مُنع منه رأسا ، ففى الخبر : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ((إنى جعلت أربعة أشياء فى أربعة أشياء والناس يطلبونها فى غيرها فلا يجدونها : جعلت الحكمة فى القلوب الجائعة ، والناس يطلبونها فى الشبع فلا يجدونها . وجعلت العز فى طاعتى ، والناس يطلبونه فى أبواب الملوك فلا يجدونه . وجعلت رضاى عنهم فيما يكرهونه، والناس يطلبونه فيما يحبون فلا يجدونه . وجعلت الراحة فى الجنة ، والناس يطلبونها فى الدنيا فلا يجدونها)) .

وقال الأحنف بن قيس[٢٥٦] : أخرج الناس من كلام الحكمة أربعة آلاف كلمة ثم أخرجوا منها أربعمائة كلمة ثم أخرجوا منها أربعين كلمة ثم أخرجوا منها أربع كلمات ؛ أولها : لا تُحَمِل مِعْدَتَكَ مالا تطيق . والثانية : لا تَثِقْن بالنساء . والثالثة : لا يَغرَّنَّكَ المالُ وإن كثر . والرابعة : يكفيك من العلم ما يُنتفع به .

وقيل لابن المهلب : بمَ نلت مانلت من العز والجاه والرفعة ؟ فقال : بالعلم. فقيل له : إن غيرك علم أكثر مما علمت . فقال : ذلك علم حُمِل وهذا علم استُعْمِل .

وقال الأحنف : ثلاث لا ينبغى لعاقل أن يتركهن : علم يتزود به لمعاده، وعلم يذب به الداء عن بدنه ، وصنعة تعينه على أمر دنياه وآخرته .

فهذا كاف للغافل فى علم الطب والحكمة ، وقد نظمت قصيدة مختصرة تجمع أصل الطب ومراعاة حفظ الصحة ، وجعلتها خاتمة للفصل ، وهى هذه:

---

(٢٥٥) أخرجه الترمذى : كتاب الزهد ، باب (١١) (٢٣١٧) من طريق أبى هريرة . وابن ماجة : كتاب الفتن ، باب كف اللسان فى الفتنة (٣٩٧٦) .

(٢٥٦) من سادات العرب ، وهو سيد بنى تميم فى البصرة ، ومن دهاة العرب وقادتهم فى صدر الإسلام ، ت [٧٢هـ].

الحمدُ لِلهِ الّذى خَلَقَ الوَرَى   وَقَضَى وَأنْفَذَ ما يَشَاءُ وَقَدَّرَا

جَعَلَ الطَبَائِعَ أصْلُ كُل خَلِيقةٍ   وَأقامَ مِنْها الكَائِنَاتِ ودبَّرا

ثُمَّ الصَلاة على النَبى مُحَمَدٍ   والآل ما خَفَق النَسِيمُ وما سرَى

اسْمِع أخىَّ وَصيةٍ مِنْ حِكْمَةٍ   فى الطبِ حُكْمُهاَ المقال وخبرا

أصل الحياة حرارة ورطوبة   والموت برد ثم يبس قدرا

والجسم منهن استقام مركبا   وتربعت أركانه كى يعمرا

فإذا اعتدلن أقمن طول حياته   فى صحة حكم الزمان بها جرى

وإذا اعتدت منهن واحدة بخلط   زائد وقع السقام بلى امترى

واحفظ عليك الاعتدال بالاحتما   فى حال صحتك التى لا تشترى

لا تشبعن إذا أكلت وكل إذا   ما الجوع داعيه لهضم قد طرا

واشرب ولا تملى فأقبح ماملى   بطن بأكل أو بشرب بذرا

واجعل طعامك فى الشتاء من الغذاء   ما طبعه طبع الحرارة أشعرا

وإذا المصيف أتى فكُل من بارد   واشرب كذاك فذاك أعدل ما نرى

واحذر غليظ الطبع أو ما مضغه   صلب لذى الأسنان أو مثل الغرا

وكذاك ما عافته نفسك إنه   فى أكله سم يدب إذا سرى

والنىَّ من حب ومن خبز وما   كاللحم والحلوى بنار دبرا

وفواكه الأشجار قبل نضاجها   فاحذر وجود ما مضغت لتنصرا

واحذر جيوشا إن تآلف جمعها   فى أكلة ضرت وأوهت ما مَرَى

وابدأ سريع الهضم قبل بطيئه   والرطب قبل اليابسات مشمِّرا

لا تدخلن عيشا على ما قبله   من أى عيش قبل أن يتحدَّرا

وعقيب نوم أو جماع فاحذرنْ   برد الهواء وبرد ماء كثرا

وعقيب هاجرة وأكل حرارة   وعقيب شغل متعب قد أعسرا

واحذر متابعة الجماع فإنه   هدم القوى تفنى الشباب الأنورا

وانكح فتاة حين تبلغ إنها   لا خير فيها بعد عشرين ترى

وفر دماءك إنها هى رأس مال ... الجسم إن تنقصه ضر وغيرا

ودع الدوا من مسهل أو غيره ... مهما وجدت إلى السلامة مصدرا

فالثوب أسرع ما يكون إلى البلى ... مهما تتابع غسله وتكررا

فى كل أسبوع عليك بقية ... تُبرى بها الفضل الردىَّ الأقذرا

والمخرجين ببولة أو غائط ... أبدا فلا تحبسهما إن حضرا

فهما كنهران يسد ببقعة ... مجراه أورثها الفساد ودمرا

وتوسط الحالات عند عوارض ... للجسم أو للروح دامت للورى

احفظ لسانك فهو إن أطلقته ... فى غير ذكر الله قبرك فى الثرى

وانظر عواقب كل أمر قبل أن ... تأتي إليه وكن له متدبرا

فالمراء منطبع الأمور طبيعة ... وعزيزه خلقا وخلقا صورا

فالحكم يجرى دهره أبدا على ... ما فى كتاب الله كان مسطرا

خذها بعلم والعليم هو الذى ... بالحق أنطقنى ولى ولها متبرا

وعلى النبى وآله وأصحابه ... صلى إله العرش ما برق سرى

الفصل الثانى

فى

علـــم الكيمـــياء

اعلم هداك الله أن علم الكيمياء[٢٥٧] من أجل العلوم الغامضة الطبيعية وأشرفها قدرا لما يترتب عليها من إصلاح أمر الدين والدنيا والآخرة . والكيمياء عبارة عن قلب الجواهر من الحالة الخسيسة[٢٥٨] إلى الحالة النفيسة بالتدبير الطبيعى، وهو معالجة جسد سفلى من داء ركبه الله فيه بالعرض لا بالذات حين ركب فى المعادن والنبات والحيوان أرواحها ، ثم ألهم الحكماء علمه وإزالة ذلك الداء العرضى عن الذات الأصلى ، فسموا ذلك : علم الكيمياء . وهو منقسم إلى قسمين : علم ، وعمل . وكلاهما مرموزان فى كتب العلماء على هذه الصنعة الشريفة .

أما العلم : فهو أن يعلم أن كل واحد من المركبات الثلاث جنس واحد مستقل بنفسه ، وكل جنس منها يجمع أنواعا ، وكل نوع يجمع أشخاصا ، وكل واحد من الأشخاص والأنواع له ماهية وكيفية وكمية .

أمَّا الماهية : فإنه شىء واحد فى نفسه بالقوة ضد الفساد ، وبالفعل عند الكون وهو مدبر لنفسه لا يحتاج إلى شىء ، إلا التدبير الطبيعى الذى أودعه الله فيه .

وأما الكيفية : فإن لهِ جسد وهو كثيفَهُ ، وروح وهو لطيفَهُ ، ونفس وهى لطيف لطيفِهِ ؛ وهى روح واسطة واصلة بين الروح والجسد وبها يكون النمو والزيادة ، وظهور النتيجة عند الكون بعد الفساد وخروج ذلك الشىء

---

(٢٥٧) علم الكيمياء : هى صناعة عربية اشتقت من كمى يكمى إذا سُتِر وأخفى ، ويقال : كما الشهادة يكميها إذا كتمها والمحققون لهذه الصناعة يسمونها الحكمة على الإطلاق، وبعضهم يسميها الصنعة .[مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٤٦مقدمة ابن خلدون ص ٩٧٦] .

(٢٥٨) أى الأشياء التافهة المحتقرة .

من القوة إلى الفعل عند التدبير لأنها لازمة بطرف الروح ، فتستمد منه الروحانية والانبساط فيوصله إلى الجسد ، ولا زمة بطرف الجسد يستمد منه القوة والأساس فيوصل ذلك إلى الروح فيكون بها حصول المراد من ذلك الشيء في جميع حالاته وأفعاله.

وأما الكمية : فإن كل واحد منها له أربع طبائع يستقيم عليها كما قدمنا أنه لا يستقيم بشيء من المصنوعات الطبيعيات إلا بها ، فإذا أردت أن تعلم قلب الجواهر بدأت نفسه تقلب من الحالة الخسيسة إلى الحالة النفيسة ، ومن الكثافة(٢٥٩) إلى اللطافة ؛ من معدن ، أو نبات ، أو حيوان ، فسأذكر لك أصلا في كل واحد منهما نبني عليه القياس في سائرها ، ويستفيد منه علم الكيمياء وعملها فإن العمل موجود في باب العلم فاعرف ذلك .

أما المعدن : فانظر منه إلى الذهب مثلا ؛ فإن أصله وهيولاه ماء مجتمع من زئبق وكبريت ألقتهما الطبيعة من دخان الأرض وبخار مياهها ، فحين صعدا جمع بينهما الهواء فانعقد ماء واحدا ونزلا إلى معدن الذهب ، حتى إذا أستجنا(٢٦٠) في الأرض ضاعت حرارة الكبريت في باطن الزئبق فصارت له روحا وصار الزئبق جسدا له ، وصار ذلك ذهبا بالقوة ؛ لأنه عند بدء اجتماعه يكون ضعيف القوة لقلة الحرارة الفاعلة فيه التي هي جزء واحد إلى جزء أصلي فهما اثنان ، فهو في النسبة هاهنا من الطبيعة كطبيعة الأرض التي هي أكثف الطبائع ، فإذا طبخته حرارة الشمس الفلكية بحرارة معتدلة زمانا تعلّك(٢٦١) وتلزجت روحه بجسده باستمداد الحرارة ، حتى إذا صار إلى حالة أعلى من ذلك وألطف وأشد تعلكا وذلك عند اكتساب الحرارة

---

(٢٥٩) أي ثقيلة ، وغليظة .

(٢٦٠) في النسخة (أ) : اسخنا .

(٢٦١) اللزج : أي الذي يعلق باليد ونحوها .

مثلها فحينئـذ يصـير الكـبريت كـالحديد والزئبـق كالأُسْربُ[٢٦٢] فـى النسـبة ، وذلك انعقاد الزئبق والكبريت ، ويكون الذهـب هاهنـا باللطافـة كطبيعـة المـاء الذى هو ألطف من الأرض وذلك عند اكتساب الحرارة مثلها ، وهـو جـزءان إلى جزئين . ثم إذا طبخته حرارة الشـمس أيضـا زمانـا طبخـا ثانيـا واكتسـب الحرارة أيضا مثلها ، فصارت أربعة أجزاء إلى أربعة متقدمة صار الكـبريت الحديدى كالنحاس فى النقاوة واللطافـة وصـار الزئبـق الأُسْرُبى كـالقَلْعِى[٢٦٣] ويصير شبه الذهب هاهنا فى اللطافة كطبيعة الذهب الهـواء الـذى هـو ألطـف مـن المـاء وأقـوى تركيبـا لكـثرة الحـرارة واللطافـة والتـلزج . ثـم إذا طبختـه الشمس أيضا طبخا رابعا زمانا تعلك وتلزج وبلغ أعلى رتبة وذلك عند تكسّب الحرارة الفاعلة ثمانية أجزاء إلى ثمانية أجزاء متقدمة .

وذلك ميزان الطبيعة الذى هو ستة عشر جـزءا مـن مضـروب الطبـائع الأربع فى مثلها ، فيصير فى الذهب من كل طبيعة أربعة أجزاء وهـو درجـة الاعتـدال ويصـير الكـبريت النحاسـى هاهنـا ذهبـا ، والزئبـق القلعـى فضــة ، ويكون الذهب هاهنا فى النسبة الطبيعية كطبيعة النار التى هى ألطف الطبـائع وأعلى العناصر وغايتها فى اللطافة .

فانظر كيف كان ذهبا بالقوة ، فـترقى بـالتدبير الطبيعـى فـى ذات نفسـه إلى أن صـار ذهبا بالفعل ، وانقلب من الحالـة الخسيسـة إلـى الحالـة النفيسـة ، وحصل المطلـوب بجريانـه علـى نسبة الطبيعـة فـى الدرجـات الأربـع بتدبـير الحكيم الخبير . وهكذا تدبير سائر المعادن ؛ ومن أجل ذلك يقول الحكماء فـى رمزهم : حجرنـا موجود فى المعادن . فافهم ذلك واعرفه .

---

(٢٦٢) الرصاص الأسود . [مفيد العلوم لابن الحشا ص٧٢] .

(٢٦٣) الرصاص الجيد . [المصدر السابق] .

والأصل فى تكوين المعادن : أنها دخان من الأرض وبخار من مياهها تصعدهما طبيعة الحرارة المدبرة لكل شىء إلى عنصرها الأعلى ، فينعقدان بواسطة الهواء ما بين الأرض والسماء ، فيسوقهما البارى سبحانه وتعالى إلى حيث يشاء من بقاع الأرض ، فيكون منهما ما يشاء من المعادن بعد حر الطباخ ، كما وصفنا فى الذهب ، ولكن ما كثر دخانه على بخاره كان منه المعادن القشفة الميتة(٢٦٤) التى تحترق أجسادها لمفارقة أرواحها عند النار ؛ كالأملاح والأحجار ونحو ذلك ؛ لكثرة الجسدانية وقلة الروحانية فيها .

وأما كثرة بخاره على دخانه ، فإذا كثر كان منه الزئبق فقط ، وهو أحد المعادن السبعة الذهبية ؛ وذلك لكثرة روحه وشدة تعلكه بجسده وليس طيرانه بحيلة عن نوعها ؛ لأن فيه عارض عرض له لشدة البرد معدنه مع كثرة روحانيته.

والدليل على ذلك : أنه إذا جعل على النار طار روحه بجميع جسده ولم يوجد له أثر وإذا حبس بحيلة وجد كله لم ينقص منه شيء ، فافهم ذلك .

وأما ما استوى فيه البخار والدخان ؛ كان منه باقى المعادن السبعة الذهبية وهى ؛ الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص ، فما طبخته الشمس باعتدال كان منه الذهب - كما قدمنا - وما أفرط عليه حر الطبخ كان منه النحاس -كما قدمنا- ثم الحديد ، وما قل طبخه كان أقرب إلى الاعتدال وكان منه الفضة ، وما أقل طبخا من الفضة وأكثر بردا كان منه القلعى ثم الأُسْرُبُ .

والدليل على أنه نوع واحد ذهبى : أنها تجتمع عند السبك وتصير زئبقا واحدا رجراجا ولا يختلط تغيرهما لاتفاق أرواحها الزئبقية فى نوعها الذهبى

---

(٢٦٤) أى التى ساءت حالتها ورثَّت هيئتها .

لاستواء الرطوبة واليبوسة ، أعنى البخار والدخان اللذين هما كميتها عند الجمع فى التدبير ، والله أعلم .

والدليل على ما كثر فيه الحرارة منها : ظهور الحمرة على لونه وعلى ما قلت فيه الحرارة ظهور البياض على لونه ؛ ولهذا المعنى أشرت لك بالرمز فى تدبير الذهب المتقدم ؛ فجعلت الأجساد الحارة دليلا على الروح الكبريتى ، وجعلت الأجساد الباردة دليلا على الجسد الزئبقى ، ونسبت ما كان كثيفا منها إلى الطبيعة الكثيفة أولا فأولا فى الدرجات الأربع ، حتى صار إلى أعلى الطبيعة فى اللطافة وإلى أعلى النقاوة عند ذكر الذهب والفضة من هذا النوع ، وعلى هذا التدبير رَمَزَ جميع الحكماء بالمعنى المتفق ، وإن اختلف اللفظ الظاهر فافهم ذلك واعرفه(٢٦٥) .

وأما **النبات** : فإن أصله وهيولاه البذرة ، ونوع الشجرة والثمرة موجودان فيها بالقوة ، ويخرجان إلى الفعل بالتدبير الطبيعى ، والاصل فى ذلك أن البرد واليبس اللذان هما طبيعة الموت غالبان عليهما والحرارة والرطوبة ناقصان فيها وكامنان فى باطنها ، وهى هاهنا فاسدة أى : بين الحياة والممات ، فهى مستعدة للفناء إن لم يدبر ومستعدة للحياة إذا دبرت ، وهى شجرة مثمرة بالقوة والقوة فيها جزء حار من الطبيعة الحارة الفاعلة بالأشياء ، فإذا تداركها التدبير الطبيعى خرجت من القوة إلى الفعل ومن الفساد إلى الكون .

والتدبير الطبيعى : هو إمدادها برطوبة الماء وحرارة الشمس فى باطن الأرض أولا ، وعلى ظهرها ثانيا ، إلى أن يتم تدبيرها الطبيعى . فأول ما

---

(٢٦٥) سميت بعض الجواهر بالأجسام ؛ لأنها تثبت وتقوم على النار ، وبعضها سميت بالأرواح ؛ لأنها تطير إذا مستها النار . [مفتاح العلوم للخوارزمى ص١٤٧] .

يكون منها : عود الأصل وذلك حين يكتسب الحرارة الطبيعة الفاعلة مثلها ، وهو جزء إلى الجزء الأصلى فيصير جزءين باستمداد الحرارة مع الرطوبة ، فيصير بالنسبة الطبيعية كطبيعة الأرض التى هى أكثف الطبائع . ثم إذا دبرتها الحرارة الطبيعية مع الرطوبة زمانا كان منه الغصن وذلك عند اكتساب القوة الفاعلة مثلها وهو جزآن إلى الجزءين المتقدمين ، فيصير أربعة، فيصير فى النسبة الطبيعية كطبيعة الماء الذى هو ألطف من الأرض ، ثم إذا دبرتها الحرارة الطبيعية مع الرطوبة زمانا كان من ذلك الورق .

وذلك عند اكتساب القوة الفاعلة مثلها وهو أربعة أجزاء إلى الأربعة المتقدمة ، فيصير الجميع ثمانية أجزاء ويصير فى النسبة الطبيعية كطبيعة الهواء الذى هو ألطف من الماء . ثم إذا دبرتها الحرارة مع الرطوبة زمانا كان منها الثمر . وذلك عند اكتساب القوة الفاعلة مثلها وهو ثمانية أجزاء إلى الثمانية المتقدمة فيصير من القوة الفاعلة ستة عشر جزءا ، وهو ميزان الطبيعة المعتدل ؛ الذى هو مضروب الطبائع الأربع فى مثلهما ، كما قدمنا ذكره فى التدبير للذهب ، ويصير فى النسبة الطبيعية كطبيعة النار التى هى ألطف الطبائع وأعلى العناصر ، وانظر كيف خرجت البذرة من القوة إلى الفعل ومن الفساد إلى الكون ، وصارت شجرة مثمرة وانقلب الجوهر بذات نفسه من الحالة الخسيسة إلى الحالة النفيسة ، وحصل المطلوب بالتدبير الطبيعى وصنعة الحكيم الخبير ، وهكذا تدبير سائر النبات .

ومن أجل ذلك : تقول الحكماء فى رمزهم : حجرنا موجود فى النبات . أى : موجود فى العلم المعنوى كما ذكرت لك فى المعدن ، فافهم ذلك واعرفه والله أعلم .

وأمّا الحيوان : فهو على ضربين منهم من يبيض ، ومنهم من يلد .

فأمّا ما يبيض : فإن أصله وهيولاه البيضة وهى فاسدة أى بين الحياة

والموت ، والطائر موجود فيها بالقوة ، وتخرج إلى الفعل بالتدبير الطبيعى حتى يصير من الفساد إلى الكون ، والتدبير الطبيعى هو إمداد البيضة بحرارة حضّان الطير ؛ لأن فيها هاهنا جزء من القوة الفاعلة ، وهى الحرارة الطبيعية ، فإذا انطبخت بحرارة الحضانة ؛ لان القشر وانقلب الذلال دماً غبيطاً ، وذلك عند اكتساب القوة الفاعلة مثلها بسر ، وهو جزء إلى الجزء الأصلى ، فيصير جزئى ويصير فى النسبة هاهنا كطبيعة الأرض هى أكثف الطبائع ؛ لأن الدم هو أول جُرْمِ الفرخ . ثم إذا انطبخت أياما ؛ غلظ ، وتجسد، وتصور أربعة أجزاء ، وذلك عند اكتساب القوة الفاعلة جزئين إلى الجزءين المتقدمين ، فيصير فى ذلك أربعة أشياء ، ويصير المدبر هاهنا فى النسبة كطبيعة الماء الذى هو ألطف الأرض ، ثم إذا طبخت حرارة الحضانة أياماً ينبت أصول الريش ، ونفخ فيه الروح ، وابتدى بتغذى الصفرة ، وذلك عند اكتساب الطبيعة الفاعلة بمثلها بالحرارة ، وهو أربعة أجزاء إلى الأجزاء المتقدمة ، فتصير ثمانية أجزاء ويصير المدبر هاهنا فى النسبة الطبيعية كطبيعة الهواء الذى هو ألطف من الماء ، ثم لا يزال الفرخ يتغذى بالصفرة مع قليل من الحضانة حتى تكمل الصفرة ، ولا يجد شيئاً يأكله فيخرج ، وذلك عند تمام تدبيره واكتساب القوة الفاعلة مثلها فى التدبير ، وهو ثمانية أجزاء إلى الثمانية المتقدمة فى المدبرة ، فيصير الجميع ستة عشر جزءاً الذى هو ميزان الطبيعة ، كما قدمنا ، فعند ذلك يتم التدبير ويكون نسبة المدبر فى الطبيعة كنسبة النار التى هى ألطف الطبائع وأعلى العناصر .

فانظر كيف خرجت البيضة بالتدبير الطبيعى من الكثافة إلى اللطافة ، ومن الفساد إلى الكون ، ومن الكون إلى الفعل ، وانقلب الجوهر بذات نفسه من الحالة الخسيسة إلى الحالة النفيسة . وهكذا تدبير سائر الحيوان الطائر .

ومن أجل ذلك : تقول الحكماء فى رمزهم : حجرنا موجود فى الحيوان وهو البيضة .

وأمّا ما يلـد من الحيوان : فـانظر إلـى الإنســان الـذى هـو أكمـل المخلوقات تركيباً وأحسنها وأتمها خلقا وأشرفها وأكرمها على الله عز وجل ، فإن أصله وهيولاه النطفة وهى مجتمعة من منـى الرجـل ومنـى المرأة وفيها جزء واحد مـن القـوة الفاعلـة ، والإنسـان موجـود فـى تلـك النطفـة المجتمعـة بالقوة، وتخرج إلى الفعل إنسانا بالتدبير الطبيعى وهو إمدادها بحرارة باطن الرحم ورطوبة دم الطمث ودم الغذاء النازلين إليها .

قال النبى صلى اللـه عليه وآلـه وسلم : ((يجمـع أحدكـم فـى بطـن أمـه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثـل ذلـك ، ثـم يأمر الملك فينفخ فيه الروح ويكتب أربع كلمات : رزقـه ، وأجلـه ، وعملـه ، وشقى ام سعيد)) الحديث(٢٦٦) . فإذا كمل نطفة كان فى النسبة كطبيعة الأرض التى هى أكثف الطبائع ، وذلك لاكتسابه جـزءاً مـن القـوة الفاعلـة إلـى الجـزء الأصلى الذى فيه فيصير جزءين ، ثم إذا كمـل علقـة كـان فـى نسـبة الطبيعـة كنسبة الماء الذى هو ألطـف مـن الأرض ، وذلـك عنـد اكتسـابه جزءيـن إلـى الجزءين المتقدمين من القوة الفاعلة ، فيصير فيه منها أربعـة أجـزاء ، ثـم إذا كمل مضغة ونفخ فيه الروح ؛ كان فى النسبة الطبيعيـة كطبيعـة الهـواء الـذى هو ألطف من الماء ، وذلك عند اكتسابه أربعة أجـزاء مـن القـوة الفاعلـة إلـى الأربعة المتقدمة فيصير ثمانية أجزاء ، ثم إذا استكمل خلقـه واشـتد وبلـغ مـدة تمام الحمل وخرج كان فـى النسـبة الطبيعيـة كطبيعـة النـار التـى هـى ألطـف الطبائع وأعلى العناصر .

---

(٢٦٦) أخرجه البخارى كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة (٣٢٠٨) وكتـاب القـدر ، باب فى القدر (٦٥٩٤) والترمذى كتـاب القدر ، بـاب مـا جـاء أن الأعمـال بـالخواتيم (٢١٣٧) وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وابن ماجة فى المقدمة باب فى القدر (٧٦) بنحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه .

فانظر كيف خرج الجوهر الإنسانى بالتدبير الطبيعى من القوة إلى الفعل ومن الفساد إلى الكون ، وانقلب من الحالة الخسيسة إلى الحالة النفيسة بتدبير الحكيم الخبير الذى أحسن كل شىء خلقه والذى يقول للشىء :﴿كن فيكون﴾ وهكذا تدبير سائر الحيوان المولود .

ومن أجل ذلك : يقول الحكماء فى رمزهم : حجرنا موجود فى الحيوان والإنسان أو فى غيره من الحيوانات المولودة . فهذا كاف فى علم الكيمياء بإشارة الرمز فى المعادن والنبات والحيوان ، والله أعلم .

والإشارة إلى ذلك أيضا بما أودع الله تعالى من العلم فى نفس الإنسان المترقى فى الدرجات الأربع التى هى : الجهل ، ثم العلم ، ثم المعرفة ، ثم المشاهدة. حتى إذا صار إلى اللطافة بعد الكثافة - كما قدمنا فى أول الباب من الكتاب - وانقلب جوهره من الحالة البهيمية الخسيسة إلى الحالة الملكية النفيسة بلطافة تدبير نور العقل ، فانتقل من أسفل سافلين إلى أعلى عليين ، وخرج من ظلمات جهل النفس إلى نور علم العقل ، فحين خلصت النفس من كنز إخلاص التدبير ، وفنيت فى وجود من ليس فى الوجود إلا هو ؛ قلبها من كثافة نحاس من قال فيهم ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال : ٢٢] . إلى لطافة ذهب من قال فيهم ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس : ٦٢] . وخلع عليها صفات من قال فيهم : ((لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل ؛ حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به))[٢٦٧] .

فهذه هى الكيمياء الكبرى على الحقيقة المستحقة لاسم الكبريت الأحمر ، والترياق الأكبر الشافى من داء النفوس بدواء صلة الملك القدوس ، فاعلم ذلك واعمل به ، والله أعلم .

---

(٢٦٧) تقدم تخريجه (٤٧) من هذا الكتاب .

وأما العمل فى الكيمياء الصغرى : فهو صنعة الذهب الذى هو قلب أعيان ؛ الفضة ، والنحاس ، والأُسْرُب ، والحديد ، والرصاص ؛ إلى عين الذهب الإبريز[(٢٦٨)] .

وذلك أن تعلم أولا أن هذه الأعيان الخسيسة التى نقصت عن بلوغ درجة الذهب ؛ إنها ذهب بالقوة فى أصل الخلقة ، مجتمعة من كبريت ، وزئبق ، مستويين فى الوزن -كما وصفنا فى تكوين المعادن- لكن عرضت لها الطبيعة فى معادنها بزيادة حرارة وبرودة -كما قدمنا- فمرضت واعتلت الطبيعة واعتاقت عن بلوغ درجة الذهب فانقلبت أعيانها وتغيرت طباعها ، فلم تعتدل كاعتدال الذهب، وذلك بقلة حرارة الطبخ فيما برد منها ، ولكثرة إفراط الحرارة فيما زاد طبخه منها وهىكلها ذهب بالقوة .

والدليل على أنها ذهب : أنها تجتمع بالذهب عند السبك فيصير الجميع زئبقا واحدا ذهبيا ؛ وذلك لنسبة الروح الذهبية فى ذواتها النوعية عند الاتفاق والاجتماع على الحرارة بالذوب ؛ لأن النار خاصيتها الجمع بين المشبهات والتفريق بين المختلفات ، أعنى نار : الطبيعة التى اتفقت فيها حين امدادها بالنار العنصرية ، ولما عرضت لها تلك الأعراض والأمراض الطبيعية خلق الله تعالى لها عقاراً مناسباً لها فى الذات النوعية ، فجعله دواء لها لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ((ما أنزل الله من داءٍ إلا وأنزل لـه دواءً))[(٢٦٩)] . وذلك مما ركب الله فيه من الطبيعة الفاعلة فى ذلك الداء . ثم لما خلقه الله عز وجل قدر الله عليه أيضاً فى معدنه ما قدر عليها من العلة العارضة حتى نقصت من الطبيعة الفاعلة نقصاً مفرطاً ، إلى أن يبقى فيه من الفعل الأجزاء واحد من أصل ستة عشر جزءاً ؛ التى هى ميزان الطبيعة من أصل مضروب

---

(٢٦٨) أى الذهب الظاهر النقى .

(٢٦٩) تقدم فى هامش (١١٥) .

الطبائع الأربع فى مثلها عند تمام المركب فيها طبعاً . فألهم الله تعالى بحكمته عباده الحكماء العلماء البارعين فى علم الطبيعة لمعالجة ذلك العقار أولاً ؛ حتى يرجع إلى أفعاله فيفعل فيما خلق له من إصلاحها بعد إصلاحه حاله ، ولا يمكن الصنعة البتّة ، ولا يجيب إلا بهذا ومعرفته والله أعلم.

وفى الإشارة فى أول التدبير اسم تلك الهيولى(٢٧٠) الذى هو النور الكامل الأصلى الذى كان قبل المخلوقات ومنه خرجت فيمثلون بذلك فى القياس ويقولون لا كبر فى هذا العقار إلى العمل بما أودع الله فى الآدمى من المشابهة بجميع ما ذكرناه فى الباب الثانى من خلق الدنيا بأسرها من البداية إلى النهاية .

فقد قال أبو الحكماء ورأس الفلاسفة القدماء هرمس : اعلموا يا معاشر الطلبة أن هذا التدبير يشبه خلق الله تعالى الدنيا بأسرها ؛ فهو دنيا كاملة ، وتركيبه كما ذكرنا من تراكيب الدّنيا الأربعة المتقدمة من البداية إلى النهاية وعلى هذا رمز الحكماء لأنهم لا يوقعون(٢٧١) على هذا العقار بالقوة فى أول التدبير اسم تلك الهيولى الذى هو الأصل الكامل الأصلى الذى قبل المخلوقات، ويخرج إلى الفعل بالتدبير الطبيعى الذى هو المزاجات الأربعة -كما قدمنا- فيأخذون الإشارة عن الله عز وجل بما ألهمهم من العمل من ذلك النور الأول الأزلى المدبر بالحق إلى أعلى وأسفل كما انغلق ذلك النور الأزلى فى القدم . ثم يسمون ما صعد منه : حجر النار الحار ، وحجر الشمس ، وحجر الذهب، والزئبق السرقى ، والغلام المشرقى الذى هو الذكر ونحو ذلك تجده مرموزاً

---

(٢٧٠) الهيولى : لفظ يونانى بمعنى : الأصل ، والمادة ، وفى الاصطلاح : هى جوهر فى الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محَلّ للصورتين : الجسمية والنوعية . [التعريف للجرجانى ص٣٢١] .

(٢٧١) فى النسخة (ك) : يقعون .

فى كتبهم . ويسمون الأسفل : الماء البارد ، وحجر القمر ، وحجر الفضة ، والزئبق العربى ، والجارية المغربّة التى هى الأنثى ونحو ذلك من أسماء الأضداد من جميع ما يلقونه عليه من الرمز فى كتبهم تجده كثيراً[٢٧٢] . أو ربما سموا حالة الافتراق موتاً ؛ وذلك لصعود الرُّوح والنفس من الجسد إلى أعلى وكون الجسد يبقى أسفل ميتا محتاجاً إلى روحه ونفسه ليكون بهما تمام العمل والله أعلم .

قال صاحب الشذور الذهبية[٢٧٣] :

هو السّر فى روح ونفس وجثةٍ   من الحجر الملقى بكل مكان

وربما قالوا للأسفل الأرض السّود ، أو المغنيسيا[٢٧٤] ، ونحو ذلك فى رمزهم. وذلك لأجل البرد واليبس ، ويقولون للأعلى هاهنا :

زئبق الحكماء ، والماء المثلث ؛ الذى هو من ماء ، وهواء ، ونار لأنّ الثلثة للنار اللطيفة بتدبير الأرض الكثيفة .

قالت مارية الحكيمة : الأرض تُمسك ثلاثة أمثالها من الماء .

---

(٢٧٢) وبالجملة ؛ يكنى أرباب هذه الصناعة الرموز عن الذهب بالشمس ، وعن الفضة بالقمر ، وعن النحاس بالزهرة ، وعن الأُسرب بزحل ...... إلخ .وقد يقع بينهم اختلاف فى هذه الرموز ، أو أكثرها لكنهم لا يكادون يختلفون فى الشمس والقمر . [مفاتيح العلوم ، للخوارزمى ص١٤٧] .

(٢٧٣) صاحب الشذور الذهبية ، هو على بن محمد الأنصارى الأندلسى .

(٢٧٤) المغنيسيا : وهى أصناف ؛ فمنها : التربة ، وهى سوداء ، فيها عيون بيض لها بصيص . ومنها قطاع كبيرة صلبة ، فيها تلك العيون . ومنها الحديد .[مفاتيح العلوم، للخوارزمى ص١٤٨] .

وقال خالد بن يزيد الحكيم[(٢٧٥)] :

يَـا أيُهـاَ السَّـائِلُ عَـنْ عِلمِهَـا دُونَكَهَـا فـى نَسَـق وَاحِـدِ

المـاءُ والنَّـارُ هُمَـا مَآوانَـا اجْمَعَـا فِـىْ مُشْـفِق وَالـدِ

ثَلَثَـه بحبلّهَـا واحِـدُ فِـىْ بَطْنِـهِ وَ الكُـل فِـىْ وَاحِـدِ

وَيَسْعه مِـنْ حَجَـر طَـائِر وَوَاحِـدٍ مِـنْ حَجَـر جَـامِدِ

قوله : "الماء والنار هما مآوانا" يعنى الروح والنفس ، و"الوالد المشفق" كناية عن الأرض ، والثلاثة هى : الماء ، والهوى ، والنار ؛ التى اجتمعت فى النفس والرّوح ، والذى يحيلها إلى بطنه هو الأرض عند الفقر . والجمع بين الجميع سنذكره .

وأمّا قوله : (ويسعه من حجر طائر . وواحد من حجر جامد) فهذه إشارة إلى جملة أوزان الحجر الواحد المُركّب ، إذ هو واحد فى نفسه ، وهو منقسم إلى اثنين : ذكر وانثى ، فاعل ومفعول ، وإلى ثلاثة ؛ لأن له روحاً ، ونفساً ، وجسداً إلى أربعة وهى طباعه الأربع . فإذا جَمَعتَ الجميع كان عشرة عند التركيب ، فيكون الواحد هو الحجر الجامد ، والبواقى هى التى تحركت فيه عند العمل وتركبت عليه . وفى هذا معنى عظيم وإيجاز حسن ، فاعلم ذلك .

وربما قالوا للأعلى والأسفل : تسعة لأن الجسد الأسفل فيه أربع طبائع مفعولات ؛ فهى إناث وهى : أرض ، وماء ، وهواء ، نار لطائف ، وتكون النار فى الأسفل هى نفس الحجر السفلى . وفى ثلاث طبائع فاعلة ذكوراً

---

(٢٧٥) خالد بن يزيد بن معاوية ، بويع بالخلافة بعد موت أبيه ، فزهد بها وانصرف يؤلف ويترجم كتب الكيمياء والطب والنجوم ، ت : [٨٥هـ / ٧٠٤م] [الأعلام : ٤٦/٢] .

وهى : ماء ، وهواء ، ونار لطائف ، وتكون النار فى الأعلى هى نفس الحجر العلوى ؛ فلهذا يقولون عند اجتماعها : الطبيعة تفرح بالطبيعة ، والطبيعة اغلب الطبيعة ، والطبيعة تقهر الطبيعة .

فإذا اجتمع الأعلى بالأسفل عند اكتساب الطبيعة مثلها فى مثلها فى التدبير . قالوا للجميع : سبعة لاجتماع تلك الذكور بتلك الإناث كما أخبرتك يطلقون على هذا اسم كُلّ مدّه ؛ مثل ثلاثة أيّام وسبعة أيام وعشرة أيام وأربعين يوماً ، ونحو ذلك . إشارة إلى بلوغ الحجر تمامه قال : الحكيم علم الدين الطغرّاى رحمه الله تعالى :

مِيقَاتُ مُوسَى يَوْمُ تَدْبِيْرِنَا	فَافْطِنْ فَإِنَّ الفِطْنَةَ الحَدسُ
وَكُلّ مَا فِيْ الكُتُبِ مِنْ سَبْعَة	قَدْ طَالَ فِيهَا الخَوْضُ والدّرسُ
فَجَمْعُنَا المَاءِينَ أُسْبُوعِنَا	مُضَاعَفاً مَا فِيهِمَا وَكسُ

وربما كَنّوا عن النفس العليا بشى غريب ؛ وذلك لاكتساب الأعلى بالتدبير طبعاً ولطافة . وقد يميز بها عن الأسفل فيقولون : خذ كذا وكذا من الأحجار لِّفه على كذا وكذا من الأحجار ؛ تكون منهما كذا وكذا ، وإنما عَنّوا رجوع الأعلى إلى الأسفل حين خرج عنه ، ثم عاد إليه وقد اكتسب طبعاً ولطافة فى التدبير . ومن هذا الكلام شىء كثير مختلط قصدوا به تعميه الجهال وأهل الضلال الذين لا يليق إفشاء هذا السّر العظيم إليهم لأن الحكماء رحمهم الله تعالى لما نظروا إلى أنَّ نشر العلم فُرِضَ عليهم لقوله ﷺ : ((من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار))(٢٧٦) . فعلموا أن كتمانه أيضاً فرض

---

(٢٧٦) أخرجه الترمذى كتاب العلم ، باب ما جاء فى كتمان العلم (٢٦٤٩) عن أبى هريرة بلفظ ((من سُئل عن علم ثم كتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار)) .وقال : حديث حسن ، وأخرجه ابن ماجة : المقدمة ، باب من سُئل عن علم فكتمه ، عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه .

عليهم لقوله ﷺ : ((أيها الناس لا تعطوا الحكمة غير أهلها ؛ فتظلموها ، ولا تمنحوها أهلها ؛ فتظلموهم))[(٢٧٧)] .

فتوسطوا بشيء وجدّوا إليه سبيلا من الكتاب وهو : الرمز ؛ لأن فيه كتما عن أهل الجهل ، وفيه بعض إشارة من التعريف لأهل العقل قال الله تعالى فى محكم كتابه لزكريا حيث قال ﴿**رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً**﴾ [آل عمران : ٤١] . وهو إشارة بالأعضاء ونحوها من غير نطق بكلام.

وقال تعالى إخباراً عن مريم عليها السلام ﴿**فأشارت إليه**﴾ [مريم : ٢٩] . أى : إلى عيسى . ومعناها بالإشارة أى : كلِّموه ففهموا عنها بعقولهم ﴿**قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً**﴾ [مريم :٢٩] . فوجد الحكماء السلامة بهذه الطريق فرمزوا إلى حجرهم بإشارة الطبيعة ؛ ليفهم عنهم من أراد الله إلهامه فافهم ذلك .

وربما قالوا للأسفل : أرضاً ، والأعلى ماءًا ، فإذا اجتمعا قالوا للأسفل: أرضاً ، وقالوا : قد ازوجنا من الأرض والماء وجمعنا بين الماء والنار لاجتماع الأربع طبائع فيه وماؤهم هاهنا هو الهواء ؛وذلك أن الأرض فى حرارة مع يبوستها ؛ فهى نار فى باطن الأرض وهو نفس الحجر الأسفل كما ذكرنا ، وأن الماء فى باطنه حرارة مع رطوبة ؛ فهو هواء فى باطن الماء ، وهو نفس الحجر الأعلى .

فالنار التى فى باطن الأرض ذكر ، والماء والهواء الذى فى باطن الماء ذكر الأرض . وإلى هذا المعنى أشار الحكيم الفاضل علم الدين الطغراى فى مقطّعاته حيث قال :

---

(٢٧٧) لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من الكتب المطبوعة لدينا ، ولعله من كلام بعضهم .

أحلفُ باللـه مـا رمـزتُ ولا كتمتُ شيئا من سر أسـرارى
الأرض والمـاء أصـل صنعتنا قـد دُبّرا بالهـواء والنـار

ولا فرق هاهنا فى قولهم قد زواجنا بين الأرض والماء ، أو جمعنا بين الماء والنار ، فافهم هذه الإشارات ولا يشكل عليك إذا رمـزوا بهـا وبأشـباهها فى كتبهم فلم يتكلموا قط إلا رمزاً فى جميع كتبهم ، فاعلم ذلك .

وربما سمّوا الأعلى والأسفل معدناً ، وبيضةً ، الأعلى والأسفل وحجر الحكماء الأسود الذى هو أصل الاكسير(٢٧٨) حتـى إذا فرقـوه قـالوا لـه نباتـاً ، والحجر الأبيض ، فإذا جمعوه بالتدبير الـذى يسـمونه تشـميعاً(٢٧٩) قـالوا لـه : حيوانـاً ، والحجـر الأحمـر . وذلـك لاجتمـاع نفس الحجـر ؛ التـى هـى نـار المشـتعلة فـى الأعلـى وفـى الأسـفل كمـا ذكرنـا لأن الظـاهر إتصالهـا بعضهـا ببعض قد وصل بين الروح والجسد وجمع بينهما وهذا معنى النفس الواصلـة بين الروح والجسد ، فاعرفه وهذا حياة الأسفل الذى سموه ميتًا حيًا بما وصـل إليه من روحه التى صعدت عنه عند التدبير .

فلما رجعت إليه روحـه قـالوا لـه : حيوانـا ، وألقـوا عليـه لـون الحمـرة لاجتمـاع الصبغ المطلـوب الـذى اكتسبه فـى التدبير ، وسـاء كـان أحمـر فـى الظاهر أو غير ذلك إنما يلقون عليه اسم الحمره كقولهم هو الكبريت الأحمـر فهذا ميزان الحكماء الذى يعتبرون به تدبيرهم فاعرفه . وهو موضـع الابتـداء والانتهاء ولذلـك يطلقـون عليـه اسم مـا شـاءوا مـن أحجـار المعـادن والنبـات والحيوان ، وغير ذلك من جميع الجواهر بعبارة يفهمها مـن عـرف كلامهـم . ويقولون : هاهنا قـد بيضنـا وسودنا وحمرنـا ، ويقولـون : قـد جعلنـا الأرض مــاءًا، والماء هواءً ، والهــواء نـاراً ، والنـار أرضــاً ، وذلـك أن الأرض

---

(٢٧٨) الإكسير فى إصطلاح القوم : الحجر الذى يكون منـه الصنعـة . وملـح الإكسـير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد -فى إصطلاحهم- المـذاب جعلـه ذهبـاً ، وفضـة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة . [مفاتيح العلوم ، للخوارزمى ص١٥٠] .

(٢٧٩) التشميع : تليين الشىء وتصييره كالشمع .[المصدر السابق] .

أول ما تقبل الماء ؛ لأنه من حيزها ثم يُدْخِلُ الماء عليها بالهواء لأنه من حيز الماء[(٢٨٠)] ثم يدخل الهواء بالنار لأنها من خير الهواء .

وأما كون النار رجعت أرضاً ، في قولهم : هاهنا ؛ ففي هذا أكبر إشارة وأعظم تفهيم ، أنهم أرادوا أن يُدبروا هذا الحجر الذى وصلوا به إليه أيضاً تدبيراً ثانياً ؛ فألقوا على النار اسم الأرض التى هى أكثف الطبائع ليدبّروتها أيضاً بالماء والهواء والنار ، وكذلك يقولون لهذه الأرض أيضاً معدنا حتى يدبرونه نباتاً وحيواناً كما ذكرت لك وهكذا كل شيء انتهى إلى اللطافة فيلقون عليه اسم كثيفهُ الذى كان أصلا لتركيبه . وذلك لكون هذا اللطيف الذى وصلوا إليه كثيفاً بالنسبة إلى ما يصلون إليه من اللطافة ، فافهم ذلك واعرف هذه الإشارات فهذا شيء لم يكشفه أحد غيرى لأفتح لك به باباً كبيراً مما أغلقوه من هذا العلم ، فاسأل الله الغفران وإلهام هذا السر من صلح من عباده إنه سميع قريب مجيب.

وإذا عرفت أن الحجر عند اجتماعه الأول أسود معدناً ، وعند افتراقه أبيض نباتاً ، وعند اجتماعه أحمر حيواناً ؛ عرفت كل حجر من أحجارهم بأى اسم كنَّوا عنه . ألا ترى قول الحكيم الفاضل على بن محمد الأنصارى الأندلسى صاحب الشذور الذهبية حيث قال :

فإن كنت هذا اهتديت إلى التى	جعلنا حواليها الرموز مهالكا
فخذها ففرقها إلى ما تفرقت	إليه ففى تفرقها جمع حالكا
وسلط على أجزائها النار مشفقاً	على ما ارتقى من رطبها فى إنائكا
تجد صفوها[(٢٨١)] كالماء أبيض ناصعاً	وأثقالها كالقارّ سُوداً حوالكا
فانشب ترفق بين مفترقاتها	قنا لا تراه بينها متشابكا
وداريه حتى يكسب الميت منهما	حياة وحى يترك الحىّ هالكا

(٢٨٠) فى النسخة (أ) : النار .

(٢٨١) فى النسخة (ك) : فخذ صفوها .

وقد أخبرتك أن هذا الحجر الواحد فى حال كونه هيولاً معدناً ، وفى حال كونه مفترقاً بالحل نبات ، وفى حال كونه مجتمعاً بالعقد حيواناً ، فأبين ما قالوا من أسمائه هو ماء ، معقود ، ثم محلول ، ثم معقود ؛ إشارة إلى ذلك.

وربما حددوا كل واحد من هذه الثلاثة بحدٍ فى رموزهم ، وأطلقوا عليه جميع التدابير فى جميع الأشياء تعميةً على الجهال ، وإشارةً إلى العقار(٢٨٢) كقولهم خذ العقار الفلانى اسحقه بين مسحقة وفهّر(٢٨٣) ثلاث أيام ، أو يوم وليله ، أو سبعة أيام ، ونحو ذلك ، فقد كنوا عن جده المعمول المفعول(٢٨٤) : بالمسحقة ، وعن روحه الفاعل : بالفهر ، وعن نفسه الصابغة : بالدواء المجموع بينهما إلى ما يصل إليه من اللطافة ، فافهم ذلك واعرفه . وعن الحل بالمدة(٢٨٥) .

فهذه الأشارة إلى حال كون الحجر معدناً . ثم يقولون اكفته من المسحقة إلى إنائك ، وأطبق عليه بغطاءٍ محكم وصاعده مرة أو مراراً حتى يبيض فإذا كان الغد فافتحه تجده كذا وكذا ، فقد كنوا عن جسده بالآثال(٢٨٦) ، وعن روحه بالغطاء عن نفسه بالدواء الحاصل بينهما وأخبروا عن المدة بالفتح .

وهذه الإشارة إلى حال كون الحجر نباتاً ثم يقولون : هذه من الآثال اجعله من قد حين محكمين وشمعه حتى يخل ثم ينعقد جواهراً أحمراً

---

(٢٨٢) فى النسخة (ك) : العقال .

(٢٨٣) حجر رقيق تسحق به الأدوية .

(٢٨٤) فى النسخة (ك) : الموجود .

(٢٨٥) فى النسخة (ك) : العرق بالجد .

(٢٨٦) والأثال : شيء من آلات القوم يعمل من زجاج أو فخار على هيئة الطبق المكعب. [مفاتيح العلوم ، للخوارزمى ص١٤٦] .

ونحو ذلك ، ويقولون خذ من الآثال اجعله فى زجاجة وادفنه فى رمل سبعة أيام وأربعين يوماً ونحو ذلك من المدة ، ثم أخرجه واعقده على نار لينة ينعقد حجرا أحمراً فاطرحه على كذا وكذا يكون منه كذا وكذا . فقد أخبروك عن كونه حيواناً تام العقل بتدبيره من شيء واحد كما ذكرت لك أولا .

ومثل ذلك قولهم : خذ البيض كَلسْهُ كلساً[(٢٨٧)] ناعماً إشاروا إلى الحجر معدنا ، ثم يقولون حل له زلال البيض نصفه حل من الحلولات حتى ينحل ماءًا رائقاً أبيضاً ، وخذ الصفرة على معزل فاجعلها أيضاً بكذا وكذا حتى ينحل ماء أحمر .

فقد أشاروا إلى كون الحجر نباتاً عند حل الروح والنفس ، ثم يقولون : عقد الكلس الناعم البياض إن أردت إكسير الفضة[(٢٨٨)] ، وإن أردت إكسير الذهب ، فاعقده بالصفرة .

فقد أخبروا أيضاً عن كونه حيواناً تام الفعل ، فاعلم ذلك . ومثل ذلك قولهم خذ الشعر فاغسله ناعماً وقصه واحشه فى قرعة[(٢٨٩)] إلى ثلثها يعنون بذلك كون الحجر معدناً ، ثم يقولون : استقطرته[(٢٩٠)] بقطر منه ماءًا أبيض فاعزله ، ثم يقولون : أدِمْ التقطير حتى يقطر ماء أحمر فاعزله . وفى ذلك إشارة إلى كون الحجر نباتاً عند حل الروح والنفس ثم خذ التفل الباقى فى

---

(٢٨٧) التكليس : أن يجعل جسد فى كيزان مطينة ، ويجعل فى النار حتى يصير مثل الدقيق [المرجع السابق ص١٥٠] .

(٢٨٨) إكسير الفضة أو الذهب : ملح الفضة ، والذهب .

(٢٨٩) آلة يصنع فيها ماء الورد ، من آلات التدبير .[مفاتيح العلوم ، للخوارزمى ص١٤٦].

(٢٩٠) التقطير : هو مثل صنعة ماء الورد ، وهو أن يوضع الشيء فى القرع تحته فيصعد ماؤه. [المرجع السابق ص١٤٩] .

أسفل القرعة يعنون الجسد فشمعه بالماء الأبيض إذا أردت إكسير الفضة ، وإذا أردت إكسير الذهب فشمعه بالماء الأحمر .ثم اطرحه على كذا وكذا يكون ذهباً وفى هذا إشارة إلى بلوغه حيواناً .

وعلى هذا المعنى يذكرون فى تدبير هذا الحجر الواحد ما أرادوا من كل شيء من الجواهر ، وكل تدبير من التدابير فى رمزهم ، فاعلم ذلك وافهمه وأحسن ما يقولون عليه اسم البيضة لكونها حيواناً ، ولكن جسدها وروحها ونفسها مشاهدة عند العامة ولم يبق إلا ما تفعل الطبيعة فيها . قال الأندلسى فى شذوره الذهبية :

هو الطائر السهل المرام وقوعه	إلى من ألى ألوانه يتصابا
أبو بيضة ضمت طبائع أربعا	علت أن تُرى فى مثله وتصابا
ثراً وهواء يشبه الشمع جامداً	وماءاً أو ناراً كالرصاص مذابا
ومن وصفها فافطن لها إن مخها	متى يلق فى النار اللطيفة ذابا
وإن يدن من أدنى الحرارة ماؤها	يحلل من لطفٍ فصار شرابا
وإن ذُرَّ بعد الحرق فى الماء قشرها	ويدعى به الصبغ الرفيع أجابا

قوله : (أبو بيضةٍ ضمت طبائع أربعاً) : إشارة إلى كون الحجر معدناً له ؛ لأنه كالبيضة التى فيها أربع طبائع ذكرين وانثيين وهو قوله :(ثراء وهواء يشبه الشمع جامداً) يعنى أن الهواء ذكر الأرض (وماءً وناراً كالرصاص مذاباً) : يعنى أن النار ذكر الماء وفى بيضة العامة مثل هذه ألاترى أنك إذ أصبيت المحّ والزلال من البيضة كانا ما يعين ، فهما كالماء والنار ، وتبقى القشرة الغليظة وفى باطنها قشرة رقيقة فهما كالأرض والهواء، ثم أشار إلى تدبير بقوله :

ومن وصفها فافطن لها إن محّها متى يلق فى النار اللطيفة ذابا . يعنى أن نار الطبيعة إذا وقعت فى الهواء تحرك وانحل فيهم بالاحتراق فتشبث

بالماء فتدخل النار فى الماء بواسطة الهواء وهو قوله :

وإن يدن من أدنى الحواره ماؤها　　　يحلل من لطفٍ فصار شراباً

وهذا عند اجتماع النفس والروح وإحلال الحجر وكونه نباتاً ، وقوله :

وإن ذُرَّ بعد الحرق فى الماء قشرها　　　وترعى به فى الصبح الرفيع أجابا

يعنى أن الروح والنفس إذا اجتمعا بالجسد عند التشميع وانعقدا به وقع الصِّبغ المطلوب ، وهذا حال كونه حيواناً . فافهم هذه الإشارة الحسنة فى تدبير البيضة ؛ أعنى بيضة الحكماء لا بيضة العامة التى ضل بها كثير من الجهال .

واعلم أن هذا الحيوان الذى إليه الانتهاء عند التدبير ، ليس هو حد العمل المطلوب ؛ وإنما هو موضع الميزان ، وعبارة حد العمل الأول ، كما أعلمتك قبل هذا ، فإذا اوصلوا إليه دبَّروه ثانياً وثالثاً ورابعاً كل عمل فيه معدن ونبات وحيوان ، حتى يبلغوا فى العمل إلى مالا نهاية له .

قال ذو النون : فى الحجر الواحد ، الذى هو من ثلاثة : معادن ، ونبات ، وحيوان بيت حتى إذا عاودتها ثلاثاً ، لم تخش من أفعالها إنكاثا(٢٩١) .

يعنى أن من عرف تدبر الحجر الواحد فقد عرف تدبر الأربعة كلها . ثم قال أيضاً ، فى كون الحجر يزيد بلا نهاية كلما دُبِّرا زاد فقال :

وكلما عاودتها وزدتها　　　جاءت لعمرى فوق ما أردتها

فإذا علمت أن حيوانهم هو موضع التركيب ، وأنهم يكنُّون بذلك عن تركيب واحد وأنه يزيد بلا نهاية .

---

(٢٩١) نقضاً . يقال نَكَثَ العهد أو البيع : نقضه ونبذه .

فاعلم أن الأعمال أربعة تراكيب ؛ الأول : منها ما قدمت لك ذكره ؛ أنه فى النسبة الطبيعية كتركيب الطبائع المفردات ، الذى هو المزاج الأول البسيط ، ويكون الإكسير هاهنا فى النسبة الطبيعية كطبيعة الأرض التى هى أكثف الطبائع ؛ لأن القوة الفاعلة فيه ضعيفة إذا لم يجتمع معها من الحرارة والقوة الفاعلة إلا مثلها . والثانى : من الأعمال فى النسبة الطبيعية كطبيعة الماء ، الذى هو ألطف من الأرض ؛ وذلك لأن الطبيعة الفاعلة قد اكتسبت مثلها ، وهو جزآن إلى جزئين فصارت أربعة أجزاء . والثالث : من الأعمال فى النسبة كطبيعة الهواء الذى هو ألطف من الماء ؛ ذلك لأن الطبيعة الفاعلة قد اكتسبت فى التدبير مثلها ، وهو أربعة أجزاء إلى أربعة متقدمة فصارت ثمانية أجزاء . والرابع : من الأعمال فى النسبة كطبيعة النار التى هى ألطف الطبائع وأعلى العناصر ؛ وذلك لأن الطبيعة الفاعلة قد اكتسبت مثلها ، وهو ثمانية أجزاء إلى ثمانية متقدمة فصارت ستة عشر قوة من القوى الفاعلة ، وهو اجتماع ما كان ناقصاً من قوى الإكسير وميزان الطبيعة التى كانت فى الأصل ستة عشر جزءاً ولم يبق منها إلا جزء واحد كما قدمناه .

وإلى هذا المعنى أشار الحكيم الفاضل : جابر بن حيان(٢٩٢) فى بعض رموزه المفيدة فقال : باب أوزان زحل :

اعلم أن زحل له فى الدرجة الأولى ألِف ، وفى الدرجة الثانية يا ، وفى الدرجة الثالثة دال ، وفى الدرجة الرابعة خاء . ثم قال : تفسير ذلك أى تدبيره: زحل خذه واطرحه فى الدواء(٢٩٣) ، ثم اطرحه فى الدواء مرتين ثم اطرحه فى الدواء أربع مرات ثم اطرحه فى الدواء ثمان مرات ، ثم قال

---

(٢٩٢) جابر بن حيان ؛ من علماء الكيمياء العرب عاش فى الكوفة ، واتصل بالبرامكة . من مؤلفاته : أسرار الكيمياء ، وأصول الكيمياء ، وعلم الهيئة . ت [٨١٥] . [الأعلام ٢/٣٢] .

(٢٩٣) فى النسخة (ك) : الداء .

وحق سيدى رسول الله ﷺ أن هذا خير" لك من الدنيا وما عليها . وما عنا بذلك إلا ما ذكرت لك من زيادة القوة الفاعلة جزءاً في التركيب الأول الذى هو الجزء الأصلى الذى فيه ، وجزءين فى التركيب الثانى إلى ما اجتمع فيه ، وأربعة أجزاء فى التركيب الثالث إلى ما أجتمع فيه ، وثمانية فى التركيب الرابع إلى ما اجتمع فيه ؛ حتى صار الدواء المجتمع من القوة الفاعلة ستّة عشر جزءاً . فافهم هذا ، فهذا كاف فى حد تراكيب الإكسير .

فإذا وصل الإكسير إلى هاهنا كان كاملاً فى نفسه لا غير ، ولم يكن له أن يكون ذهباً ولا فضة ، ولا إذا ألقى على جسده الذى عُمل منه أيضاً ؛ يكون الإكسير فقط ، بل يقلب ما وقع عليه مما دون الذهب ذهباً عند الإلقاء على الأجساد الذهبية الذائبة فى النار لا غير ؛ لأنها تصير عند الذوب فى النار حارة رطبة قابلة بطبيعة الحياة الفاعلة . وذلك لظهور الروح التى تخرج تقابل النار عن جسدها حين السبك .فإذا وقعت الروح الفاعلة على الروح المنفعلة النوعية ذهبت العلة العرضية فى الفور والسرعة ، وذلك حين ظهرت وتفرقت فى الجسد الذائب بعد كمونها . فأصابها الداء فانجح بعد تمام فعله الناهج[(٢٩٤)] ، فاعلم ذلك .

وهذا الالقاء هو من تمام العمل لأن الإكسير حين يكمل عمله فى نفسه؛ يكون مثله كمثل الأرواح التى صعدت حين الموت عند انقضاء الدنيا بالنفخة الأولى بعد المزاج الرابع ، الذى هو التركيب الثالث كما قدمنا ذكره فى خلق الدنيا ، فتصير الأجساد المعتلة كالأجسام التى فنيت ، فإذا وقع فيها الإكسير الذى هو روحها الأصلى أحياها حياة أبدية ؛ وذلك لكمال التركيب الرابع فيه الذى هو المزاج الكامل من خمسة أمزجة . أحدها : بسيط منفرد ببساطته ، وأربعة مركبة عليه ، كما قدمنا فى أصل خلق الدنيا الصائرة إلى الآخرة

---

(٢٩٤) أى : الواضح ، والظاهر .

وكما تصير الأجساد حية خالدة البقاء في دار الآخرة . كذلك يصير الجسد الملقى عليه أيضا ذهباً خالصاً لا يستحيل ولا يتغير ولا يفنى عليه صبغه البتّة.

وفى هذا القياس أكبر دليل وبرهان على هذه الصفة الشريفة وحجة على من أنكرها وقال : إنها تتغير وتستحيل بعد مدّة ، وجهل غرائب علمها وعملها .

والصحيح ما ذكرناه من السر البديع والمعنى الرفيع وفى تحصيل هذه الصفة ؛ التى هى قوام الدّين والدنيا ، والفوز بنعيم الآخرة والأولى وذلك عند من هدى فاهتدى ووفقه الله إلى الطريق الأسنى ، ففاز بالمطلب الأعلى ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ واللَّهِ ذو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ**﴾ [الجمعة : ٤] .

فهذا ما أوردناه من علم الكيمياء ، وما انتهى إلينا من ذلك والله أعلم وأحكم .

الفصل الثالث

فى

علـــم السـيمياء

اعلم هداك الله تعالى أن السيمياء(٢٩٥) من أجل علوم الطبيعة وأشرفها.

فالسيمياء : عبارة عن تأليف اسم ، أو اسمين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، ونحو ذلك مما اجتمع من حروف وأودع الله فيها سر اسمه العظيم الأعظم ، واشتملت عليه الطبائع الأربع . فإذا نقشها قلم الإرادة والتوفيق وفقا مركبا فى قلب قابل ؛ كان ذلك رصدا لمن وفق له ، متى جري الى مطلوب الفعل أسرع من لمح البصر بقدرة من يقول للشئ ﴿**كن فيكون**﴾ .

ومن ذلك ، ما يستخدم به جميع الروحانيات العلويات والسفليات ، وهو ما ألفته يد القدرة الربانية ، بصنعة الطبيعة المفعولة فى رصد مفعول سفلى مجتمع من أحرف وكلام يشتمل على أشياء يسيرة نفيسة الذات ، والصفات ، والأفعال إلى مطلوب من المطالب ، فتتحرك إليه الطبيعة الفاعلة العلوية بما حركتها يد القدرة الربانية ، وأودعتها فى فاعل علوى روحانى مناسب لذلك الرصد السفلى فى الذات والصفات والأفعال ، كمناسبة الروح للجسد ؛ فيتولد من بينهما نتيجة وهو نفس الشئ المطلوب الجامعة لذلك الروحانى والجسمانى، فيتصل فعل الروحانى بالجسمانى كاتصال الروح بالجسد بواسطة النفس ، فيحصل لها المطلوب للفور والسرعة بما وقفت عليه الحركة والإشارة عند الضمير المطلوب للفور والسرعة ، والله أعلم .

---

(٢٩٥) السيمياء : وهو المسمى بعلم أسرار الحروف . قال ابن خلدون : حدث هذا العلم فى الملة بعد صدر منها ، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم ، والتصرفات فى عالم العناصر ، وتدوين الكتب والاصطلاحات . وزعموا أن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء ، فهى سارية فى الأكوان على هذا النظام ، والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل فى أطواره وتعرب عن أسراره ، فحدث لذلك علم أسرار الحروف ، وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله . [مقدمة ابن خلدون ص٩٣٦] .

وقد أودع الله تعالى فى الإنسان نسبة مشيرة إلى هذا العلم كاشفة له بالمعنى الطبيعى ؛ لأن الإنسان محلا للعلوم الطبيعية جميعها ؛ وهى مودعة فيه . وذلك أن الله تعالى جعل الجسد رصدا للروح يطبع فيه بسر الحياة الطبيعية ما أودع الله تعالى فيه بما تحركت به الإرادة الربانية ، وأراد البارى جل جلاله إظهاره من العدم إلى الوجود ، ومن عالم الغيب إلى عالم الشهادة بقوله تعالى ﴿**كن فيكون**﴾ ما أراد الله .

فمتى أراد الله عز وجل إظهار شىء من إرادته فى الإنسان ؛ حرك به الروح أولا فى القلب -كما قدمنا فى موضعه- ثم تلقيه الروح إلى النفس التى فى الدماغ ، والنفس الحساسة جعلها الله واسطة واصلة بين الروح والجسد ، فإذا فهمت النفس تلك الإرادة من الروح بالإلهام الطبيعى المودع فيها ، كما قال الله عز وجل ﴿**ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها**﴾ [الشمس آية: ٧،٨] .جمعت بين الروح والجسد بحركة الحواس ؛ فتحدث الإرادة النفسانية عن الإرادة الربانية ، وينفعل المراد المطلوب من العبد بإرادة علام الغيوب للفور والسرعة كائنا كان بقدرة من يقول للشىء ﴿**كن فيكون**﴾ وفى هذا أكبر إشارة إلى علم السيمياء وعملها ، فاعلم ذلك والله أعلم .

وللسيمياء علم ، وعمل ، ولا يصحان معا إلا من قلب طاهر ، متنزه عن الشك والشرك ، مناسباً للروحانيات ، واستعمال أسماء الله الطاهرات القدسيات. ولا يحصل ذلك للقلب الفاجر ، اللهم إلا أن يشاء الله عز وجل ، فكل شىء بمشيئته وقدرته إنه على كل شئ قدير .

واعلم أن العلم والعمل فى هذا الفن ؛ تارة يكون بالذكر ، وتارة يكون بالرسم والرصد .

أما العلم ، والعمل بالذكر : فهو أن تعلم أن أسماء الله تعالى تشير إلى الصفات بالذات والأفعال بالقوة الفاعلة إلى كل معنى تتعلق به ذوات المخلوقين المفعولين فى ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم ، بنسبة تنتظم فى وفق من وفق لها .

كاسم الجلالة : الذى هو أجل أسماء الله ؛ بل هو الاسم الأعظم البسيط الذى كل أسماء الله راجعة إليه ومعناه : إله الآلهة ، و الإشارة إلى التنزيه عن التسمية به ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم : ٦٥] . والإجلال والتعظيم له . فإذا تمسك به عبد انجذبت إليه جميع المخلوقات بالتعظيم والإجلال والهيبة والدخول تحت المراد منه بالطاعة ، فيصل بذلك إلى أمنيته .

وكالحى القيوم : فإنهما اسمان جليلان ، واسم أعظم فى حق من وفق إلى ذلك المعنى ومعناهما : الإشارة إلى الحياة فى كل شىء ، والقيومية عليه، وحصول المراد منه ، والبركة(٢٩٦) القائمة الدائمة فى كل شىء . والنمو والزيادة فيه لمن تمسك بذلك ، وبلوغ الآمال من كل مطلوب ، والاتصال بكل محبوب .

وكذلك الكبير المتعال : فإنهما اسمان جليلان ، واسمان عظيمان ؛ يشيران إلى علو المرتبة والإحلال والتعظيم والهيبة ، فيجذبان الأشخاص من المخلوقين إلى هذا المعنى بالطاعة للعبد المتمسك بها ونحو ذلك من أسماء الذات ، فاعلم ذلك .

وكذلك أسماء الصفات ؛ كالرحيم والكريم : وخاصيتهما الرحمة العامة الكاملة والكرم الجم العام الكامل ، فهما يقضيان بذلك على الشخص المتمسك بهما . فيرى من فعل الله تعالى بالرحمة والكرم ما يفنى جميع البؤس والضرر للفور والسرعة متى قصد ذلك .

ومثل الكافى : معناه الكفاية والغنى ، ومثله المغنى : ومعناه طلب الغنى من الله عز وجل .

وكذلك الفتاح والرزاق : معناهما فتح ما انسد وانغلق من المطالب ، وتيسير ما تعسر من جميع الأمور ، واستجلاب الرزق للفور والسرعة .

---

(٢٩٦) الفوز وزيادة العطاء والنماء والزيادة والسعادة .

وكذلك الحفيظ : لطلب الحفظ والكلاءة ؛ فى النفس ، والأهل ، والمال، والولد ، وما أحاطت به شفقة المتمسك به عند القصد بالقلب القاصد فيأمن من جميع ما يخاف ويحذر .

وكالجواد والودود : لمن يطلب الجود والود والمحبة والألفة .

وكذلك الكافى والشافى والمعافى : لمن يطلب الشفاء والعافية من جميع الأسقام والبلوى والمكاره والأسواء .

وكذلك اللطيف : معناه اللطف بمن يمسك به ، والرحمة وكشف الأحوال الهائلة المفزعة .

وكذلك الغفور الرحيم : لمن يطلب المغفرة والرحمة .

وكذلك العليم والحكيم والخبير : لمن يطلب العلوم الغامضة الدقيقة الخفية والصنائع الرفيعة ونحو ذلك .

وكذلك القاهر والقوى والمقتدر : لمن يطلب قهر الأعداء والأضداد والقدرة عليهم .

وكذلك الجبار والمتكبر : لمن يطلب قهر الأعداء ، وإلجام المتكبرين والسلامة من شرورهم . وكذلك سائر الأسماء والصفات المشيرات بكل معنى فاعل إلى نسبة معنى منفعل مطلوب أودع الله فيه ذلك السر بهذه الإشارة ، فذلك اسم أعظم فى حق من وفق له هذا على الإطلاق ، فى كل اسم لكل قلب قد صار روحانيا طاهرا من دنس الشك والشرك مناسبا صالحا لصفات الله حيث قال فيه : ((**كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به**))[٢٩٧] . وعلى المشيئة والإرادة من سائر العلوم ، والله أعلم وأحكم .

---

(٢٩٧) تقدم فى هامش(٤٧) من هذا الكتاب .

وأما العلم ، والعمل بالرسم والرصد : فهو أن تعلم أن الطبيعة أصل لجميع العلوم الغامضة الدقيقة . لأن الله عز وجل أودع فى الطبائع الأربع ما يستدل به على حقائق قدرته ، ودقائق علمه وحكمته ، ولو لم يكن من قدره الله تعالى إلا أنه أقام جميع الأجسام المؤتلفات إلى أربع طبائع مختلفات ، لكان كافيا فاعلم ذلك .

ومن ذلك هاهنا أن الكلمات التى تجمع الأسماء ضعيفة الفعل فى حال كونها كلمات ، فهى فى النسبة الطبيعية كطبيعة الأرض التى هى أكثف الطبائع ، فإذا استخرجت منها لطائفها ، وهى الحروف كانت فى النسبة الطبيعية كطبيعة الماء الذى هو ألطف من الأرض ، ثم إذا استخرجت لطائف الحروف وهى بسيطها كان ذلك فى النسبة الطبيعية كطبيعة الهواء الذى هو ألطف من الماء ، ثم إذا استخرجت لطائف ذلك ، وهى أعداد جميع ما حصل من الحروف المفردة المبسوطة بالجمل الكبيرة ؛ كان ذلك فى النسبة كطبيعة النار الفاعلة والمتحركة، التى هى ألطف الطبائع وأعلى العناصر ؛ لأن سر أسماء الله تعالى فى كلماتها ، وسر كلماتها فى حروفها ، وسر حروفها فى بسطها ، وسر بسطها فى أعدادها ، فاعلم ذلك .

فمن نقش اسما من أسماء الله تعالى ، واستعمل ذكره ، وكان ذلك الاسم موافقا لاسمه عددا وحروفا ؛ انفعل له ما ينفعل للاسم الأعظم .

واعلم أن الأرصاد منها ما يكون ذكرا ، ومنها ما يكون كتابة ونقشا .

أما الرصد بالذكر : فإنه إذا دعا به الله تعالى لحصول مطلوب منه باسم من أسمائه ، أو اسمين ، ونحو ذلك مما يناسب ذلك المطلوب فى المعنى والإشارة إلى المشار إليه على نسبة ما خرج من الأعداد ، ويوفق على ما وصفنا فى الشروط المعتبرة فى موضع خال بعد صلاة وطهارة باطن وظاهر، وحضور قلب قابل مقبل؛ حصل المراد من ذلك المطلوب ، فإن كان

المطلوب قصم عدو وإلجامه[٢٩٨] ، أو استكفاً شر أو سكون أذى ، أو دفع مضرة ، ونحو ذلك وصادف سماعه ساعة زحل فى يومها أو ليلتها كان مستجاباً ، وإذا اتفق ذلك فى شرف زحل كان أنجح وأتم ، والله أعلم .

فإن كان المطلوب ؛ دينا ، أو صلاحا ، أو عملا ، أو نجاحا فى أى حاجة كانت من حوائج الدنيا والآخرة وصادف ساعة المشترى ؛ فى يومها أو ليلتها كان مستجابا ،وإن اتفق ذلك فى شرف المشترى كان أنجح وأتم ، والله أعلم .

فإن كان المطلوب ؛ قهر عدو ، أو صرف ظالم ، أو غلبة ضد ، ونحو ذلك، وصادف ساعة المريخ فى يومها ، أو ليلتها كان مستجابا ، وإن اتفق ذلك فى شرف المريخ ؛ كان أنجح وأتم ، والله أعلم .

وإن كان المطلوب ؛ علو مرتبة ، وإعظام ، وإجلال ، وسمع وطاعة وخدمة، ونحو ذلك ، وصادف ساعة الشمس ؛ كان أنجح وأتم ،والله أعلم .

وإن كان المطلوب ؛ زواجاً ، أو شركة ، أو انتظام أمر ، أو عقد محبة من الخالق والخلائق ، أو توبة من ذنب ، أو شراء شيء ، أو اكتساب شيء كان مستجابا ، إذا صادف ساعة الزهرة فى يومها ، أو ليلتها ،وإن اتفق فى شرف الزهرة ؛ كان أنجح وأتم ، والله اعلم .

وإن كان المطلوب ؛ علما غامضا ، أو حكمة ، أو صناعة دقيقة ، أو جليلة، ونحو ذلك ، وصادف ساعة عطارد فى يومها ، أو ليلتها ؛ كان مستجابا ، وإن اتفق ذلك فى شرف عطارد كان أنجح وأتم ، والله اعلم .

وإن كان المطلوب؛ تيسير عسير ،أو فتح أمر مغلق، أو خروجا من هم،

---

(٢٩٨) أى كسره وتدميره .

أو ضيق ، أو مرض ظاهر أو باطن ، ونحو ذلك ، وصادف ساعة القمر في يومها، أو ليلتها ؛ كان مستجابا ، وإن اتفق في ذلك في شرف القمر؛ كان أنجح وأتم ، والله اعلم .

وشرف القمر حلوله في برج الثور في (٣) درجات منه . وشرف عطارد (١٥) درجة في برج السنبلة . وشرف الزهرة في (٢٧) درجة من برج الحوت . وشرف الشمس في (٩) درجات من برج الحمل . وشرف المريخ في (٢٨) درجة من برج الجدى . وشرف المشترى في (١٥) درجة من برج السرطان ، وشرف زحل في (٢١) درجة من برج الميزان ، والله اعلم بغيبه وأحكم .

وأما الرصد بالنقش والكتابة : فإذا نقشت هذه الأعداد المذكورة ، من الأسماء المذكورة ، للأمور المذكورة ، في الساعات المذكورة ، من الأوقات المذكورة ، على الحالة المذكورة في وفق مربع في فص خاتم ، أو صحيفة من جوهر مناسب لكل كوكب ؛ فللشمس: الذهب ، وللقمر : الفضة ، ولزحل: الرصاص الأسود ، وللمشترى : الرصاص الأبيض ، وللمريخ : الحديد ، وللزهرة: النحاس الأحمر ، ولعطارد : الزئبق ملغم بالرصاص .

ويرصد للقمر مربع ثلاثة في ثلاثة ، ولعطارد مربع أربعة في أربعة ، وللزهرة مربع خمسة في خمسة ، وللشمس مربع ستة في ستة ، وللمريخ مربع سبعة في سبعة ، والمشترى مربع ثمانية في ثمانية ، ولزحل مربع تسعة في تسعة ، فأما مربع عشرة في عشرة ؛ فإنه جامع لكل مطلوب واتصال كل محبوب من جميع المطالب . ويقصد له ساعة الشمس وجوهرها للمناسبة إذ الشمس ضياء الوجودين وبها صلاح العالمين : العلوى والسفلى ، والله أعلم .

فإذا اتفق ما ذكرناه من الأرصاد ، لما ذكرناه من المطالب ؛ انفعل به ما ينفعل بالاسم الأعظم ، فإذا أضيفت الحروف إلى الأعداد تكسيرا فى وصف يتفق فيه ضرب الحروف فى مثلها بعد مداخلة الحروف فى مثلها ، وامتزاج طبائعها بعضها فى بعض ، ونقش ذلك فى ظهر تلك الصحيفة أوالخاتم ؛ كان أنجح وأتم ، والله أعلم فهذا ما أردناه من تعريف علم السيمياء(٢٩٩) .

(٢٩٩) انظر : كتاب [مفتاح دار السعادة لابن القيم ص٤٦٨] فإن فيه توضيح هذه المعارف ، والرد عليها بما يشفى الصدور ، ويظهر الحق من الضلال . وأيضاً [المقدمة لابن خلدون ص٩٣٨] .

الفصل الرابع

فى

تقويم الشمس والقمر

أعلم هداك الله تعالى ، أن علم النجوم(٣٠٠) ؛ علم صحيح من أشرف علوم الطبيعة ، لأن علمها علم شريعة منظورة ؛ كتبها الله بيد قدرته ، وأودع فيها ما شاء من علمه وحكمته ، وإنما يكره هذا العلم ؛ لمن اعتقد أن الأمور الكائنة بأفعالها منسوبة إليها فقط ، وأن حَوْلها وقوتها وقدرتها إلى أنفسها ؛ قطعا هذا كفر محض . وأما من اعتقد أن الله هو صانعها ، ومصورها ، ومدبرها ، ومسخرها ، ومجريها على ما يشاء من مشيئته ، وأنها تجرى فى أفعالها بقوة مخلوقة للخير والشر ، كما تجرى أفعال النفس من طاعة ومعصية ؛ إذ الله عز وجل خالق كل شئ بقدرته ﴿لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسئَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . ولابد من ظهور ما كان سابقا فى علمه ولا معقب لأمره ، ولاشريك له فى تدبير ملكه، ولا راد لما قضى إلا لما محا وأثبت من ذلك .

فإن هذا هو علم أهل التحقيق فى هذا الطريق ، ومن اعتقد غير ذلك فقد أشرك ، وقد تركنا من هذا علم الضمائر ونحوها ؛ لأجل ما ذكرناه مما يؤدى إلى الإثم ، ويفنى الأفكار ويطول شرحه بطول الأعمار ، وربما انتقض كما ذكرناه بقوله تعالى ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد :٣٩] . لكن قد وعدنا أن نجيء منه بما يوافق الشرع الشريف ويليق بهذا المختصر المبارك ، ولا ينبغي لعاقل تركه أبدا وهو تقويم الشمس والقمر ومعرفة حلولهما فى الأبراج والمنازل ، ومعرفة فصول السنة الأربعة والمواقيت الشرعيات ، وساعات الليل والنهار فهذا مما يتعلق بالشرع الشريف ويحتاج إليه كل إنسان ضرورة ؛ بل هو مندوب إليه ضرورة

---

(٣٠٠) علم النجوم : يسمى بالعربية التنجيم ، وباليونانية اصطرنوميا : واصطر هو النجم ونوميا هو العلم . ويقصد به : النظر فى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها .[مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٢٢ ، القاموس المحيط ، مادة (نجم)] .

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والقَمَرَ نُوراً وَقَدَّره مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِنِّينَ والحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إلاَّ بِالحَقِ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَومٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس :٥]. وقال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيلَ وَالنَّهَارَ ءايتَين فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النهَّارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ وَكُلَّ شَىءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء:١٢] . فهذا الذى ينبغى من علم النجوم فاعرفه ، تُصِب إن شاء الله تعالى .

جملة أيام السنة الرومية : ثلاثمائة وخمسة وستون يوما .

وشهورها اثنى عشر شهرا وهى : تشرين الأول (٣١) يوما . تشرين الثانى (٣٠) يوما . كانون الأول (٣١) يوما . كانون الثانى (٣١) يوما . شباط (٢٨) يوما . آذار (٣١) يوما . نيسان (٣٠) يوما . آيار (٣١) يوما. حزيران (٣٠) يوما. تموز (٣١) آب (٣١) أيلول (٣٠) يوما .

والسنة أربعة فصول :

فصل الخريف : أحد وتسعون يوما وربع يوم ، له من البروج ثلاثة: الميزان ، والعقرب ، والقوس . وله من المنازل سبعة : الغفر[٣٠١] ، الزّبانى[٣٠٢] ، والإكيل[٣٠٣] ، والقلب[٣٠٤] ،

---

(٣٠١) ثلاث أنجم صغار ينزلها القمر وهى من الميزان .الأزمنة والأمكنة للأصفهانى ص٢٣١] .

(٣٠٢) سُمى زبانى العرب ، وهى قرناها ، كوكبان وهو مأخوذ من الزّبن وهو الدفع . [المرجع السابق ص٢٣١] .

(٣٠٣) هى ثلاثة كواكب مصطفة على رأس العقرب ولذلك سميت وكأنه من التّكلل وهو الإحاطة .[المرجع السابق ص٢٣١] .

(٣٠٤) وهو كوكب أحمر نيّر سُمّى القلب لأنّه فى قلب العقرب .[المرجع السابق ص٢٣١] .

والشّـولة[٣٠٥] ، والنّعـائم[٣٠٦] ، والبلـدة[٣٠٧] ، ولكـل بـرج منزلتـان وثلـث ، وتحل الشمس فى كل برج ثلاثين يوماً وثلث يوم وزيـادة شـىء قليـل ، وتحـل فى كل منزلة ثلاثة عشر يوماً وزيادة شىء قليل على الترتيب .

فصل الشتاء : أحد وتسعون يوما وربع يـوم ، لـه مـن البـروج ثلاثـة : الجدى، والدلو ، والحوت ، وله من المنازل سبع : سـعد الذابـح[٣٠٨] ، وسـعد بلـع[٣٠٩] ، وسـعد السّـعود[٣١٠] ، وســعد الأخبيــة[٣١١] ، والمقــدم[٣١٢] ، والمؤخر، وبطن الحوت . لكل برج منزلتـان وثلـث ، تحـل الشـمس فـى كـل برج ثلاثون يوما وثلث يوم وزيادة قليل .

---

(٣٠٥) سُمّيت بذلك لأنها ذنب العقرب . وذنب العقرب شايل أبداً ، وأهل الحجاز يُسمّون الشوله : الإبرة .[المرجع السابق ص٢٣١] .

(٣٠٦) هى ثمانية كواكب ، أربعة منها فـى المجرّة تُسمّى الـواردة ؛ لأنهـا شـرعت فـى المجرة كأنها تشرب ؛ وأربعة خارجة منها تسمى الصّادرة ، وإنما سميت نعائم تشـبهاً بالخشبات التى تكون على البئر أو تحت مظلة الرئية .[المصدر السابق ص٢٣٢].

(٣٠٧) هى مزْجه بين النّعائم –وبين سعد الذّابح– وهو موضـع خال ليس فيه كوكب وإنمـا سُمّيت بلـدة تشبهاً بالفرجـة التـى تكـون بيـن الحـاجبين اللذيـن همـا غير مقرونيــن . [المرجع السابق ص٢٣٢] .

(٣٠٨) فى النسخة (أ) : الذالد .وسُمّى بذلك لكوكب بين يديه يقال : هـو شـاته التـى تذبـح [الأزمنة والأمكنة ص٢٣٣] .

(٣٠٩) وسُمّى بذلك لأن الذابح معه كوكب بمنزلة شاته وهذا لا كوكب معه فكأنه قد بلـع شاته . وقيل سُمّى بذلك لأن صورته صورة فم فتح ليبلع .[المصدر السابق] .

(٣١٠) وسمى بذلـك لأن فـى وقـت طلوعـه إبتـداء مـا بـه يعيشــون وتعيـش مواشـيهم . [المصدر السابق] .

(٣١١) وسمى بذلك لكوكب فى كواكبها على صورة الخباء .[نفس المصدر السابق] .

(٣١٢) وسُمّى فرغ الدّلو ؛ لأن فى وقت الأمطار تأتى كثيرة فكأنه فرغ دلو وهـو مصـب مائها .[المصدر السابق] .

فصل الربيع : أحد وتسعون يوما وربع يوم ، له من البروج ثلاث : الحمل والثور والجوزاء ، وله من المنازل سبع السرطان[٣١٣] ، والبطين[٣١٤] ، والثّريا[٣١٥] ، والدّبران[٣١٦] ، والهقعة[٣١٧] ، والهنعة[٣١٨] ، والذراع[٣١٩] ، ولكل برج منزلتان وثلث ، وتحل الشمس فى كل برج ثلاثون يوما وثلث يوم وزيادة شيء قليل .

فصل الصيف: أحد وتسعون يوما وربع يوم ، له من البروج ثلاثة السرطان والأسد والسنبلة، وله من المنازل سبع :النثّرة[٣٢٠] ، والطّرف[٣٢١] ،

---

(٣١٣) وسُمّى بذلك لأنه كالعلامة . أى سقوطه علامة ابتداء المطر ، والشرط العلامة . [المصدر السابق ص٢٣٤] .

(٣١٤) وسُمّى بذلك لأنه بطن الحمل ونوؤه ثلاث ليال وهو تنَزُ الأنواء وأنزرها . [المصدر السابق ص٢٣٤] .

(٣١٥) ويسمى النجم والنظم وهو تصغير : ثوى من الكثرة وقيل : سميت بذلك لأن مطرها يثرى . [المصدر السابق ص٢٣٤] .

(٣١٦) ويسمى أيضاً التّابع والتّانى والتّبع والفتيق ، وسُمّى الدبران لأنه دبر الثريا أى صار خلفها .[المصدر السابق ص٢٣٤] .

(٣١٧) وسميت بذلك لتقاصرها من الهقعة والذراع المبسوطة وهى بينهما منحطة عنهما ، وهى المنزل السادس للقمر .[المصدر السابق ص٢٣٥] .

(٣١٨) وسميت بذلك تشبيهاً بهقعة الدّابة : وهى دائرة تكون على رجل الفارس فى جنب. وهى المنزل الخامس للقمر .[المصدر السابق] .

(٣١٩) ذراع الأسد ، وله ذراعان مقبوضة ومبسوطة ونوؤها خمس ليالٍ وقيل ثلاث ليالٍ. [المصدر السابق] .

(٣٢٠) وهى ثلاثة كواكب وسميت النثرة : لأنها مخطة يمخطها الأسد كأنها قطعة سحاب ونوؤها سبع ليالٍ [المصدر السابق].

(٣٢١) سميت بذلك لأنها عينا الأسد يقال : طرف فلان : أى رفع طرفه فنظر ونوؤه ثلاث ليالٍ .[المصدر السابق ص ٢٣٦] .

والجبهة[٣٢٢] ، والزّبرة[٣٢٣] ، والصرفة[٣٢٤] ، والعّوا[٣٢٥] ، والسّماك[٣٢٦] ، لكل برج منزلتان وثلث ، تحل الشمس فى كل برج ثلاثون يوما وثلث يوم وزيادة شىء قليل ، وتحل فى كل منزلة ثلاثة عشر يوماً وزيادة شىء قليل .

وجملة السنة العربية : ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما ، شهر المحرم ثلاثون يوما ، أولها وشهر صفر تسعة وعشرون يوما وهكذا إلى شهر الحجة تعد شهرا وافيا وشهرا ناقصا ؛ فعلى هذا يكون الزيادة والنقصان بين السنة الرومانية والسنة العربية أحد عشر يوما ؛ وتسمى أيام البين ، وعليها العمل ، وبها يخرج الحساب عند الضرب متقنا .

فإذا أردت العمل والعلم أين الشمس ؟ فى أى برج أو منزلة ، وتعلم فى أى فصل أنت . وكم قطعت فى سيرها أياما فى جميع ذلك فاطرح من سنى الهجرة المئين والسنة المنكسرة التى أنت فيها واضرب ما بقى من السنة المنكسرة فى أحد عشر ؛ وهى أيام البين فما بلغ ؛ نظر فإن كان أقل من سنة رومية وإلا فاطرح منه عدد السنين الرومية ، حتى يصير أقل من سنة رومية فحينئذ تنظر عددا تكمله سنة رومية ، فهذه التكملة هى المراد والمطلوب

---

(٣٢٢) جبهة الأسد ونوؤه محمود سبع ليالٍ .

(٣٢٣) زبرة الأسد أى كاهله . وقيل : زبرته شعرته الذى يزبئر عند الغضب فى قفاه : أى ينتعش ونوؤها أربع ليالٍ .

(٣٢٤) وسميت بذلك لأن البرد ينصرف بسقوطها . ويقال : الصرفة ناب الدّهر وهو ثلاث ليالٍ .[الأزمنة والأمكنة للأصفهانى ص٢٣٦] .

(٣٢٥) سميت بذلك للإنعطاف والالتواء الذى فيها : وقيل : إنما سميت العّوا لأنها خمسة كواكب كأنها خمسة كلاب تعوى خلف الأسد ونوؤها ليلة .[المصدر السابق ص٢٣٠] .

(٣٢٦) وسُمّى الأعزل لأن السماك الأخر يُسّمى رامحاً لكوكب تقدمه ، وقيل سمى أعزل: لأن القمر لا ينزل به .[المصدر السابق ص ٢٣٠] .

وعليها مدار العمل ، وهو أن تضيف إليها ما دخل من أيام السنة العربية المنكسرة التى أنت فيها شهرا وافيا، وشهرا ناقصا ، كما قدمنا ، فما بلغ زدت عليه أربعة أصلا وهى الطبائع الأربع ، فما اجتمع نظرت ، فإن كان أقل من سنة رومية ، وإلا فاطرح منه السنين الرومية، حتى تصير أقل من سنة رومية ، ثم اقسم حينئذ على الفصول الأربعة ، وابدأ بالخريف واجعل له اثنين وتسعين يوما ، هذا على التقريب للمبتدى لأجل الزيادات التى ذكرناها ، ثم اجعل لكل فصل غيره أحد وتسعين يوما إلا إذا كانت السنة المنكسرة كبيسة ، وهى كل سنة لها ربع صحيح من عدد السنين فى المائة المنكسرة ، مثل أربع وثمان ، واثنى عشر وثمانين ، وأربع وثمانين ، ونحو ذلك .

فإذا حسبت وقسمت على الفصول ؛ فاجعل لكل فصل أحد وتسعين للخريف وغيره ، والبداية بالخريف ؛ فحيث انتهى بك الحساب ونفذ العدد فأنت فى ذلك الفصل ، وقد سارت الشمس فيه بقدر ما بقى معك من أيام ، ثم اعرف أين أنت ، ومن أى برج من بروج ذلك الفصل ، وفى أى منزلة أنت ، وكم قطعت الشمس فى سيرها ؛ فحيث وقف بك الحساب فأنت فى ذلك البرج فى تلك المنزلة بعينها ، وقد سارت فيها بقدر ما بقى فى يدك من العدد ، فهذا أصل ضابط لا يتغير ، والله أعلم .

مثال ذلك : أن يكون الإنسان فى آخر يوم من شهر صفر ، أحد الشهور لسنة سبع وثمانين وسبعمائة ؛ فتضرب ستة وثمانين فى إحدى عشر يصح لك من ضربها هذا العدد ، وهو تسعمائة وستة وأربعون ، فاطرح منه سنتين روميتين وهما سبعمائة وثلاثون يوما ؛ يبقى معك هذا العدد ؛ وهو مائتان وستة عشر، وذلك أقل من سنة رومية ، فإذا كملته سنة رومية وجدت التكملة، وهى مائة وتسعة وأربعون ، فإذا أضيف إلى ذلك ثلاثون يوما لشهر المحرم وتسعة وعشرون يوما لصفر من السنة المنكسرة التى أنت فيها

صار الجميع مائتان وثمانية ، فإذا أضيف إليهما الأربعة التى ذكرناها أصلا صار الجميع مائتان واثنى عشر ، فإذا طرحت منها لفصل الخريف اثنين وتسعين يوما ، وللشتاء أحد وتسعين يوما بقى فى يدك العدد ، وهو تسعة وعشرون يوما ، وهى التى دخلت فى فصل الربيع وفى برج الحمل وقد قطعت الشمس من هذا البرج النطح والبطين ستة وعشرون يوما ، وبقى ثلاثة أيام هى التى دخلت فى الثريا ، فهذا الذى هو أصل ضابط علم حساب تقويم أهل الروم .

وأما حساب العرب : فهو على هذا ؛ إلا أنهم ينقصون أحد عشرا يوما مما بقى من الحساب المتقدم قبل أن يطرحون على الفصول ، فتجد الشمس فى حسابهم فى البطين ، وقد قطعت فيه خمسة أيام ، ومن أجل هذا الحساب تجد ابتداء المنزلة الطالعة على حساب العرب وقت طلوعها ، وأما على حساب الروم ، فيكون انفضاؤها وقت ظهورها . فهذا تقويم الشمس فى جميع الزمان ، فقس عليه ما تجده أصلا ضابطا ، والله أعلم .

وأما تقويم الشهور : فإذا أردت أن تعلم فى أى شهر أنت من شهور الروم ، وكم صار فيه من الأيام ، فاحسب ما وصفت لك من حساب الشمس حتى تجيء إلى التكملة وتضيف إليها ما دخل من أيام السنة العربية ، التى أنت فيها شهرا وافيا وشهرا ناقصا ، كما تقدم ، فما بلغ معك فلا ترد عليه الأربعة التى ذكرناها أصلا ، ولكن ينقص مما اجتمع ستة عشرا أصلاً ، وهى مضروب الطبائع الأربع فى مثلها ، ثم انظر ما بقى معك إن كان أقل من سنة رومية وإلا طرحته حتى يصير الباقى منه أقل من سنة رومية فما بقى بدأت به من تشرين الأول ، وإذا كانت السنة المنكسرة كبيسة فاجعل الشباط تسعة وعشرين يوما فحيث انتهى بك الحساب فأنت فى ذلك الشهر الرومى بعينه ، وقد صار فيه من الأيام بقدر ما بقى معك من العدد والله أعلم.

مثال ذلك : أن يكون الإنسان فى آخر يوم من صفر آخر شهور سنة

سبع وثمانين وسبعمائة ، كما ذكرنا فى الشمس ، فإذا انتهت إلى التكملة وهى (١٥٩) كما قدمنا ، ثم زدت عليها ما دخل معك من شهر المحرم وصفر ، كما وصفنا وصار الجميع (٢١٨) ثم لم تزد الأربعة ، ولكن نقصت من الذى معك ستة عشر بقى هذا العدد وهو مائة واثنان وتسعون ، فتطرح مائة واثنين وثمانين بقى ستة أشهر رومية وهى : تشرين ، وتشرين ، وكانون ، وكانون، وشباط ، وآذار ، ويبقى فى يدك عشرون يوماً وهى التى بقيت فى نيسان .

والدليل على ذلك : أن الشمس تحل الحمل يوم ثالث عشر من آذار ، فنجدها قد قطعت فيه تسعة عشر يوما من اليوم الثالث عشر إلى يوم الحادى والثلاثين ، وهذه العشرون يوما والتسعة عشر هى التى ذكرنا أنها فى الحمل تسعة وثلاثين ، كما قدمنا ، من حلول الشمس فيه . فهذا أصل ضابط فى جميع شهور الروم فقس عليه جميع ما يرد عليك من الحساب ؛ تصب إن شاء الله تعالى .

وأما الشهر العربى : فإذا أردت أن تعلم أوله فأطرحه من سنى الهجرة المئين والسنة المنكسرة التى أنت فيها ، وقد عدد السنين المنارة التى أنت فيها فإذا أردت حساب الروم أضفت إلى ذلك أربعة أصلا ، وإن أردت حساب العرب أضفت ستة أصلا ، ثم اطرح الجميع من سبعة وسبعين من ، أى الحسابين ، فلابد أن يبقى معك سبعة أو دون سبعة من أى الحسابين شئت .

فانظر ذلك فى أول هذا الجدول ، كما سأضعه لك ، ثم ضع يدك اليمنى على أى شهر شئت أوله ، وأصبعك اليسرى على العدد الذى بقى معك ، فإنه مصور فى أول الجدول ثم مر بأصبعك حتى تجمعها فى بيت فيه يوم من الأيام مكتوب ، فهو أول يوم من ذلك الشهر الذى أردته ، فهذا أصل ضابط لا يتغير ، ومعمول به صحيح مجرب ، وهذا الجدول المذكور كما ترى فافهم.

العدد	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
محرم	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء
صفر	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة
ربيع	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت
ربيع	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين
جماد	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء
جماد	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس
رجب	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة
شعبان	الخميس	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد
رمضان	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين
شوال	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء
القعدة	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت	الأربعاء	الأحد	الخميس
الحجة	الأربعاء	الأحد	الخميس	الاثنين	الجمعة	الثلاثاء	السبت

والفرق بين الروم والعرب فى هذا : أن العرب لا يحكمون على أوله إلا بالرؤية ، وهذا موافق للشرع . وأما الروم ؛ فإذا قد خرج عن الشمس وتميز بأيسر قدر حكموا على أوله ولو لم يرى ؛ فلهذا يقولون : أول الشهر يوم فلان ولا يرى، وتارة يقولون أول الشهر يوم كذا وكذا ويُرى ، فعند العرب الرؤية ، وربما اتفق الحسابان فيكون الحكم على ما وصفناه من حساب العرب ، فافهم ذلك تصب إن شاء الله تعالى .

وأيضا إذا أردت أن تعلم أين القمر : فى أى منزلة هـو ، فـاعرف أولا فصول الشهر الثلاثة ، الفصل الأول : من أولـه إلـى ثـالث عشـر ، والفصـل الثانى : من يوم رابع عشر إلى يوم السادس وعشرين ، والفصل الثالث : مـن يوم السابع وعشرين إلى آخر الشهر .

فإذا عرفت ذلك ، فانظر اليوم الذى أنت فيه من ذلـك الشـهر ، فـى أى فصل هو وكم قد صار فى ذلك الفصل من الأيام ، وقابل بينه وبين ما قطعـت الشمس من الأيام فى المنزلة التى هى فيها على حسـاب العـرب ، كمـا قدمـت لك فى تقويم الشمس ، فإن كانت الشمس قد صارت فـى منزلتهـا مثـل مـا قـد صارت فى ذلك الفصل أو أكثر ، زدت علـى أيـام القمـر واحـدا أصـلا ، وإن كان سير الشمس أقل مما قد صارت فى الفصل ؛ لم يزد شيئا ، ثم احسب مـا اجتمع معك من الأيام فى ذلك الشهر مع الزيادة أوغير الزيادة ، وابدأ من أول يوم من الشهر الذى هو يوم رؤيته إلى حيث انتهى العدد وأسقط ذلك منازل ، فإن كنت فـى الفصـل الأول فمن المنزلـة التـى قبل الشـمس ، وإن كنـت فـى الفصل الثالث فمن المنزلة التى يطلع الفجر الثانى فيها ، فحيث مـا انتهـى بـك الحسـاب فـالقمر فـى تلـك المنزلـة بعينهـا ، فهذا أصـل ضـابط أيضـا لايتغـير معمول به صحيح مجرب ، والله سبحانه أعلم .

وأما معرفـة السـاعات بالنهـار وأوقـات الصلاة فيـه : فـاعلم أن الليـل والنهار كل واحد منهما اثنى عشر سـاعة شتاء وصيفـا ، لا يزيـد ولا ينقـص وإنما يطول أحدهما علـى الآخـر ، لكون منازل الصيـف أفسـح مـن منـازل الشتاء ، ولذلك يطول ليل الشتاء ونهار الصيف ؛ ولهذا كان استواء الظل فـى الشتاء على خمسة أقدام نحو الشام عند دوران الشـمس فـى اليميـن ، ويكـون الزوال دليل الزيادة على ذلك ، فيصير أول وقت الظهر فى منزلة البلدة علـى خمسة أقدام ونصف قدم ، ويكون أول وقت العصر فيها على اثنى عشر قدما،

ثم يكون النقصان بعد ذلك هكذا فى كل منزلة نصف قدم إلى أن تصير الشمس فى الدبران ، ثم ينعدم الظل عند الاستواء ، فيكون أول وقت الظهر فى الهقعة على أدنى زيادة من الزوال عند الميل ، ويكون أول وقت العصر فيها على ستة أقدام ونصف قدم وأدنى زيادة ، وبعد ذلك هكذا إلى أن تصير الشمس فى الجبهة لذلك . فإذا دخلت الشمس فى الزبرة كان أول وقت الظهر على نصف قدم ، وأول وقت العصر على سبعة أقدام، ثم يصير الظل إلى الزيادة فى كل منزلة نصف قدم حتى تصير الشمس فى البلدة على ما وصفت لك أولا ، وقد نظم ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

زيادة الزبرة نصف القدم	فى الفيىء هذا حكمهم فى القدم
متى تكون الشمس فى بلدة	خمسة أقدام ونصف القدم
ثم يعود النصف نقصانا كما	ينتظر الموجود إلى العدم
من أول الإسعاد نقصانه	فانظر إلى البنيان كيف انهدم
حتى إذا ما صارت الشمس فى	تلو الثريا الدبران انعدم
وليس فى الهقعة فيىء ولا	فى خمسة من بعدها ثم تم

وعلى هذا القياس تعرف ساعات النهار بالأقدام تقريباً ، فأول ساعة من النهار إلى (٢٨) قدماً نحو المغرب ، والثانية إلى (١٨) قدماً ، والثالثة إلى (٩) أقدام ، والرابعة إلى (٦) أقدام ، والخامسة إلى (٣) أقدام ، والعاشرة إلى (١٨) قدماً ، والحادية عشر إلى (٢٨) قدم ، والثانية عشر إلى غروب الشمس والله تعالى أعلم .

وأما ساعات الليل : فعلى مذهب مَنْ يقول : إن الليل من غروب الشمس إلى طلوعها من المشرق ، فانظر إلى المنزلة المتوسطة فى كبد السماء عند الغروب واحفظها ، فإذا أردت أن تعلم بعد ذلك كم مضى من

الليل فانظر إلى المنزلة المتوسطة حينئذٍ فاحسب منها إلى متوسطة المغرب منازلاً ، ولا تدخل الحد فى المحدود ، بل تحسب إحداهما ، وتسقط الأخرى ، وتضرب ما اجتمع من ذلك فى أصلاً فما بلغ طرحته لكل ساعة (٧)° وإن بقى كسور فهى أسباع ساعة .

مثال ذلك : أن يكون متوسط المغرب الجبهة ، فإذا صار المتوسط بعد ذلك السماك حسبت من الدبرة التى هى بعد الجبهة إلى السماك ، وهى (٤)° منازل فتضرب (٤)° فى (٦)° يكون (٢٤)° فتجعل (٢)° من ذلك ساعات ويبقى (٣)° كسور فتقول قد مضى من الليل (٣) ساعات(٣) أسباع ساعة وكذلك إن كان الوقت بعد ذلك والمتوسط الإكليل ، حسبت من الدبرة إلى الإكليل (٧)° منازل فإذا ضربت (٧)° فى (٦)° تكون الجملة (٤٢)° .

فإذا طرحت لكل ساعة سبعة وجدته ست ساعات وهو نصف الليل وعلى هذا جميع الليل ، فافهم . وإنما قصدت المتوسطة لهذا الحساب ؛ لأنها أبين لبعدها عن الشفق الذى يطمس الشعاعه المنظر حتى عند الغروب وعند طلوع الفجر الثانى فيغطيها بنوره فاعلم ذلك واعلم أن لكل ساعتين لبرج من البروج ، ليلاً ونهاراً ، وكل ساعة بمنزلة وسدس فى جميع الليل والنهار والله أعلم بغيبه وأحكم.

الفصل الخامس

فى

الفأل و الزجـــر

اعلم هداك الله تعالى أن علم الفأل والزجر علم صحيح مجرب[٣٢٧] ، يستعمله الأنبياء والعلماء والصالحون لما فى ذلك من التأثير والإشارة بالوحى الإلهامى ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة[٣٢٨] ، وأحسن ما يستعمل به الفأل أفعال نفس الإنسان الذى أودع الله فيه جميع العلوم الجلية والخفية ، إذ هو موضوع للعلم والمعرفة والحكمة ، واستنباط جميع العلوم واستخراجها به ومنه كما قدمنا .

والأصل فى ذلك : أن يؤخذ الفأل من حركاته ، وأفعاله ، وأقواله وجميع أحواله ؛ لأنها كلها تصدر عن إرادة الله عز وجل إلهاما منه للعبد أى حال كان ، فإذا أراد الإنسان أمر ، أو حاجة ، أو تحير فى أحد أمرين أيهما يفعل ، فأول ما يقصد ما روى أن النبى صلى الله عله وسلم كان يعلم الصحابة دعاء الإستخارة[٣٢٩] كما يعلمهم السورة من القرآن ، فيدعو به بعد أن يصلى ركعتين يقرأ فى كل ركعة منهما الفاتحة مرة ، وآية الكرسى مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، والمعوذتين مرة ، فإذا سلم قال : "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل على محمد النبى الأمى

---

(٣٢٧) انظر : كتاب [مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم لطاش كبرى زادة ١/٣٣٧] .

(٣٢٨) حديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : ((لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبنى الفأل)) . قالوا : وما الفأل ؟ قال : ((كلمة طيبة)) .أخرجه البخارى : كتاب الطب ، باب لا عدوى (٥٧٧٦) .حديث عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : ((لا عدوى ولا طيرة وأُحبُّ الفأل)) قالوا : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : ((الكلمة الطيبة)). أخرجه الترمذى : كتاب السير ، باب ما جاء فى الطيرة (١٦١٥) وقال : حديث حسن صحيح .

(٣٢٩) دعاء الإستخارة : أخرجه البخارى ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة (٦٣٨٢) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما .

وعلى آله ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم إنى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن فى هذا الأمر -ويسمى حاجته- خير لى فى دينى ودنياى وآخرتى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فأقدره لى ويسره لى، ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ودنياى وآخرتى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، وأقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به . ثم يقول : اللهم خير لى وأختر لى سبع مرات. ثم ينظر إلى قلبه فأى الأمرين سبق إليه فهو وحى إلهامى وفيه الخير والخيرة ، فإن كان الأمر واحدا وسبق إليه العزم عزم عليه ، وإن سبق إليه الترك تركه ، وإن كانا أمرين وسبق إليه أيهما عزم عليه أيضا ففيه الصواب .

وإن رغبت(٣٣٠) نفسه فى ذلك استشار رجلا عاقلا يثق بنصيحته ومحبته وخبرته وعقله فما أشار عليه به فهو وحى إلهامى أيضا ، وهذا آكد من الأول ؛ لأن بمشورة فائدتها للعاقل أن النفس ربما أحبت أمرا والخيرة فى غيره وقد أمر الله تعالى بالمشورة من هو أرجح الناس عقلا ، فقال فى محكم كتابه الكريم لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿**وشاورهم فى الأمر**﴾ [آل عمران : ١٥٩] . فإن اقتصر على هذا كفاه .

وإن أراد تمحيصه بالزيادة فليقارع رجلا آخر ويضمر فى قلبه إن خرج بينهما فرد عزم عليه وإن خرج زوج ترك أو بالعكس ، فما خرجت به القرعة بينهما فهو أيضا وحى إلهامى بقلبين قد اجتمعا على ذلك وهما آكد من قلب واحد .

---

(٣٣٠) فى النسخة (ع) ، (أ) : استخارت .

وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يستعمل القرعة ويحكم بها[٣٣١] ، فإن وافقت الأول فدليلان أقوى من دليل واحد ، وإن خالفت رجح ذلك بالنظر إلى الإنسان فيأخذ من حركاته وأفعاله وجميع أحواله النفسانية والجسمانية الجارية بالإرادة الربانية ، فهى وحى إلهامى ، كما قدمنا وذلك بالنظر إلى ما يناسب الكواكب السبعة السيارة[٣٣٢] ، والرأس ، والذنب القاضية بما أودع الله فيها من السعادة والشقاوة والنفع والضر والخير والشر ، وهى مسخرة بما أودع الله تعالى وحوله وقوته فى جميع أمورها التى قضاها وقدرها فيها ، وقد ذكرنا أن الآدمى فيه نسبة كل شىء من العوالم العلويات والسفليات وكل عالم علوى مدبر لما يناسبه من السفليات بحكمة رب البريات ، فاعلم ذلك[٣٣٣] .

---

(٣٣١) قال أبو هريرة : أعرض النبى ﷺ على قوم اليمين فأسرعوا ، فأمر أن يُسْهَم بينهم : أيهم يحلف عليه .أخرجه البخارى معلقاً : كتاب الشهادات ، باب القرعة فى المشكلات . حديث وعن عائشة رضى الله عنها قالت ((كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه)) .أخرجه البخارى : كتاب الشهادات ، باب القرعة فى المشكلات (٢٦٨٨) وابن ماجة كتاب الأحكام ، باب القضاء بالقرعة (٢٣٤٧) .

(٣٣٢) وهى : زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر فى عرف الأقدمين .ومنها أيضاً الكواكب الثابتة وهى : النجوم كلها التى فى السّماء ماخلا السبعة السيارة التى تقدم ذكرها ، وسميت ثابتة لأنها تحفظ أبعادها على نظام واحد ولا تسير عرضاً .[مفاتيح العلوم للخوارزمى ص١٢٢] .

(٣٣٣) قال العلامة ابن القيم الجوزية : يقال لهذه الطائفة التى تشتغل بالنجوم - بماذا عرفتم أن الموجودات بالعالم السفلى كلها مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات ، وهل هذا إلا كذب بحت وبهت . فهب أن بعض الآثار المشاهدة مسبب عن تأثير بعض الكواكب والعلويات كما يشاهد من تأثير الشمس والقمر فى الحيوان والنبات وغيرهما ، فمن أين لكم أن جميع أجزاء العالم السفلى صادر عن تأثير الكواكب والروحانيات ، وهل هذا إلا كذب وجهل فهذا العالم فيه من التغير والاستحالة والكون والفساد مالا يمكن إضافته إلى كوكب ولا يتصور وقوعه إلا بمشيئة فاعل مختار=

وملك السماء السابعة : زحل[٣٣٤] وهو نحس وله من الإنسان الأذن اليسرى وله فى الفلك برجان ؛ الدلو والجدى ، فنسبة الدلو من جسد الإنسان الطحال ، ونسبة الجدى الرجلانّ .

وملك السماء السادسة : المشترى[٣٣٥] وهو سعد وله من الإنسان العين اليمنى ، وله فى الفلك برجان ؛ القوس ، والحوت ؛ فنسبة القوس الكبد ونسبة الحوت الكلى .

وملك السماء الخامسة : المريخ[٣٣٦] وهو نحس ، وله من الإنسان الأذن اليمنى ، وله فى الفلك برجان ؛ الحمل ، والعقرب ؛ فنسبة الحمل المعدة ونسبة العقرب السبيلين الأسفلينْ .

وملك السماء الرابعة : الشمس[٣٣٧] ، وهو سعد وسلطان الكواكب وبها صلاح العالم العلوى والسفلى ، ولها من الإنسان منخر الأنف اليمنى ، ولها من الفلك برج واحد وهو الأسد ؛ ونسبته من الإنسان رأس القلب الذى هو سلطان البدن وبه صلاحه وفساده .

=قادر مؤثر فى الكواكب والروحانيات مسخر لها بقدرته مدبر لها بمشيئته .... وأما قولهم إن فى اتصالات الكواكب نظر سعود ونحوس مما أضحكوا به العقلاء عليهم من جميع الأمم ونادوا به على جهلهم وصاروا به مركزاً لكل كذاب وكل أفاك . قلت: ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب [مفتاح دار السعادة ص٤٤٦] فإن فيه شفاء للصدور .

(٣٣٤) واشتقاقه من زحل مزحلاً إذا بَعُد ، ويقال : زحلت الناقة إذا تباطأت فى سيرها وتأخرت .[الأزمنة والأمكنة للأصفهانى ص٢٣٧] .

(٣٣٥) وهو من شرى البرق إذا استطار لمعاناً .[المرجع السابق ٢٣٧] .

(٣٣٦) فقيل من المرخ كأنه يورى ناراً لأن المرخ شجر سريع الورى . [المصدر السابق ص٢٣٧] .

(٣٣٧) قال الخليل : الشمس عين الضح . وبه سُمّيت معاليق القلادة وقيل هو من المشامة. [المصدر السابق ص ٢٣٧] .

وملك السماء الثالثة : الزّهرة(٣٣٨) وهى سعد لها من الإنسان العين اليسرى، ولها فى الفلك برجان ؛ الميزان والثور ؛ ونسبة الميزان من الإنسان الثديان؛ ونسبة الثور الأنثيان .

وملك السماء الثانية : عطارد(٣٣٩) وهو ممتزج وله من الإنسان الفم ، وله من الفلك برجان ؛ الجوزاء والسنبلة فنسبة الجوزاء من الإنسان اليدان ؛ ونسبة السنبلة الظهر .

وملك السماء الدنيا : القمر(٣٤٠) وهو سعد وله من الإنسان منخر الأنف، وله فى الفلك برج واحد وهو السرطان ؛ ونسبته من الإنسان الرئة ، وأما الرأس فله من الإنسان الرأس وهو سعد ، وأما الذنب فهو نحس وله من الإنسان العجز والله أعلم .

فإذا أردت العمل بالنظر إلى ذلك ، فاعلم أن عطارد ينبوع الحكمة ومعدن دقائق العلوم المهمة ، وسريع الحركات إلى كشف كل غمة ، وهو كاتب الشمس التى هى ملك الفلك ، وسلطان الوجودين ، وبها صلاح العالمين وهى موضع الأسرار ، ونسبتها القلب الذى هو موضع الإرادة والأسرار . فإذا أردت كشف ما ذكرناه أولا ليقوى الدليلين الأولين أو أحداهما ، لتكون ثلاثة أدلة أقوى من دليلين أقوى من واحد ؛ فانظر إلى يدى الإنسان يتحركان بما فى ضمير قلبه ؛ فإن الإنسان لا يخلو من حركات يديه إما إلى نفسه أو إلى شىء آخر ، فإن وضع يديه أو أحدها على عضو من أعضاء نفسه

---

(٣٣٨) بفتح الهاء من الشّىء الزّاهر ، ويكون من الحسن والبياض جميعاً ، والزّهور تلألؤ الشمس .[المصدر السابق ص ٢٣٨] .

(٣٣٩) من الاضطراب : لأنه فى مرأى العين كأنه يرقص . ودور عطارد حول الشمس سبع وثمانين يوماً وثلاث وعشرين ساعة .[المصدر السابق ص ٥٣٨].

(٣٤٠) من القمرة وهى البياض ، ويقال : تقمرت الشىء إذا طلبته فى القمراء . [المصدر السابق ص٢٣٨] .

أو على عضو إنسان آخر ، فانظر إلى ذلك العضو إن كان الكوكب سعد فإن الحاجة مقضية والعزم عليها صالح ، وإن كان نحسا فبالعكس وكذلك ما أضمرت عليه من أحد الأمرين المشكلين ، فإن اتفقت الثلاثة أدلة كان أظهر برهانا وأعظم بيانا وأنجح فى قضاء الحاجة بالعزم والترك ، فإن اتفقا اثنان كانا أغلب من الواحد ، فاحكم بهما ترجح عندك ، وفى هذا سر بديع ، ومعنى رفيع معمول به مجرب والله أعلم .

وأما النظر إلى سائر الأعمال والأفعال ؛ فانظر إلى ذلك الفعل إن كان فعل خير أو طاعة ؛ فإنه سعد محمود وإن كان شرا أو معصية فهو مذموم.

وأما الأقوال ؛ فسماع داعٍ يا سعد ، أو يا مسعود ، أو يا مفلح ، أو يا عبدالله ، أو يا محمد ، أو نحو ذلك أو تكلم بكلام حسن مما لايكره لفظه فهو محمود خصوصا إن وافق المعنى المراد وإن كان بالعكس فهو زاجر مذموم.

وأما الأحوال ؛ فحالة الفرحان والمسرور ، ونحو ذلك محمودة ، وحالة الغضبان ، والمحزون ، والمكروب وحامل الأثقال ، ونحو ذلك مكروهة ، وكذلك من نظرت إليه مع إقباله عليك إن كان بخير فهو محمود ، وإن كان بالعكس فمذموم .

وأما المدبر عنك ؛ فهو مذموم اللهم إلا أن يكون الناظر محزونا أو مهموما؛ فإن ذلك دليل على إدبار الهم والحزن ، وكذلك من حط حملا ثقيلا عن ظهره ، فإنه دليل على تفريج الهم وبالعكس ، وكذلك سائر الأشياء من حركات الإنسان فى أفعاله وأقواله ، وجميع أحواله مما أدركه السمع والبصر ونطق به الفأل ، وميزه العقل فأحكم بما أودع الله فيه من السر من داع إلى ما فى الضمير ، أو زاجر عنه ، فهو علم غامض طبيعى ووحى إلهامى ، فالعمل به صحيح مجرب والله أعلم وأحكم .

تم بحمد الله كتاب : كنز العلوم والدر المنظوم وحقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلواته على خير خاتمه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

بعناية سيدى المولى أمير المؤمنين وسيد المسلمين المهدى لدين رب العالمين ، حفظه الله تعالى .

الفهارس العامة

١- فهرس الآيات

٢ – فهرس الأطراف*

---

* يقصد بالأطراف : الأحاديث النبوية ، الأحاديث القدسية ، والآثار .

٣- فهرس المصطلحات العلمية

٤- فهرس الشعر

والجسم منهن استقام مركبا	وتربعت أركانه كي يعمرا	١٤٥
فإذا اعتدلن أقمن طول حياته	في صحة حكم الزمان بها جرى	١٤٥
وإذا اعتدت منهن واحدة بخلط	زائد وقع السقام بلى امترى	١٤٥
واحفظ عليك الاعتدال بالاحتما	في حال صحتك التي لا تشترى	١٤٥
لا تشبعن إذا أكلت وكل إذا	ما الجوع داعيه لهضم قد طرا	١٤٥
واشرب ولا تملى فأقبح مامليٰ	بطن بأكل أو بشرب بذرا	١٤٥
واجعل طعامك في الشتاء من الغذاء	ما طبعه طبع الحرارة أشعرا	١٤٥
وإذا المصيف أتى فكل من بارد	واشرب كذاك فذاك أعدل ما نرى	١٤٥
واحذر غليظ الطبع أو ما مضغه	صلب لذى الأسنان أو مثل الغرا	١٤٥
وكذاك ما عافته نفسك إنه	في أكله سم يدب إذا سرى	١٤٥
والنيّ من حب ومن خبز	وما كاللحم والحلوى بنار دبرا	١٤٥
وفواكه الأشجار قبل نضاجها	فاحذر وجود ما مصغت لتتصرا	١٤٥
واحذر جيوشا إن تآلف جمعها في	أكلة ضرت وأوهت ما مَرَى	١٤٥
وابدأ سريع الهضم قبل بطيئه	والرطب قبل اليابسات مشمّرا	١٤٥
لا تدخلن عيشا على ما قبله	من أى عيش قبل أن يتحدَّرا	١٤٥
وعقيب نوم أو جماع فاحذرنْ	برد الهواء وبرد ماءٍ كثرا	١٤٥
وعقيب هاجرة وأكل حرارة	وعقيب شغل متعب قد أعسرا	١٤٥
واحذر متابعة الجماع فإنه	هدم القوى تفنى الشباب الأنورا	١٤٥
وانكح فتاة حين تبلغ إنها	لا خير فيها بعد عشرين ترى	١٤٥
وفر دماءك إنها هي رأس	مال الجسم إن تنقصه ضر وغيرا	١٤٦
ودع الدوا من مسهل أو غيره	مهما وجدت إلى السلامة مصدرا	١٤٦
فالثوب أسرع ما يكون إلى البلى	مهما تتابع غسله وتكررا	١٤٦

فـى كـل أسـبوع عليـك بقيـة	تُبرى بهـا الفضـل الـردئ الأقـذرا
والمحرجيـن ببولـة أو غـائط	أبـدا فـلا تحبسـهما إن حضـرا
فهمـا كنهـران يسـد ببقعـة	مجـراه أورثهـا الفسـاد ودمـرا
وتوسـط الحـالات عنـد عـوارض	للجسـم أو لـلروح دامـت للـورى
احفـظ لسـانك فهـو إن أطلقتـه	فى غير ذكر اللـه قبرك فـى الثرى
وانظـر عواقـب كـل أمـر قبـل	أن تـأتى إليـه وكـن لـه متدبـرا
فـالمراء منطبـع الأمـور طبيعـة	وعزيـزه خلقـا وخلقـا صـورا
فـالحكم يجـرى دهـره أبـدا علـى	مـا فـى كتـاب اللـه كـان مسـطرا
خذهـا بعلـم والعليـم هـو الـذى	بـالحق أنطقنـى ولـى ولهـا متـبرا
وعلـى النبى وآلـه وأصحابـه	صلى إلـه العـرش ما برق سرى

حرف السين

ميقـات موسـى يـوم تدبيرنـا	فـافطن فـإن الفطنـة الحـدس	١٦١
وكـل مـافى الكتـب مـن سـبعة	قـد طـال فيهـا الخـوض والـدرس	١٦١
فجمعـنا المـاءيين أسبوعـنا	مضاعـفا مـا فيهـما وكـس	١٦١

حرف الكاف

فـإن كنـت هـذا اهتديـت إلـى التـى	جعلنـا حواليهـا الرمـوز مهالكـا	١٦٤
فخذهـا ففرقهـا إلـى مـا تفرقـت	إليـه ففـى تفرقهـا جمـع حالكـا	١٦٤
وسـلط علـى أجزائهـا النـار مشـفقا	على ما ارتقى من رطبها فـى إنائكا	١٦٤
تجـد صفوهـا كالمـاء أبيـض ناصعـا	وأثقالهـا كالقـار أسـود حالكـا	١٦٤
فانشـب ترفـق بيـن مفترقاتهـا	قنـا لا تـراه بينهـا متشـابكا	١٦٤
وداريه حتى يكسب الميت منهـما	حيـاة وحى يترك الحـى هالـكا	١٦٤

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

٥- فهرس الأعلام

٦- فهرس علم الفلك وملحقاته

٧- فهرس المعادن وما ألحق به

٨- فهرس النبات وما ألحق به

٩- فهرس الطب وملحقاته

١٠- فهرس مراجع التحقيق

القرآن الكريم

اتحاف السادة المتقين. الزبيدى

إحياء علوم الدين . أبو حامد الغزالى

الأزمنة والأمكنة . الأصفهانى المرزوقى.

الـــــروح. لابن قيم الجوزى

الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . د. محمد بن محمد أبو شهبة

أصول الدين. لابن طاهر

الأعلام. الزركلى

الإقتصاد فى الإعتقاد . أبو حامد الغزالى

الألفاظ والحدود. زكريا الأنصارى

البداية والنهاية. لابن كثير

تذكرة الألباب. داود الأنطاكى

التعريفات. للجرجانى

تفسير الألوسى . الألوسى

تفسير البيضاوى . البيضاوى

تفسير الطبرى. الطبرى

الجمع بين القراءتين [قراءة الوحى وقراءة الكون]. د. طه جابر العلوانى

جوهرة التوحيد. الباجورى

حلية الأولياء. أبو نعيم الأصبهانى

الرسالة القشيرية فى علم التصوف.أبو القاسم النيسابورى
رشحات عين الحياة. على بن حسين الهروى
السلسلة الصحيحة والضعيفة. الألبانى
سنن الترمذى . الترمذى
سنن ابن ماجة . ابن ماجة
شذرات الذهب. لابن العماد الحنبلى
صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى. ابن حجر
صحيح مسلم ، بشرح النووى . النووى
علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية. د. على جمعة محمد
الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة. الشوكانى
القاموس المحيط. الفيروز آبادى
القانون. لابن سينا
القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى.محمد الصالح العثيمين
الكشاف . الزمخشرى
كشف الخفا. العجلونى
الكليات. العقبرى
كنز العمال. المتقى الهندى
اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة.السيوطى
لسان العرب. لابن منظور
مجموع الفتاوى. لابن تيمية
مختصر العلو للعلى الغفار. الألبانى

المدخل. د. على جمعة محمد

المستصفى فى علم الأصول. أبو حامد الغزالى

المسلمون والبديل الحضارى. حيدر عبد الكريم الغدير

مسند الإمام أحمد بن حنبل . أحمد بن حنبل

مسند أبى يعلى . أبو يعلى

المصطلح الأصولى ومشكلة المفاهيم. د. على جمعة محمد

المصنف. عبد الرزاق

المعجم الكبير . للطبرانى

مفاتيح العلوم. للخوارزمى

مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . ابن القيم الجوزى

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم. بطاش كبرى زادة

مفتاح العلوم. لابن الحشا

مقاصد الشريعة . د. يوسف العالم

المقدمة. لابن خلدون

المنار المنيف. لابن القيم الجوزى

موسوعة الفقه . وزارة الأوقاف الكويتية

الموضوعات الكبرى . أبو الفرج الجوزى

١١- الفهرس التفصيلى لموضوعات الكتاب

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفهارس العامة

١٢- الفهرس العام للكتاب

دار المصرى للطباعة

ت: ٣٨٣٦٥١٦ ــ الهرم